

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٥ - ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ابريل/مايو ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 345 - April - May 2005
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض: عين على المستقبل
الدراسات العربية والإسلامية في الإنترنت
مملكة القس يوحنا «برسترجون»

اختر رفاهيتك المنزلية

من وجبات مميزة إلى وسائل ترفيهية سمعية ومرئية في كنف ضيافة عربية أصيلة
نقدمها لك على مقاعد وثيرة ... لن تشعر بالفرق بين خدمتنا على أسطولنا الحديث وبين رفاهيتك المنزلية.

عالم جديد من الاختيارات





الخطوط الجوية العربية السعودية

www.saudiairlines.com



الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض

الرياض مدينة فريدة في مراحل تطورها، وتسارع الخطا فيها عمرانيًا، وتزايدها سكانيًا، لذا فهي بحاجة إلى تخطيط دقيق، وقد تطلب ذلك إيجاد هيئة مختصة تقوم برسم ملامح التطوير، فكان قيام الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، التي رأت «الفيصل» أن تفرد حلقات للتعرف إلى ما لديها من إستراتيجيات وخطط وبرامج ومشروعات تلبي طموحات المدينة في نصف قرن بإذن الله، وكانت البداية عن المخطط الإستراتيجي الشامل.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير:

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الظيط

حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١.

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤ جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠. ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١. ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



www.ahlaltareekh.com



تميز ... ولكن!

يسعدني ويطيب لي المبادرة إليكم مهنئًا مباركًا بنقلتكم التطويرية المتحسسة لوقع خطاها بهدوء وحياء وعبق! غير أني هنا أقول: إنه لا بدّ من مسافة بيننا وبينكم، فعلى الرغم من بداية التميز، إلاّ أن هناك أبوابًا وزوايا ما زالت بحاجة إلى التحديث والتطوير، وإعادة النظر فيما؛ فالاستطلاعات على روعتها محلاّة بالصورة والكلمة. إلا أنها تفتقر إلى الخرائط الجغرافية! وهذه انتقاص غير مسوغ ولا شك! ثم إن الكتّاب أرى ضرورة وضع عناوينهم فتحًا لقنوات وجسور التواصل فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين القراء أيضًا.. كما أسأل هل نظام المكافآت ذو سلم متفاوت .. من حيث الأقلام ودرجاتها العلمية أو الإبداعية .. وكذلك مكافآت المواد .. هل تتفاوت؟ وما مدى هذا التفاوت؟ ثمة ما أقوله حول المسابقة.. هذه المرة، فإنه مع تغيير النمط وعودتكم إلى النمط القديم، إلاّ أنني أرى ألاّ تقل النقاط عن خمس، ثم ضرورة التنوع لتتناول مناحي أخرى، كعناوين الكتاب، والإحصائيات، والمخترعات، وتجلية المكان والزّمان أيضًا، كما يمكنكم اللجوء إلى الجانب الشخصي لإدخاله في المسابقة كطرح أسئلة تقيس هذا البعد لدى المتسابق .. حتى تصقله وتحقق استقلالية التفكير والإبداع عنده.

عبدالغني محمود محمد
عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لك اقتراحاتك القيمة، وبخصوص افتقار الاستطلاعات المصورة إلى الخرائط الجغرافية، نفيدك أن الأمر مقصود؛ لأن بعض الخرائط تسبب إشكالات ناتجة من عدم الاتفاق على الحدود الجغرافية بين كثير من الدول.

وبالنسبة إلى المكافآت، فإن هناك معايير موضوعية بحت، ولا علاقة لها بالأسماء أو الدرجات العلمية، وسوف نأخذ في الحسبان ما اقترحته بشأن مراجعات الكتب والمسابقة.

براءة ابن ماجد

جاء في أسئلة مسابقة العدد ٢٤٢ ذي الحجة ١٤٢٥هـ، السؤال الثاني: ملاح عربي قاد فاسكو داغاما من سواحل إفريقية الشرقية إلى سواحل الهند، أذكر اسم هذا الملاّح؟

جوابًا عن هذا السؤال أقول:

لقد أصدر مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة كتابًا قيمًا بعنوان «أحمد بن ماجد منظّر الملاحة الفلكية في المحيط الهندي وبحاره الشاطئية في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، الجزء الأول - حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو داغاما»، وهو من تأليف إبراهيم خوري

كما ألّف الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة كتابًا بعنوان «بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد» ومن خلال الكتابين يتبين لنا استحالة لقاء ابن ماجد بفاسكو داغاما وبراءته من إرشاد البرتغاليين إلى الهند وأن الذي أرشدهم هو ملاح هندي مسيحي، كما أثبت ذلك حاكم الشارقة في كتابه القيم، من أجل ذلك أحببت أن أشارك في

www.ahlaltareekh.com

تصحيح هذا الخطأ الشائع.

محمد بن عبد العزيز الجويبر

الأحساء - السعودية

التحرير:

نشكر لك هذا التوضيح المهم، وهذا التواصل الثقافي من أهداف مسابقة «الفيصل».

الأناقة والثقافة

يسعدني نقل تحياتي لكم، وأشكركم على ما تقدمون في هذه المجلة الرائعة في شتى الموضوعات، ومن الملاحظ أن المجلة أخذت طابع التطوير والإدارة الحديثة، وهذا يدل على جهد الفريق الذي يعمل في المجلة، وما له من قدر واسع من العقلية المتطورة التي تغذي القارئ من العلم الحديث والقديم. فالمجلة وجبة شهية لا يشبع منها القارئ، وهي تختلف عن باقي المجلات بمزايا كثيرة، فهي تجمع بين الأناقة والثقافة، وهي تحفة فنية مميزة. وأريد أن أعقب على المسابقة الشهرية من ناحية الأسئلة، فأقترح أن تكون الأسئلة سهلة، وليست صعبة، فمثلاً: سؤال الفيصل الثالث في العدد ٣٤٢ رينالدو ملحمة إيطالية .. فماذا نستفيد من هذا السؤال، والأجدر أن تكون الأسئلة من واقع تاريخنا المعاصر والمشرف في الإنجازات، وليس تعجيز القارئ، فأول مرة أسمع أن صاحب الملحمة هو رينالدو، ولا أعرف أكان هذا الجواب صحيحًا أم خطأ. وحبذا لو وضعت المراجع بعد إعلان الحل لنتمكن من الاستفادة بشمولية، لتعود على القارئ بالفائدة، وأن يكون هناك تنويع بالأسئلة، سواء علمية أو إسلامية أو تاريخية، وأكرر تقديري واحترامي لكم.

رائد أحمد عبدالله الملكاوي

عمان - الأردن

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن تجد خطا التطوير قبول القارئ الكريم، وفيما يخص الأسئلة، فالهدف دفع القارئ إلى البحث في عدة مجالات، وتعريفه بثقافات الآخرين، لذا لا يمكن حصر الأسئلة في نطاق محدود، وقد يمكن الأخذ برأيك فيما يتعلق بذكر المراجع، مع الحلول، ونكرر لك الشكر على هذا التواصل.

ردود سريعة

الأخ محمد كامل أحمد خطاب - دمنهور - مصر:

نشكر لك رسائلك التي تشيد فيها بالمجلة، ونأمل أن تكون عند حسن ظن قرّائها الكرام.

وفيما يتعلق بالمسابقة، فإننا لم نجد وسيلة أفضل من القرعة لتحديد الفائزين بالجوائز، وقد جاءتنا رسائل كثيرة تطالب بتمييز من يداومون على حل المسابقة، ويحرصون على المشاركة فيها، ومع تقديرنا لهم، إلا أن أي تدخل قد يكون غير عادل، ولا نملك غير الأمنيات الطيبة للجميع.

الأخ علاء سالم مهران سالم - أسيوط - مصر:

نشكر لك تهنئتك وكلماتك ودعواتك الصادقة المعبرة عن ارتباطك بمجلتك، ونتمنى أن تنال الخطوات التطويرية رضا جميع الإخوة القراء، ونأمل في مزيد من الآراء التي تعين على خطوات أكثر ثباتًا.

الأخت عزاز أبو الشام - الرياض - السعودية:

نشكر لك اهتمامك، ونفيدك أن المجلة مشرعة الأبواب لمشاركات جميع القراء من مختلف الجنسيات، وليس هناك باب محدد للمرأة؛ لأننا نرى أن قضايا المرأة هي جزء من قضايا المجتمع، ويمكننا طرحها من دون حدود معينة تفصل بينها وبين الرجل، فمرحبًا بمشاركاتك، سواء أكانت مقالاً أم شعرًا أم قصة.

الأخ عمرو إبراهيم - الخرطوم - السودان:

نعمل على حل مشكلة وصول المجلة إلى قرائها بالسودان، ونأمل أن يكون ذلك قريبًا، ونشكر لك حرصك على التواصل مع مجلتك.

www.ahlaltareekh.com



الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
عين على المستقبل

حسين حسن حسين

قسم التحرير

الرياض مدينة فريدة في مراحل تطورها، وتسارع الخطا فيها عمرانيًا، وتزايدها سكانيًا، لذا فهي بحاجة إلى تخطيط دقيق، ورؤية غير تقليدية؛ لاستشراف آفاق المستقبل. وقد تطلب ذلك إيجاد هيئة مختصة تقوم برسم ملامح التطوير، ووضع آليات للتنفيذ والمتابعة والتحليل والتقويم، فكان قيام الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، التي رأت "الفيصل" أن تفرد حلقات للتعرف إلى ما لديها من إستراتيجيات وخطط وبرامج ومشروعات تلبي طموحات المدينة في نصف قرن بإذن الله، وكانت البداية عن المخطط الإستراتيجي الشامل.

ظلت الرياض على مدى التاريخ تحتل موقعًا متميزًا في حياة الجزيرة العربية، لموقعها المتوسط الذي هيأ لها أن تكون ملتقى الطرق البرية، مع تنوع بيئاتها الطبيعية ومواردها، ومظاهر السطح التي تشتمل على الأودية والجبال والهضاب. وتميزت دومًا بواحاتها وأوديتها ورياضها ومجاري المياه فيها، بارتفاع خصوبة تربتها وصلاحيتها لزراعة أنوع مختلفة من المحاصيل، وقد اكتسبت اسمها من الرياض المحيطة بها، حيث مثل وادي حنيفة مركز ثقل فيها بروافده المتعددة، وجريان مائه الذي عدّ شريان الحياة فيها.

وعندما توحدت مناطق المملكة العربية السعودية على يد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - اتخذها عاصمة لبلاده، لكونها حلقة وصل بين مناطق المملكة المترامية الأطراف، فتمركزت فيها مؤسسات الدولة، ولاسيما بعد أن انتقلت إليها الوزارات من جدة، وتمحورت فيها حركة القطاع الخاص بمؤسساته وشركاته العاملة في مختلف الميادين، وضمت مقارّ كثير من المؤسسات الإقليمية والدولية، مما زادها أبعادًا جديدة، وعناصر تميز إضافية، هيأت لها أن تأخذ مكانها بين

www.ahlaltareekh.com



عواصم دول المنطقة، مستمدة كثيرًا من دورها الإقليمي والقاري والعربي والدولي من الموقع الريادي للمملكة العربية السعودية، وثقلها الروحي والاقتصادي والسياسي.

وواكبت الرياض تطور البلاد، وجسدت بحيويتها صورة واقعية لمراحل هذا التطور، فقد تمددت مساحتها بشكل قلّ نظيره في نمو المدن عمرانيًا، فبعد أن كانت تتخذ ملامح قرية قليلة المساحة والسكان، ومحدودة النشاط، أصبحت مدينة تضاهي أكثر مدن العالم تقدمًا في بنيتها التحتية، ومرافقها وخدماتها الحيوية.

ولاشك أن اكتشاف النفط مثّل نقطة تحول في حياة هذه المدينة، إذ اجتذبت سكان المناطق الأخرى، واستقطبت الأيادي العاملة من كل دول العالم، حتى تحولت إلى (ورشة) عمل لا تعرف التثاؤب ليل نهار، وتواكبت مع هذه الحركة الدائبة عدة محاولات لتخطيط مستقبلي يضع صورة مبسطة لمستقبل المدينة، إلا أن حركتها كانت دائمًا ما تتجاوز كل المخططات والرؤى المستقبلية، حتى عدت التجربة التنموية للرياض سكانًا وعمرانًا وعمارة واقتصادًا

www.ahlaltareekh.com


بيع الكتب في الرياض القديمة

«نسيج وحدة»، فحتى سنة ١٣٢٠هـ، لم يتجاوز العمران أسوار المدينة التي لم تكن مساحتها تتجاوز ٣ كم٢، وكان عدد سكانها نحو ٢٧ ألف نسمة، وخلال عقدين من الزمان تزايد السكان إلى ٨٣ ألف نسمة، وتمددت مساحة المدينة في كل الاتجاهات، ومع نهاية عقد الثمانينيات الهجرية كان عدد السكان ٣٥٠ ألف نسمة، ولمواجهة هذه الزيادة المستمرة، تم وضع المخطط الرئيس الأول في سنة١٣٩١هـ، وكانت فكرته الأساسية إقامة مناطق عالية الكثافة تمتد باتجاه الشمال والجنوب في محور يوازي وادي حنيفة ضمن مساحة لا تتجاوز ٣٠٤ كم٢، خصص فيها ١٥٠ كم ٢ للأحياء السكنية لاستيعاب الزيادة في عدد السكان الذي بلغ ٧٦٠ ألف نسمة، وتبعه المخطط الرئيس الثاني بعد ٥ سنوات أي في سنة ١٣٩٦هـ، وكانت فكرته زيادة مساحة النطاق العمراني بنحو ٢٥٠ كم٢

يعدّ مخطط استعمالات الأراضي من أهم الآليات للمخطط الإستراتيجي الشامل وسياساته، إذ يحدد جميع استعمالات الأراضي الحالية والمستقبلية حتى عام ١٤٤٢هـ كالاستعمالات السكنية، والتجارية، والصناعية، ومواقع الخدمات

www.ahlaltareekh.com

لاستيعاب الزيادة السكانية المتوقعة في حدود مليون و٦٠٠ ألف نسمة، ولكن كان نمو السكان، وتمدد المساحات العمرانية أكبر من كل التوقعات، فبلغ عدد السكان في الرياض في عام ١٤٢٥هـ نحو ٤ ملايين و٣٠٠ ألف نسمة، بينما بلغت مساحتها ١٠٠٠ كم٢.

الهيئة العليا: النشأة والأهداف

وتطلب هذا الواقع قيام هيئة مختصة لمتابعة متطلبات مراحل تطور المدينة، ولترسم السياسات، وتضع الإجراءات الرامية إلى مواكبة تطور الرياض في النواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعمرانية، والبيئية، والعمل على ارتقاء مستوى الخدمات والمرافق، فكان إنشاء الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ٧١٧ الصادر في تاريخ ٢٨ جمادى الأولى ١٣٩٤هـ.

ولتأكيد ما يتسم به عمل الهيئة من مرونة وحرية أوسع في الحركة، صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٢٢١ المؤكد استقلالية الهيئة، والإقرار بأنها سلطة مختصة بتخطيط المدينة، وأنشئ مركز المشاريع والتخطيط بالهيئة لتمكينها من ممارسة سلطاتها، وأداء مهامها، ووكل للمركز تولي مسؤولية المشروعات التطويرية المتكاملة بالمدينة، إلى جانب أعمال التخطيط والدراسات.

تهدف إستراتيجية النقل إلى توفير سبل التنقل الآمن واليسير، عن طريق تطوير نظام نقل يفي بمتطلبات التنقل القائمة والمتوقعة في ظل استمرار النمو السكاني الكبير، على أن يتكامل هذا النظام مع اتجاهات النمو الحضري للمدينة، وبطريقة مستديمة



أحد أسواق الرياض القديمة

ويرأس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ونائبه صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبد العزيز نائب أمير منطقة الرياض. ورئيس مركز المشاريع والتخطيط هو المهندس عبد اللطيف بن عبد الملك آل الشيخ عضو الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.

وصدرت قرارات أخرى بهدف إعطاء الهيئة مزيداً من المرونة في الحركة، ومن ذلك قرار مجلس الوزراء الصادر في ١١ صفر ١٤٠٢هـ الذي أضاف إلى مسؤوليات الهيئة مهمة التنسيق والإشراف والتنفيذ بالنسبة إلى مشروعات التجهيزات الأساسية في المدينة.

www.ahlaltareekh.com



الرياض تتلألأ ليلاً وقد بدأت العمارات الشاهقة والمراكز التجارية والمرافق الحديثة

ومثلت هذه القرارات المؤكدة لدور الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض تحديًا كبيرًا، لأن التجارب التخطيطية السابقة أثبتت قدرة الرياض على تجاوز التوقعات والاحتمالات بفرط نموها سكانيًا وعمرانيًا، وما يترتب على ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية.

وتطلب هذا الواقع رؤية تخطيطية متفردة تتناسب وهذا التفرد في حركة نمو مدينة الرياض، ومن هنا جاءت فكرة المخطط الإستراتيجي الشامل الذي وضعته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض والذي يستوعب نصف قرن قادم في حياة المدينة اعتمادًا على ستة عناصر رئيسة هي: الرياض عاصمة المملكة، ومدينة إنسانية، وواحة معاصرة، ومركز مالي وتجاري مزدهر، ومدينة جميلة، ومركز إشعاعي ثقافي وعلمي، وبتكامل هذه العناصر تكون الهيئة قد رسمت الملامح الرئيسة للمدينة في هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبيًا.

تبنت الهيئة في إعداد المخطط منهجية تقوم على تعزيز قنوات الاتصال والتشاور مع جميع الجهات ذات العلاقة، ومع سكان المدينة في العملية التخطيطية لتنمية المدينة في المستقبل، وإشراك المسؤولين والمواطنين في عملية التخطيط، وذلك من خلال اللقاءات وورش عمل

www.ahlaltareekh.com



المخطط الإستراتيجي الشامل

أعدت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مخططاً إستراتيجيًا شاملاً للمدينة يهدف إلى وضع مجموعة من الإستراتيجيات والسياسات والخطط البعيدة المدى عن طريق وضع رؤية مستقبلية للخمسين سنة القادمة، وتطوير إطار إستراتيجي لقيادة التنمية الحضرية في جميع قطاعاتها المختلفة على مدى العشرين سنة القادمة، وكذلك وضع خطط تنفيذية للسنوات العشر القادمة.

وشرعت الهيئة في تنفيذ البرنامج التنفيذي للمخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض المكون من سبعة وخمسين برنامجاً (مشروعاً) مستقلاً تندرج ضمن سبعة قطاعات تغطي جوانب تنمية المدينة التطويرية والتخطيطية المستقبلية، وهي: قطاع التنمية العمرانية، وقطاع النقل، وقطاع الخدمات والمرافق، وقطاع الاقتصاد، وقطاع الإسكان، وقطاع البيئة، وقطاع الإدارة الحضرية.

يمتاز كل من هذه البرامج بالطبيعة الإستراتيجية، والفائدة الشمولية على مستوى المدينة، وضمن الإطار الزمني للمخطط (٢٥ عاماً)، كما أن هذه البرامج والمشروعات تستوعب جميع اشتراطات المخطط ومتطلباته، كما تمتاز هذه البرامج التنفيذية بالاستقلالية، بحيث يمكن تنفيذ كل منها على حدة دون تلازم، لذلك أخذ عند وضع كل واحد من هذه البرامج جميع مستلزماته التطويرية، والمشروعات الجزئية المتعلقة به، ومن المميزات أيضاً المرحلية في التنفيذ، بحيث تحقق كل مرحلة نتائج وفوائد ضرورية للمدينة.

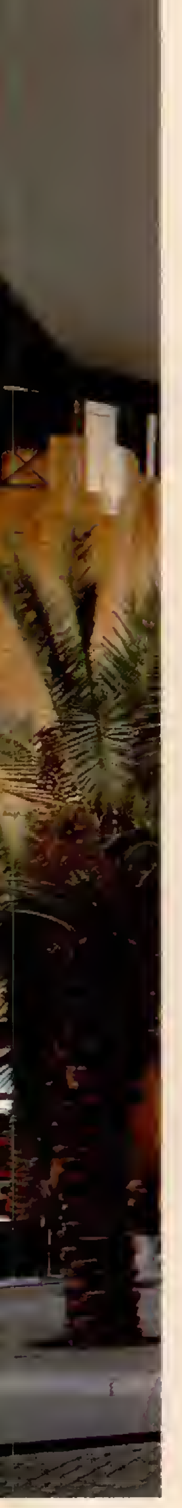
وقد بدأت الهيئة العليا بتنفيذ أربعة عشر برنامجاً تطويرياً، يعدّ بعض هذه البرامج في مرحلة الدراسات الأولية، ومنها ما بدأت مشروعاته التنفيذية على أرض الواقع، كما يجري تنفيذ هذا البرنامج بالتنسيق مع الجهات الأخرى ذات العلاقة.



www.ahlaltareekh.com



www.ahlaltareekh.com



منهجية العمل

تبنت الهيئة في إعداد المخطط منهجية تقوم على تعزيز قنوات الاتصال والتشاور مع جميع الجهات ذات العلاقة، ومع سكان المدينة في العملية التخطيطية لتنمية المدينة في المستقبل. وإشراك المسؤولين والمواطنين في عملية التخطيط، وذلك من خلال اللقاءات وورش عمل.

وقد عقدت الهيئة خلال مراحل العمل المختلفة لهذا المشروع ٥ ندوات، و٣٣ حلقة نقاش، و٢١ ورش عمل تعنى بالمراجعة والتقويم لنواتج العمل، وتبادل الآراء والأفكار حولها. ودعي إلى هذه الندوات والورش عدد كبير من المختصين بالمجالات المهنية المختلفة من الجهات الحكومية والقطاع الخاص وبعض فئات المجتمع، وكذلك الأكاديميون والمهنيون المتخصصون من داخل المملكة وخارجها. وتناولت هذه الندوات وورش العمل وحلقات النقاش مجالات التخطيط الحضري، والسياسات الحضرية، والإدارة الحضرية، والإسكان والبيئة، والمرافق العامة، والنقل والاقتصاد، وتقنية المعلومات والاتصالات.

كما تم عرض المشروع على الجهات الحكومية المعنية، والغرفة التجارية الصناعية بالرياض، كل على حدة؛ للاستماع إلى مرئياتها وتصوراتها، واستيعابها في أثناء العمل في المخطط. كذلك تم إشراك سكان المدينة في العملية التخطيطية من خلال مشاركة بعض فئات المجتمع في حلقات النقاش العامة، وكذلك استطلاع آرائهم بإجراء المسوحات الميدانية.

وكانت أهم التساؤلات التي تفرض نفسها: أين ستقف حدود المدينة؟ وهل سيستمر نموها بالسرعة نفسها التي تمت بها في الخمسين عامًا الماضية؟ وكيف ستقوم العاصمة بوظيفتها؟ وما الدور الذي ستضطلع به على مستوى المنطقة في المجال السياسي والاقتصادي والتقني؟

وهل ستكون قادرة على استيعاب سكانها وتوفير

www.ahlaltareekh.com

فرص متساوية لهم من الحياة الكريمة ومصادر الرزق والخدمات المتكاملة؟

ومتى ستتوافق متطلبات التنمية مع متطلب الحفاظ على البيئة؟



وما موقع المدينة بين مدن العالم في عصر العولمة وثورة التقنية والصناعات....؟

مراحل المخطط

تم تقسيم العمل في المخطط الإستراتيجي الشامل إلى ثلاث مراحل:

تضمنت المرحلة الأولى مراجعة الوضع الراهن للمدينة وتقويمه، وتحديد التبعات المتوقعة لهذا النمو على حاضر المدينة ومستقبلها، وتحديد المشكلات والقضايا الحرجة التي تعانيها المدينة في مجالات التنمية المختلفة، ومعرفة الإمكانات، والفرص المتاحة لتطويرها، بالإضافة إلى صياغة الرؤية المستقبلية للمدينة للخمسين سنة القادمة، التي تهدف إلى وضع إطار ودليل إرشاديين للعمل والتخطيط الإستراتيجي في

www.ahlaltareekh.com

المستقبل، حتى تعكس هذه الرؤية الرغبات والآمال بطريقة واضحة، كما تعكس التطلع إلى مستقبل، ليكون امتدادًا للمستوى الحضري والمعيشي الذي تشهده المدينة وسكانها. وشملت هذه المرحلة:

- دراسات الوضع الراهن.
- تحديد القضايا الحرجة، وتشمل تلك التي تعانيها المدينة في مجالات التنمية المختلفة كالعمران، والاقتصاد، والنقل، والبيئة، والمرافق، والخدمات العامة، والإسكان، وادارة التنمية الحضرية.
- صياغة الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض.

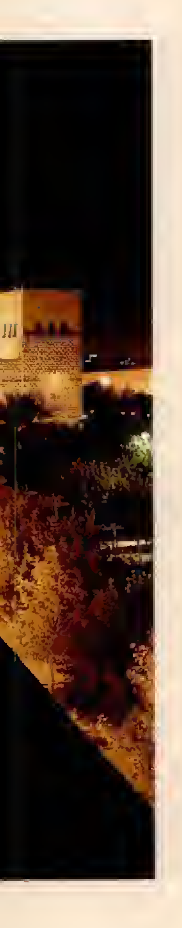
وتضمنت المرحلة الثانية إجراء الدراسات التفصيلية على كل قطاع من قطاعات التنمية الحضرية والتطويرية، وتحديد أهداف التطوير لكل قطاع، وطرح البدائل المتاحة، لبلوغ هذه الأهداف وتقويمها، ودراسة تكلفة كل منها، والخروج بالإطار الإستراتيجي لمدينة الرياض.

وشملت هذه المرحلة ثلاثة أجزاء هي:

- الجزء الأول: وهو جزء تمهيدي تم فيه صياغة الأهداف والغايات، وتحديد المعايير التخطيطية، والتوقعات السكانية والاقتصادية، بالإضافة إلى المحددات البيئية التي ينبغي مراعاتها.
- الجزء الثاني: وهو الجزء الرئيس من هذه المرحلة، فقد تمّ وضع الخيارات، وتقويمها على المستوى القطاعي، وعلى مستوى المدينة بكاملها، مع التوصية بالبديل الإستراتيجي والمفضل للتطوير الحضري.
- الجزء الثالث: وتم فيه وضع إستراتيجية التطوير الحضري لمدينة الرياض بصورة نهائية، بما في ذلك مخطط هيكلي للمدينة، بالإضافة إلى السياسات الحضرية، وخطة الإدارة الحضرية مع أمثلة من المخططات الهيكلية المحلية.

وعنيت المرحلة الثالثة بوضع آليات لتنفيذ المخطط الإستراتيجي الشامل، شملت الكثير من برامج التنمية الحضرية، والمخططات الهيكلية المحلية التفصيلية، ومشروعات تحسين المناطق والخطط التنفيذية.

وتعدّ هذه المرحلة مرحلة مستمرة يتم تطوير



www.ahlaltareekh.com

برامجها ومشروعاتها وتحديثها بشكل يتجاوب مع المستجدات الاجتماعية والاقتصادية للمدينة وذلك، لتعلقها ببرامج تنفيذية تأتي ضمن المنهجية العامة للمخطط الإستراتيجي الشامل.

المختلفة على مدى السنوات القادمة حتى عام ١٤٤٢ هـ، ومن أبرز تلك النواتج ما يأتي:

. الرؤية المستقبلية للمدينة:

وقد جرى تحديد مفهوم الرؤية المستقبلية على هيئة



عناصر المخطط الإستراتيجي

في نهاية العام الهجري ١٤٢٣هـ، اكتملت التقارير النهائية للمخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض، التي تحتوي على عدد من الإستراتيجيات والسياسات والمخططات الحضرية في جميع القطاعات التخطيطية

عناصر، تعطي تصورًا عامًا لمدينة الرياض في المستقبل، في ظل مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتجسيد مفهوم علاقة الإنسان بخالقه عز وجل (الخلافة في الأرض)، وكذلك علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقته بالطبيعة.

وترتكز عناصر الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض على

www.ahlaltareekh.com

عدة أسس: أولها أن تعكس مدينة الرياض دورها بوصفها عاصمة المملكة العربية السعودية، ومدينة إنسانية، وواحة معاصرة، ومركزًا ماليًا وتجاريًا نشيطًا ومنافسًا، ومركز إشعاع ثقافي وعلمي، ومدينة جميلة. وقد حددت لكل عنصر من عناصر الرؤية المستقبلية أهداف محددة:



أولاً: عاصمة المملكة:

ويقصد بهذا العنصر أن تعكس الرياض الدور الفعلي لعاصمة المملكة العربية السعودية، وما لها من موقع ريادي وقيادي في محيطها العربي والإسلامي والقاري، وصولاً إلى المكانة الدولية للمملكة.

ومن الأهداف التي حددت في هذا الإطار، أن تكون الرياض:

- مركزًا دوليًا للمؤسسات الدولية والإسلامية والإقليمية والسياسية والاقتصادية.
- مركزًا وطنيًا قياديًا للمؤسسات والهيئات الوطنية والإدارية والاقتصادية.
- نموذجًا عالميًا للتنمية الحضارية المعاصرة لعاصمة في قلب الصحراء.
- مركزًا وطنيًا للوظائف والمؤسسات الثقافية والتاريخية.

ثانيًا: مدينة إنسانية:

ويقصد بذلك أن تكون الرياض مدينة تحقق الرغبات الإنسانية الحميدة، والعيش الرغيد الذي ينعكس في بيئة تعطي الأولوية للإنسان، وتحقق للسكان السلامة والأمن، وتشجيع العلاقات الاجتماعية.

والأهداف التي تم تحديدها في هذا الإطار تتمثل في الآتي:

- مدينة توفر مستويات حياة مرتفعة لرفاهية جميع المواطنين.
- مدينة يتماشى تنظيمها العمراني مع المبادئ الإسلامية الإنسانية.
- تشجيع قيام العلاقات الإيجابية بين سكانها.
- حفز السكان إلى المشاركة في التنمية.

ثالثًا: مركز إشعاعي ثقافي وعلمي:

www.ahlaltareekh.com



www.ahlaltareekh.com

الرياض رائدة في الخدمات التعليمية والصحية، ويعني ذلك أن تكون مركزًا قياديًا في الأبحاث العلمية والتقنية، ولا سيما في مجالات الطاقة والدراسات الصحراوية.

ومن الأهداف المحددة في هذا الإطار:

- رائدة في المجالات التعليمية والصحية، وعلى اتصال بشبكات عالمية للبحث والتطوير.
- تستثمر في البحث العلمي والتقني في مجالات الطاقة والمناطق الصحراوية.
- تطبق أفضل نماذج الإدارة البيئية في التصميم والتخطيط والتنمية العمرانية.
- قاعدة للصناعات المعرفية.

ومن المقومات التي تؤهل الرياض لتكون مركز إشعاع ثقافي وعلمي ما يتوافر لها من جامعات، ومراكز أبحاث متطورة وقاعدة متكاملة من المرافق الخدمية الحديثة، إلى جانب بيئتها الصحراوية المحيطة بالمدينة؛ ما يجعلها مجالاً خصبًا في الأبحاث والدراسات والابتكارات التقنية الخاصة بالبيئة الصحراوية.

رابعًا: مدينة جميلة:

ويتمثل ذلك في شكل عمراني متميز ومتكامل مع الحياة الاجتماعية والثقافية.

ومن الأهداف المحددة في هذا الجانب:

تعد مشكلة توفير المياه من أبرز المشكلات التي تواجه المدينة. وقد طورت اقتراحات لمواجهة نقص المياه باعتماد أنظمة فعالة لإعادة استخدام المياه وربطها بمحطات معالجة مياه الصرف الصحي للاستخدامات الأخرى غير الشرب. كما اتخذت إجراءات لترشيد الاستهلاك

تهدف المخططات الهيكلية الموضوعة لمنطقة وسط المدينة إلى تحسين المستوى المعيشي، والرُّقي بمظهر المدينة الحضاري وذلك بتحسين العلاقة العمرانية والاجتماعية بين أقطاب المركز الرئيسة، وهي منطقة قصر الحكم، ومركز الملك عبد العزيز التاريخي، وأسواق البطحاء، وطريق الملك فهد

- تأكيد الشخصية العمرانية للمدينة المستندة إلى عناصر العمارة الإسلامية والأنماط المحلية.
- تشجيع تنوع الأنماط المعمارية وفقًا لمبادئ تصميمية واضحة.
- تحقيق انسجام عمراني.
- توفير المنشآت الخاصة بالأنشطة الاجتماعية والثقافية وغيرها.
- إيجاد ممرات مشاة في الشوارع والطرق المشجرة، وتوفير المتطلبات اللازمة لذلك.

خامسًا: مركز مالي وتجاري مزدهر:

وهذا ما يتفق مع الدور الريادي للمملكة، وثقلها الاقتصادي.

وتتمثل أهداف هذا الإطار في الآتي:

- تنمية تتجاوب مع الاحتياجات المالية، وتتكامل مع السياسات الاقتصادية.
- جذب المزيد من الاستثمارات الخاصة من خلال توفير شبكة متكاملة من المرافق الخدمية المساندة.
- حفز فرص الاختيار والمنافسة للقطاع الخاص في تحديد مواقع الاستثمار في التنمية وطبيعته.
- رفع قدرات الطاقات البشرية وتوظيفها.

وتم في هذا الجانب تخصيص مناطق للاستخدامات

www.ahlaltareekh.com

المخطط الإستراتيجي وتركيز في الحفاظ على البيئة الطبيعية

المكثفة في الشمال، ومناطق التطوير في جنوب المدينة، وشرقها وتوفر المراكز الفرعية فرصًا جديدة لأعمال مستحدثة، كما أن هناك صناعات جديدة تتم رعايتها، مثل الصناعات المعرفية وصناعة السياحة التي تستثمر المقومات البيئية والمرافق الترفيهية والمنشآت الثقافية.

سادسًا: واحة معاصرة:

ويعني ذلك أن تكون الرياض واحة معاصرة ذات تنمية منسجمة مع بيئتها الصحراوية بالاستخدام الأمثل للتقنية، والتخطيط العمراني المتسق مع مقومات هذه البيئة.

والأهداف المقصودة في هذا الإطار:

- تسخير الفرص المتاحة لتنمية عمرانية تناسب عناصر البيئة الصحراوية.
- استخدام أحدث النظم لتحقيق نمو فعّال لا يؤثر سلبًا



www.ahlaltareekh.com

في الموارد الطبيعية والبيئية.

- تطبيق مستويات متقدمة في أنظمة ترشيد استعمال المياه، وإعادة استعمالها.
- تشجيع الاستثمار والابتكار في مجال تقنية إنتاج الطاقة.
- الخلو من التلوث وسلبيات النمو الحضري.

وتعد مشكلة توفير المياه من أبرز المشكلات التي تواجه المدينة، وقد طورت اقتراحات لمواجهة نقص المياه باعتماد أنظمة فعالة لإعادة استخدام المياه وربطها بمحطات معالجة مياه الصرف الصحي للاستخدامات الأخرى غير الشرب، كما اتخذت إجراءات لترشيد الاستهلاك، بحيث لا يتجاوز معدل استهلاك الفرد اليومي ٢٠٠ لتر، إلى جانب تحديد المناطق التي تحتاج إلى حماية من الاستثمارات، وتشمل مناطق حماية البيئة والمناطق المحمية والمناطق الطبيعية والمفتوحة.

وانطلاقًا من تحديد عناصر الرؤية المستقبلية لمدينة الرياض واعتمادها، تم وضع الإستراتيجيات، والسياسات، والخطط، المستقبلية للمدينة خلال العشرين سنة القادمة، التي تعكس الجوانب والقطاعات الآتية:

أولاً: المخطط الحضري للمدينة:

يشتمل المخطط الحضري على عدد من المخططات التي تمثل الآليات لتنفيذ السياسات والخطط في هذا الجانب، ومن أهم هذه المخططات:

١ـ المخطط الهيكلي العام للمدينة :

يعكس المخطط الهيكلي جميع الجوانب المكانية والوظيفية للأهداف والإستراتيجيات والسياسات الحضرية المختلفة الواردة في المخطط الإستراتيجي الشامل، ويُحدد توزيع استعمالات الأراضي، والأنشطة الرئيسة، ومراكز العمل، ونظام النقل في المدينة، وشبكات المرافق العامة، وتحديد مناطق الحماية البيئية والمناطق المفتوحة، واتجاهات التنمية العمرانية وحدودها، ويُغطي المخطط الهيكلي جميع أجزاء مدينة الرياض الواقعة داخل حدود حماية التنمية بمساحة تصل إلى نحو (٤,٩٠٠) كم مربع، ولعدد متوقع من السكان يبلغ (١٠,٥) ملايين نسمة بحلول عام ١٤٤٢هـ. ومن أبرز عناصر المخطط الهيكلي ما يأتي:

أ . منطقة وسط المدينة:

تهدف المخططات الهيكلية الموضوعة لمنطقة وسط المدينة إلى تحسين المستوى المعيشي، والرُّقي بمظهر المدينة الحضاري، إذ تركز تلك المخططات في تحسين العلاقة العمرانية والاجتماعية بين أقطاب المركز الرئيسة، وهي منطقة قصر الحكم، ومركز الملك عبد العزيز التاريخي، وأسواق البطحاء، وطريق الملك فهد، وإيجاد نواة حقيقية لمركز حضاري وثقافي يرقى إلى المستوى المطلوب للعاصمة، من حيث الوظيفة والجاذبية. كما اشتملت المخططات الهيكلية على تحديد حدود واضحة ومفصلة لمنطقة وسط المدينة ومركز المدينة، مع وجود خطط خمسية تنفيذية للتطوير.

ب ـ المراكز الحضرية:

تُمثل المراكز الحضرية إحدى الركائز الأساسية نحو التحول التدريجي من نظام المركز الأحادي إلى النظام المتعدد المراكز، لدعم مركز وسط المدينة الحالي، ودعم مبدأ

من المقومات التي تؤهل الرياض لتكون مركز إشعاع ثقافي وعلمي ما يتوافر لها من جامعات، ومراكز أبحاث متطورة وقاعدة متكاملة من المرافق الخدمية الحديثة، إلى جانب بيئتها الصحراوية المحيطة بالمدينة؛ ما يجعلها مجالاً خصبًا في الأبحاث والدراسات والابتكارات التقنية

www.ahlaltareekh.com



اللامركزية. وقد تم الانتهاء من تحديد عدد من هذه المراكز ومواقعها في المدينة، ومساحة كل مركز حضري، كما تم تحديد نوع الاستعمالات والوظائف والأنشطة التي تحتويها تلك المراكز والنسب والكثافات المطلوبة لتلك الاستعمالات، ويجري حاليًا إعداد مخططات هيكلية تفصيلية للمراكز الحضرية تمهيدًا لتنفيذها على أرض الواقع.

ج - أعصاب الأنشطة:

تمثل أعصاب الأنشطة الحضرية جزءاً من الهياكل والخصائص التطويرية الراهنة لمدينة الرياض. وهي طرق شريانية يتمركز على جانبيها عدد من الأنشطة الرئيسة ذات الاستعمالات المختلطة وغيرها من تجارية ومكتبية وسكنية وخدمية. وقد تم تحديد هذه الأعصاب لتميزها بأنشطة مختلطة، ذات جذب قوي، وتوسطها لمناطق عمرانية، وامتدادها عبر أجزاء المدينة المختلفة، وإمكانية ربطها وسط المدينة بالمراكز الحضرية، وعناصر المدينة المختلفة.

د - الضواحي الجديدة لمدينة الرياض:

تضمن المخطط الهيكلي للمدينة اقتراح إنشاء ضاحيتين هما ضاحية سلطانة شمال المدينة، وتبلغ مساحتها ١٦٣٠٥ هكتارات، وتستوعب عدد سكان يقدر بنحو ٩٥٠ ألف نسمة، وضاحية الوسيع شرق المدينة وتبلغ مساحتها ١٨٥٤٠ هكتارًا، وتستوعب عدد سكان يقدر بنحو ٨٨٠ ألف نسمة، وتقع هاتان الضاحيتان داخل حدود حماية التنمية لمدينة الرياض.

وقد تضمن البرنامج التنفيذي للمخطط الإستراتيجي الشامل لمدينة الرياض الذي يجري العمل على إنجازه إعداد مخططات هيكلية لتلك الضواحي.

www.ahlaltareekh.com



المرافق العامة في الرياض تضاهي مثيلاتها في مدن العالم المتقدم

وتهدف هذه المخططات إلى إيجاد الفرصة لتطبيق أنماط تخطيطية متميزة، والتوجه نحو اللا مركزية في تقديم الخدمات؛ لتقليل الضغط على مركز المدينة، إضافة إلى زيادة فاعلية الاستعمالات العامة، والمرافق، وتقليل التعارض بين الاستعمالات المتجاورة، وهناك أيضاً اقتراح مقدم للهيئة بتطوير ضاحية جديدة أخرى بجنوب مدينة الرياض.

جرى تحديد مفهوم الرؤية المستقبلية على هيئة عناصر، تعطي تصورًا عامًا لمدينة الرياض في المستقبل، في ظل مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتجسيد مفهوم علاقة الإنسان بخالقه عز وجل (الخلافة في الأرض)، وكذلك علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقته بالطبيعة

٢. مخطط استعمالات الأراضي:

يعدّ مخطط استعمالات الأراضي من أهم الآليات للمخطط الإستراتيجي الشامل وسياساته، إذ يحدد جميع استعمالات الأراضي الحالية والمستقبلية حتى عام ١٤٤٢هـ، كالاستعمالات السكنية، والتجارية، والصناعية، ومواقع الخدمات، والمرافق العامة على مستوى المدينة، وتوزيع الكثافات لهذه الأنشطة، إلى جانب تحديد المناطق المفتوحة، ومناطق حماية البيئة.

٣. أنظمة تقسيم المناطق:

يتناول هذا العمل تقسيم المدينة إلى نطاقات محددة،

www.ahlaltareekh.com

من حيث الاستخدام المحدد في خطة استعمالات الأراضي، وإعداد أنظمة مصاحبة لهذه النطاقات، تحدد نوع التطوير من حيث الكثافة والارتفاعات وأنظمة البناء والاشتراطات الأخرى المطلوبة للتطوير، الذي يحقق حماية الممتلكات والخصوصية، مع أعلى قدر من المحافظة على النواحي البيئية والتراثية والعمرانية، كما تشتمل على عدد من الإجراءات والخطوات لنظام رخص التخطيط، ورخص البناء، وتشجيع التطوير بأسلوب متميز، ومتطور يواكب متطلبات التنمية المختلفة.

ثانيًا. الإستراتيجية الاقتصادية :

تهدف إستراتيجية التنمية الاقتصادية إلى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة، وذلك من خلال تنويع القاعدة الاقتصادية، وزيادة مصادر دخل المدينة، والحدِّ من تسربات الدخل، والاستفادة من مكانة المدينة ومزاياها التنافسية؛ لتعزيز دورها بوصفها مركزًا ماليًا وتجاريًا.

وقد وضعت سياسات لتحقيق تلك الأهداف، تتمثل أبرزها فيما يأتي:

- تنويع القاعدة الاقتصادية للمدينة: حددت القطاعات الواعدة التي ستولد فرص عمل جديدة، ودخلاً من مبيعات الصادرات، وإحلال الواردات، واستثمار المدخرات في الاقتصاد المحلي، وتشجيع تصدير الأعمال والخدمات بالقطاعات الاقتصادية.
- توفير الخدمات والمرافق العامة ورفع مستواها، وتعزيز الميزة التنافسية للمدينة، وذلك عن طريق تشجيع استثمار المدخرات المحلية في اقتصاد الرياض.
- تطوير القوى العاملة السعودية، ورفع مستوى كفاءتها، بحيث تكون قادرة على المنافسة.
- تطوير قطاع السياحة والترويح من خلال حماية الموارد الطبيعية وتنميتها، وتعزيز تراث المدينة، وتطوير مناطق الجذب السياحي الرئيسة، مثل الدرعية القديمة، ووادي حنيفة، والمنطقة التاريخية بوسط المدينة وغيرها.
- دعم مراجعة الأنظمة المالية وتشجيعها، وخاصة نظام المؤسسات المالية، لضمان عمل الاقتصاد على أساس تنافسي عالمي.
- تطوير إدارة للتنمية الاقتصادية تتولى مسؤولية القضايا الاقتصادية، وتنفيذ إستراتيجية التنمية الاقتصادية ومتابعتها.

ثالثًا ـ الإستراتيجية البيئية:

تهدف إستراتيجية إدارة البيئة وحمايتها إلى تحقيق مبدأ الاستدامة البيئية في تخطيط مدينة المستقبل وبنائها، والمحافظة على الموارد الطبيعية، وتحسين جودة البيئة في المدينة، واستغلالها بطريقة مستديمة تلبي احتياجات الجيل الحالي والأجيال القادمة؛ بإذن الله.

وقد وضعت السياسات والإجراءات اللازمة لمواجهة هذه التحديات، ومن أبرزها:

- ضرورة تحديد مسؤولية إدارة البيئة وحمايتها، وتنسيق الجهود المتعلقة بالقضايا البيئية فيما بين الجهات ذات العلاقة.
- ضرورة حماية الموارد البيئية المختلفة واستغلالها (موارد المياه، المناطق الطبيعية، الثروات الطبيعية).
- ضرورة إقرار أنظمة وتشريعات بيئية وتطويرها لمراقبة

تبنت الهيئة في إعداد الخطط منهجية تقوم على تعزيز قنوات الاتصال والتشاور مع جميع الجهات ذات العلاقة، ومع سكان المدينة في العملية التخطيطية لتنمية المدينة في المستقبل. وإشراك المسؤولين والمواطنين في عملية التخطيط، من خلال اللقاءات وورش عمل

www.ahlaltareekh.com


زيادة الاستثمار الاقتصادي جزء أصيل في المخطط الإستراتيجي

التلوث، والتحكم في مصادره المختلفة، وإجراء التقويم البيئي لمشروعات التنمية المختلفة.

- ضرورة وضع إستراتيجية للنفايات في المدينة، وذلك للتعامل مع النفايات، واستغلالها وتفادي آثارها السلبية في البيئة.
- ضرورة وضع خطط بيئية تنفيذية لتطبيق إستراتيجية وادي حنيفة، وتحسين المناطق المتضررة بيئياً في المدينة، كالمنطقة الجنوبية الشرقية.
- ضرورة البدء بوضع برامج تعليم وتوعية وتدريب، لزيادة الوعي البيئي في المجتمع على جميع المستويات.

ويجري حالياً، ضمن برنامج التخطيط الإستراتيجي المستمر، العمل على إعداد:

- خطة حماية الموارد البيئية.
- خطة تطوير المناطق المفتوحة.
- الإطار المؤسسي لإدارة البيئة وحمايتها.
- خطة الإصلاح البيئي لمنطقة جنوب الرياض.

وضمن برنامج التخطيط الإستراتيجي المستمر، سيبدأ العمل بالعناصر الأخرى المرتبطة بقطاع البيئة التي تشتمل على خطة بيئية لإدارة النفايات الصلبة، والنفايات الخطيرة، وتهدف الخطة إلى الحد من إنتاج النفايات الصلبة الخطيرة، وتقليل كمياتها وخطورتها، وجمع النفايات ونقلها بوسائل اقتصادية تحافظ على بيئة المدينة، ومظهرها العام، والتخلص من تلك النفايات بطرائق بيئية سليمة، وإعادة استعمال بعض مكوناتها، وفرزها وتدويرها، واستغلالها اقتصادياً.

رابعًا - إستراتيجية النقل:

تهدف إستراتيجية النقل إلى توفير سبل التنقل الآمن واليسير، عن طريق تطوير نظام نقل يفي بمتطلبات التنقل القائمة والمتوقعة في ظل استمرار النمو السكاني الكبير، على أن يتكامل هذا النظام مع اتجاهات النمو الحضري للمدينة، وبطريقة مستديمة. وقد تم وضع عدد من السياسات لتحقيق الأهداف المنشودة، من أهمها ما يأتي:

- تطوير عناصر شبكة الطرق ومرافق النقل، برفع كفاءة العناصر القائمة، وإضافة عناصر جديدة، وتحديد


أصبحت الرياض مركزاً قياديا في الأبحاث العلمية والتقنية

www.ahlaltareekh.com



أولويات التطوير وفق الخطة المرحلية للتطوير.

- وضع برنامج إدارة مرورية شامل، يُعنى برفع كفاءة تشغيل نظام النقل، ورفع مستوى السلامة المرورية على شبكة الطرق.
- تطوير نظام النقل العام بالمدينة وتفعيله: بغية توسيع قاعدة النقل، وتوفير بدائل فاعلة للتنقل لجميع فئات المجتمع، تقلل من الاعتماد على استخدام المركبات الخاصة.
- تطوير آليات التمويل والاستثمار في نظام النقل؛ بهدف التقليل من الاعتماد على الدعم الحكومي؛ وزيادة مشاركة القطاع الخاص.
- وضع المعايير لتحقيق التكامل بين تخطيط استخدامات الأراضي والأنشطة الحضرية المختلفة، وتطوير عناصر نظام النقل بشكل يساعد على ترشيد استخدام هذا النظام.
- تطوير الهياكل المؤسسية والإدارية والكوادر البشرية والإمكانات التقنية القادرة على تقويم أداء نظام النقل باستمرار وتفعيلها، وتوصيف الإجراءات الكفيلة بتطوير هذا النظام وتحديثه، بما يتلاءم مع متطلبات التنقل القائمة والمتوقعة بالمدينة.

وقد تم في هذا المجال إنجاز:

خطة تطوير شبكة الطرق المستقبلية بالمدينة حتى عام ١٤٤٢هـ: وتتضمن رفع كفاءة بعض عناصر شبكة الطرق القائمة، وإضافة عناصر جديدة من شبكات الطرق، وتحديد أولويات التطوير ضمن خطة خمسية تنفيذية مع تقدير المتطلبات المالية، وتحديد الجهات المعنية بالتنفيذ. كما تم تشكيل لجنة عليا لمتابعة تنفيذ الخطة، وتحديد الجهات المسؤولة، وبحث سبل توفير الاعتمادات المالية اللازمة لكامل الخطة.

المخطط الإستراتيجي الشامل ورؤية مستقبلية متسعة المدى

ويجري العمل حالياً ضمن برنامج التخطيط

www.ahlaltareekh.com

الإستراتيجي المستمر على تطوير النقل العام بمدينة الرياض، وتم البدء بإعداد خطة شاملة لتطوير قطاع النقل العام بالمدينة تبحث في مسارات النقل العام ووسائطه ومرافقه الملائمة، والهياكل المؤسسية المناسبة، والموارد اللازمة لقيام نظام النقل العام المنشود لخدمة جميع مناطق المدينة وتم تحديد المرحلة التنفيذية الأولى للنقل العام (القطارات الخفيفة)، وتحديد محورين رئيسين يخترقان المدينة من الجنوب الى الشمال (محور البطحاء العليا)، ومن الشرق الى الغرب (محور طريق الأمير عبدالله)، ويجري حاليًا وضع التصاميم التنفيذية لهما، وبحث سبل إدارة هذا المشروع الحيوي وتمويله.

كما يجري العمل حاليًا على إعداد دراسة شاملة للإدارة المرورية على مستوى المدينة، تهدف إلى تحسين الإدارة المرورية من خلال رفع كفاءة تشغيل الإشارات الضوئية، ووضع خطة توفير وإدارة المواقف، وتقويم وتوظيف أنظمة النقل الذكية والتقنيات الحديثة، ورفع مستوى السلامة المرورية، وسبل توفير بيئة ملائمة للمشاة (أرصفة وممرات ومعابر). كما يجري العمل على رفع مستوى التكامل بين استعمالات الأراضي وتخطيط النقل، وتطوير الهياكل المؤسسية، وتطوير بدائل تمويل اقتصاديات النقل.

تهدف إستراتيجية إدارة البيئة وحمايتها إلى تحقيق مبدأ الاستدامة البيئية في تخطيط مدينة المستقبل وبنائها، والمحافظة على الموارد الطبيعية، وتحسين جودة البيئة في المدينة، واستغلالها بطريقة مستديمة تلبي احتياجات الجيل الحالي والأجيال القادمة؛ بإذن الله

تهدف إستراتيجية التنمية الاقتصادية إلى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة، وذلك من خلال تنويع القاعدة الاقتصادية، وزيادة مصادر دخل المدينة، والحدّ من تسربات الدخل، والاستفادة من مكانة المدينة ومزاياها التنافسية؛ لتعزيز دورها بوصفها مركزًا ماليًا وتجاريًا

خامسًا - إستراتيجية الإسكان :

تهدف إستراتيجية توفير الإسكان إلى وضع الآليات لتطوير قطاع الإسكان؛ من أجل مواكبة الطلب على الإسكان في المدينة، وتيسيره، وتحسين البيئة السكنية المبنية، وتوفير الاحتياجات الأساسية لجميع فئات المجتمع.

وقد تم وضع عدد من السياسات لتحقيق الأهداف المنشودة في هذا الجانب، ومن أهمها ما يأتي:

- العمل على وضع آليات تعنى بربط قطاع الإسكان مع بقية قطاعات الاقتصاد الوطني والمحلي، مثل: قطاع صناعة مواد البناء والتمويل والخدمات.
- تطوير آليات جديدة لتمويل الإسكان في المدينة، وتطوير الأنظمة اللازمة لقيام المؤسسات المالية بمزاولة نشاط تمويل الإسكان في ظل مناخ استثماري مستقر وآمن.
- توفير التنوع في المساكن داخل الأحياء والمخططات الجديدة، لتشجيع التجانس الاجتماعي، وتوفير فرص أكبر للسكان، في اختيار مساكنهم.
- توفير الخدمات العامة، والأنشطة التجارية والمحلية اللازمة لسكان الأحياء السكنية، مع مراعاة المتطلبات الأساسية، مثل: الخصوصية والسلامة والأمان والعلاقات الاجتماعية.
- وضع برامج لتحسين مستوى التصميم، العمراني

www.ahlaltareekh.com



المخطط الإستراتيجي الشامل يهدف إلى تطوير شبكة الطرق

للشوارع والأماكن العامة، وتوفير بيئة مناسبة للمشاة داخل الأحياء السكنية.

- وضع مقاييس تصميمية وقواعد إرشادية لتخطيط الأحياء السكنية، وتشجيع مبدأ المسؤولية الجماعية عن الأماكن والخدمات المشتركة داخل كل حي سكني، مع تأكيد دور المسجد بوصفه مركزاً للحي السكني ونقطة التقاء السكان.
- حفز مشاركة السكان وتدعيمها في تخطيط أحيائهم السكنية، وتحسينها وصيانتها وتمويلها؛ لتقليل الاعتماد على القطاعات الحكومية.

وقد تم في هذا المجال عقد ندوة «مستقبل الإسكان بمدينة الرياض»، التي هدفت إلى مناقشة العوامل المساهمة في توفير الاحتياجات الإسكانية في المستقبل، وتطوير تخطيط الأحياء، ودعم مشاركة القطاع الخاص في مشروعات الإسكان.

سادساً - إستراتيجية المرافق العامة:

تهدف إستراتيجية توفير المرافق العامة (كهرباء، ماء، هاتف، صرف صحي) إلى رفع مستوى المرافق العامة،

www.ahlaltareekh.com







واستكمال العجز الحالي، وتأمين شبكة متكاملة جيدة الأداء للمرافق العامة، وتطبيق إدارة الموارد المثلى على تلك المرافق. وذلك من خلال تطبيق السياسات التي من أهمها:

- تكامل العناصر التخطيطية والإدارية فيما يتعلق بموارد المياه المختلفة، من أجل المحافظة على هذا المورد المهم في المدينة، واستمرار توفير احتياجات المدينة من المياه للأغراض المختلفة، وبما يكفل حماية الصحة العامة والبيئة، وفق سياسات تعتمد على ترشيد الاستهلاك، وإعادة تدوير المياه.
- إنشاء محطات غير مركزية في مختلف أنحاء المدينة لمعالجة المياه، وإعادة تدويرها، واستخدام المياه المعالجة في المدينة للأغراض المناسبة، وسيؤدي ذلك إلى تخفيض الاحتياجات المستقبلية لمياه الشرب بنحو ٤٠٪ متى ما تم تبني مبدأ إعادة الاستخدام، وترشيد الاستهلاك وتطبيقه.
- إعداد برنامج تسيقي لتوفير المرافق العامة؛ بما يتوافق مع الخطة المرحلية لتنمية الأراضي وتطويرها، بمشاركة الجهات ذات العلاقة ومطوري الأراضي؛ بغية إشراك القطاع الخاص في عملية تمويل توفير المرافق العامة.

وقد تم في هذا المجال إنجاز:

خطط مرحلية لإيصال المرافق العامة، فتم وضع خطط مرحلية لإيصال المرافق العامة لجميع مناطق التطوير الحضري بالمدينة حتى عام ١٤٤٢هـ.

ويجري حالياً التنسيق مع أجهزة المرافق العامة كافة للحصول على المعلومات والبيانات الخاصة بالوضع الراهن، والخطط الموضوعة من قبل تلك الأجهزة، وربطها بخطط المرافق العامة الموضوعة في هذه الخطط.

وضمن برنامج التخطيط الإستراتيجي المستمر لقطاع المرافق العامة يجري العمل على دراسة إعادة استعمال المياه.

www.ahlaltareekh.com



مملكة القس يوحنا «برستر جون»

سمير عطا

القاهرة ـ مصر

مملكة لا وجود لها، لشخصية ملك خرافي.. ظلت تداعب خيال الصليبيين في كل دول أوربا طوال عدة قرون على أمل العثور عليه، للتحالف معه والاستعانة به، على القضاء على الإسلام، والسيطرة على بيت المقدس.

اسمه لدى الكتّاب والرحّالين والمؤرخين «برستر جون Prester John»، ومع أن الفكر الأوربي الصليبي ظل مشغولاً به، يلهث وراءه طوال عدة قرون في العصور الوسطى، من القرن الحادي عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر، إلا أن أحدًا من المؤرخين والكتّاب العرب والمسلمين لم يوله اهتمامًا بالكتابة عنه، أو تحقق أمره، مع أنه كان علامة ورمزًا للتعصّب الصليبي الذي واجه دول الإسلام خلال هذه القرون؛ ذلك لأن المسلمين كانوا في ذلك الوقت - حتى في سنوات التفكك - هم النبراس الذي تنهل منه القوى الغربية الصاعدة علمًا وفكرًا ودراسة، ولم يكن العرب يتابعون في ذلك الوقت مناحي التطور في العقلية الأوربية، وطموحات الأوربيين المتزايدة، وما يشغل بالهم إلا من خلال التطاحن الظاهر المتمثل في اعتداءاتهم المستمرة والمتواصلة على بلاد الإسلام بقوى مسيحية تهبط عليهم من الشمال، وأخرى وثنية تسعى إليهم من الشرق في الوقت الذي سعت إليه القوتان بإلحاح ومثابرة وأمل في العثور على تلك

www.ahlaltareekh.com



الشخصية المسيحية الخرافية التي ذاع نبؤها طوال هذه القرون.

حلم أوربي

ظهر اسم برستر جون أو القس يوحنا أول مرة عام ١١٤٥م، وتداولت الألسن في أوربا الحديث عنه بين وقت وآخر حتى بداية القرن السابع عشر؛ ذلك أن الفكر الأوربي كان يطمح دائمًا طوال هذه الفترة إلى وجود قوة نصرانية خارج النطاق الأوربي تساعد الصليبيين على صراعهم ضد المسلمين. وكانت الأقاصيص التي تشير إلى هذه القوة تحت زعامة وقيادة «ملك قسيس»، وتشير أيضًا إلى إمكانية أو أمل وجوده في الشرق الأقصى، إذ كان الاعتقاد السائد لدى الأوربيين في العصور الوسطى أن جنة عدن تقع بالشرق الأقصى، لذلك اتجه التفكير إلى إمكانية وجوده في وسط آسيا، ثم انتهت إلى تصور هذا الوجود في إفريقية، ومع ازدياد المعرفة الجغرافية تعددت الأماكن التي يمكن أن يكون بها هذا «الملك - القس»، وأصبح الحديث عنه له جاذبية شديدة وسحر خاص عند

www.ahlaltareekh.com



من معالم مدينة فيتربو

الأوربيين في العصور الوسطى، حتى أصبح دافعًا قويًا من دوافع حركة الاستكشاف الجغرافية في آسيا وإفريقية.

ساعد على ذلك ما احتوته الميثولوجيا الأوربية في العصور الوسطى من إرهاصات وأفكار، وما صاحب الحديث عما رآه «الإسكندر الأكبر» من عجائب، وهو يعبر أقطار آسيا بلدًا بعد الآخر، والحديث عن «يأجوج ومأجوج»، والسد الذي بناه الإسكندر لمنع هؤلاء المتوحشين من اجتياح العالم آنذاك، وهذا ما ألهم الأوربيين بضرورة أهمية وجود مانع أو حائل خارج حدود بلادهم يساعدهم، ويقوي عضدهم، ويقف معهم في صراعهم مع الأعداء - المسلمين، وهم - دينيًا - لا ينسون قصة الحكماء الثلاثة الذين جاؤوا من أقطار الأرض البعيدة بهدايا من الذهب والمرّ واللبان قدموها ليسوع الطفل عند مولده في بيت لحم، وهذا لا يستبعد معه في حلمهم وجود قوى وحكام أصدقاء للعقيدة المسيحية. ويقوّي من هذه الأفكار ما

استمر أمل العثور على "برستر جون" ومملكته. يطفو على السطح كلما ألّمت الأزمات بالصليبيين. وأصبحت أكثر إلحاحًا مع انتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم. واسترداد القدس عام ١١٨٧م. ومغادرة ريتشارد قلب الأسد الأراضي المقدسة دون أن يحقق أمله فيها

www.ahlaltareekh.com


نصب تذكاري للمكتشفين البرتغال في لشبونة

يعتقده اليهود من وجود «القبائل العشر لإسرائيل» في مكان ما من قارة آسيا، ربما وراء سد يأجوج ومأجوج، ومن ثم فليس من المستبعد أيضًا أن يظهر «المسيح المخلّص» من بين هذه القبائل، وأخيرًا ما تعيه الذاكرة الأوربية عن رحلات قديمة لنشر المسيحية في آسيا قام بها «القديس توماس» في الهند والصين، وقامت بها، على أثر هذه الرحلات، مجتمعات مسيحية، وإن لم تكن مسيحية خالصة، لكنها كانت على صلة بين وقت وآخر بالأرض المقدسة في فلسطين. بل قام مبعوثون من هذه المجتمعات بزيارات لروما، منها تلك التي قام بها بطريرك كنيسة «سانت توماس» في الهند إلى روما نحو عام ١١٢٢م، وكان اسمه «جون»، وقد تركت زيارة هذا البطريرك لروما أثرًا كبيرًا لدى بابا روما «كاليكتوس الثاني Pope Calixtus II بما قصه من حكايات وأنباء ام يتقبلها البابا أول الأمر لغرابتها وجاذبيتها إلا بعد أن أقسم البطريرك بصحة ما يقوله حين قال: إنه يحكم - مملكة كبيرة عاصمتها تسمى «أُوْلنا Ulna» تحيطها جدران لا يبلغ المرء آخرها حتى ولو سار أربعة أيام، يشقها نهر فيسون Phison أو «الجانجيز» واحد من الأنهار الأربعة التي تنبع من الجنة، وهي «فيسون»، المحيط بجميع أرض «الحويلة»، حيث الذهب، و«جيحون» المحيط بجميع أرض كوش «وحدّ أقل» الجاري شرق آشور و«الفرات».. وبأُوْلنا ضريح القديس توماس الذي يضفي بركته الدائمة على المدينة.. وأضاف البطريرك أنه يمكن أن يكون حليفًا ذا فائدة كبيرة لملّة النصرانية عند الحاجة إليه.

ترك لنا "دي جوانفيل" الذي صاحب لويس التاسع في حملته على مصر سببًا لهذه الحملة إلى جانب النعرة الدينية. وهو أن القاهرة كانت تصل إليها كميات هائلة من التوابل. تأتيها من "جنة عدن". وتحمل من هناك إلى جميع أنحاء المعمورة. وتوفر دخلاً كبيرًا لمن يسيطر على مصر

مستنقع عميق

وعندما ظهرت أسطورة «برستر جون» أول مرة عام ١١٤٥م كانت حاجة الصليبيين ملحّة إلى وجود مثل هذا الحليف القابع وراء حدودهم وحدود أعدائهم المسلمين.. فالظلام الذي كان يحيط بالموقف السياسي والحالة التعسة البائسة التي تدهورت إليها شؤون البارونات الألمان الأشراف في فلسطين، حتى لكأنهم سقطوا في مستنقع عميق.. كل هذه الأمور جعلت من هذا الملك الذي لا تعرف

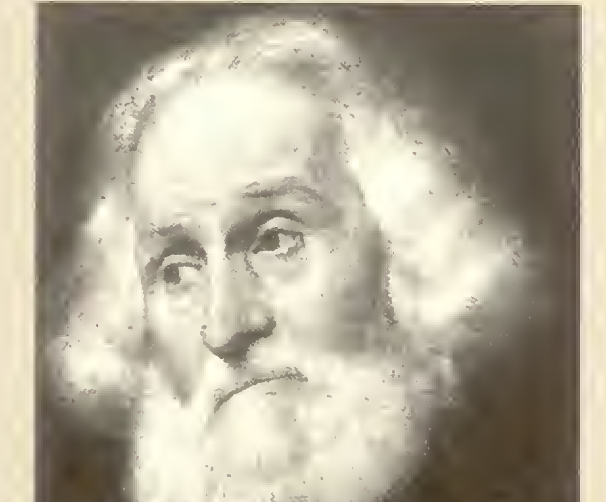
www.ahlaltareekh.com

له صورة ولا مستقر. شعاعًا من نور يستضاء به.

كانت المملكة اللاتينية في القدس قد انقضى على تأسيسها أربعون عامًا عقب الحملة الصليبية الأولى، وكان لدول الغرب المسيحية من المشاغل ما حال دون اهتمامها بما يجري من الأحداث في سورية، وكانت ملكة القدس الشابة «ميليسند» Milissende عاجزة عن نجدة البارونات، وسقطت إمارة «الرها» Edessa في يد نور الدين زنكي أمير الموصل عام ١١٤٤م في معركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الحروب الصليبية، فانخلعت قلوب الصليبيين، ولم يكن ثمة أمل في أي نجدة إلاَّ إذا استقدمت من العالم المسيحي، فأرسلت الرسل إلى بيزنطة وروما لاستجداء المعونة، ومصارحة ملوك المسيحية وزعمائها بواقع الأمر.. وكانت جميع المظاهر تدل على أن لا سبيل لإنقاذهم إلا بحملة صليبية أخرى.

وعلم البابا أيوجين الثالث Pope Eugenius III بسقوط الرها من أسقف جبلة Jabala الذي أوفدته ميليسند، وكان البابا في زيارة لمدينة فيتربو Viterbo الإيطالية في خريف عام ١١٤٥م، وحضر الاجتماع المؤرخ الألماني أتو الفريزي Otto Of Freisinen، ودوّن هذا الحدث. وفي اجتماعه بالبابا أشار الأسقف إلى أن سقوط الرها في يد المسلمين يدعو إلى تدعيم وجهة النظر الباحثة عن معونة للنشاط الصليبي من خارج نطاق أوربا. وأضاف الأسقف أن هناك في الشرق البعيد ملكًا - قسًا يدعى «جون» يحكم شعبًا مسيحيًا، فيما وراء فارس وأرمينيا، وإن كان على المذهب «النسطوري» Nestorian. وأن هذا الملك - القس قد هزم المسلمين في «فارس» واستولى على عاصمتهم، وأنه بعد انتصاره هذا حاول أن ينطلق بجيشه لمساعدة إخوانه المسيحيين في الغرب (الشام) غير أنه لم يستطع عبور نهر دجلة فسار مصعدًا بجانب النهر، آملا أن يجد مكانًا حيث تتجمد مياه النهر في الشتاء فيعبر منه.. لكن الحظ لم يواته، فإنه مع انتظاره الطويل لم يتجمد ماء النهر بل فقد كثيرًا من رجاله بسبب سوء الطقس البارد، فاضطر معه إلى أن يعود إلى بلاده..


لويس التاسع


ماركو بولو

وقال الأسقف إن هذا الملك - القس من سلالة المجوس Magus الذين ورد ذكرهم في الإنجيل، وإنه أيضًا

www.ahlaltareekh.com


هنري الملاح

من سلالة واحد من الحكماء الثلاثة الذين جاؤوا «لعبادة المسيح» في مهده.

كان هذا الحديث يقرب مما حدث تاريخيًا عام ١١٤١م عندما لقي السلطان السلجوقي «سنجار» هزيمة ساحقة في «كتوان» Katwan بالقرب من سمرقند بآسيا الوسطى على يد مغول الكاراكيتاي Kara Kitay الذين زحفوا على آسيا الوسطى من موطنهم الأصلي في شمال الصين يقودهم الزعيم كوتشلوك Kutchluk زعيم عشيرة النايمان Naiman. و«كاراكيتاي» أو «كيتاي السود» هم فرع من «الكيتانز Kitans» الذين حكموا شمال الصين من عام ٩٣٦م إلى عام ١١٢٢م حتى هزمتهم جماعة مغولية أخرى تدعى «كين» Kin .. فهاجر «الكاراكيتاي» إلى وسط آسيا مجاورين للسلطنة السلجوقية.. ومن هذا الاسم «كيتاي» اشتق «ماركو بولو Marco - Polo» الرحالة البندقي الإيطالي اسم «كاتاي» Kathay الذي أطلقه على الصين عند رحلته إليها.

وقد يبدو من تطابق القصتين أن الأسقف قد خلط بين «جون» المسيحي النسطوري، ويليوتاشي Yeli'u Tashi إمبراطور «الكاراكيتاي».. غير أن يليوتاشي لم يكن مسيحيًا، ومن ثم رأى الأسقف أن من هزم السلاجقة «ليس رجلاً مسلمًا»، وهذا يكفي.

هذه الإرهاصات حول شخصية «برستر جون» لم تفد الصليبيين حتى الآن؛ لأنهم لم يروا أمامهم جيشًا له، ولم يمدّ أحد خارج نطاق حدودهم المعونة لهم، ومع ذلك قام برنارد دي كليرفو Barnard de Clairv بالدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية التي اشترك فيها المؤرخ الألماني «أوتوفريزنجن» غير أنها انتهت كما انتهت الحرب الأولى نهاية سيئة بالنسبة إليهم، ولم يظهر «القس يوحنا - برستر جون» ليمد يد المعونة لهم أو عثر له على أثر..

رسالة مزورة

حتى كان عام ١١٦٥م (وفي رواية أخرى عام ١١٨٠م) حين بدرت بادرة أحييت الأمل من جديد حين قيل إن الإمبراطور البيزنطي «مانويل كومنينوس» Manuel Camne-nos والإمبراطور «فردريك بربروسا» Fredric Barburosa، وبابا روما قد تلقوا رسالة من «برستر جون» نفسه بسط فيها «بلهجة المتكبر المتعالي»، وبأسلوب تكلف فيه الفصاحة ما له من عظيم القوة، ووفرة المال، مع كثرة عدد الملوك الذين يدينون له بالطاعة. وجاء في الرسالة أنه مسيحي على مذهب «القديس توماس» وأن مملكته تقع في الهند، وخاطب

www.ahlaltareekh.com

ملوك أوربا قائلاً: لقد قررنا أن ننطلق للقتال في سبيل الرب على رأس جيش لجب لاخضاع أعداء المسيح وإذلالهم، ولرفعة اسمه المقدس.. وتم نشر نسخ من هذه الرسالة في كل دول أوربا، ولقيت مردودًا شعبيًا كبيرًا، وأطلقت العنان للخيال بغير حساب، وصارت تتلى في الأديرة، وفي بلاد ملوك أوربا، وجرى استغلالها لزيادة الروابط بين البابوية وملوك أوربا؛ استعدادًا للحرب الصليبية الثالثة.

كان واضحًا أن الرسالة مزورة، ونسبت إلى أسقف ألماني من ماينز Mayence بألمانيا اسمه كرستيان Christian، وكان هذا الأسقف قد قرأ ما سبق أن قيل عن وجود ملك مسيحي قهر الكفار المسلمين اسمه القس يوحنا «جون» فاتخذ من هذه الرواية مادة للسخرية من عوامل الممالك المسيحية في أوربا بعد ما أضفى على هذه الشخصية من الصفات والأساطير مثل ما نسجته القرون الطويلة حول شخصية الإسكندر الأكبر، وكأنه بذلك يجري قلم شخصية القس يوحنا بمداد شخصية هي ملك التاريخ، ومن معالمه. ومن ثم لم يظهر أثر لهذا الملك ومملكته الثرية الغنية.

الحبشة في الهند

ثم تجدد الأمل مرة أخرى على عهد البابا الكسندر الثالث عام ١١٧٧م.. فما كاد يبلغه طبيبه الخاص بأنه تقابل مع رسل من لدن ملك الحبشة في بيت المقدس أفضوا إليه برغبة الملك في التفقه في المذهب الكاثوليكي ونبذ المذهب النسطوري، ويريد الآن له بناء كنيسة في روما وإقامة مذبح في كنيسة المهد بالقدس.. سرّ البابا من ذلك وصدّق أو تظاهر بأنه يصدق هذه الرواية وحمّل طبيبه رسالة إلى الحبشة خاطب ملكها فيها بعظمة ملك الهند وقدس الأقداس وروّج لذلك تدعيمًا لموقفه وانتصاراته التي حققها في صراعه الذي كان قد نشب بينه وبين فردريك بربروسا في ذلك الوقت، وكانت الفكرة السائدة آنذاك أن الحبشة جزء من الهند أو أنها تمتد إليها، كما كانت تظهر في الخرائط الأولية في شبه قوس دائري يربط بين إفريقية وآسيا جنوبًا، ويحمل اسم «الحبشة» أحيانًا، و«أثيوبيا» أحيانًا . أخرى.

وعلى الرغم من أن الطبيب البابوي لم يعد من بعثته، وعلى الرغم مما في هذه الرواية من خطأ؛ إذ إن الكنيسة الأثيوبية أرثوذكسية المذهب.. فإن افتراض وجود مثل هذا الملك . القس قد ازداد رسوخًا بسبب زيارة قام بها إلى روما بطريق النصارى في الهند من أتباع مذهب القديس توما، وكانت مرتبته هذه ترفعه إلى مرتبة الملوك، وعلى الرغم من عدم عودة المبعوث البابوي فقد عمل البابا على نشر فقرات من رسالته إلى «برستر جون» المزعوم وزّعت في ممالك أوربا، وظهرت في الحوليات الإنجليزية في القرن الثالث عشر. وهكذا استمر أمل العثور على «برستر جون» ومملكته، يطفو على السطح كلما ألمّت الأزمات بالصليبيين، وأصبحت أكثر إلحاحًا مع انتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم، واسترداد القدس عام ١١٨٧م، ومغادرة ريتشارد قلب الأسد الأراضي المقدسة دون أن يحقق أمله فيها. وفي الحروب الصليبية الرابعة سيطر النزاع بين الصليبيين وإخوانهم المسيحيين في بيزنطة على مسارها حيث أضعفت وأنهكت الجناح البيزنطي لما أصابهم من اعتداءات الصليبيين، وهم في طريقهم إلى

يعزو "ماركو بولو" هزيمة البرستر جون أمام جنكيز خان إلى افتقاد "الملك القس" إلى السمات التكتيكية التي يتمتع بها المغول.. فعندما أرسل جنكيز خان سفراءه إلى "برستر جون" ليطلب يد ابنته كزوجة له تلقى جنكيز خان ردًا مهينًا كان سببًا لاشتعال الحرب بين الجانبين

www.ahlaltareekh.com

الشام، كما انتهت حملة الأطفال عام ١٢١٢م بمأساة إنسانية مروعة، فقد غرق معظمهم في الطريق، كما اختطف من بقي منهم قراصنة أوربا وباعوهم في أسواق مصر.. كانت هذه الحملة تمهيدًا للحملة الصليبية الخامسة بغرض إثارة نخوة المسيحيين في أوربا بعد أن تضعضعت الروح الصليبية لفترة، ولذلك ذاع في أوربا أن أحد الصبيان الرعاة في فرنسا، واسمه ستيفن Steven قال: إن العذراء قد ظهرت له، وطلبت منه أن يذهب إلى الأراضي المقدسة، كما قيل: إن طفلاً آخر في ألمانيا اسمه نيقولا Nicola رأى الرؤية ذاتها وبالفعل خرج آلاف الأطفال في هذه الحملة انتهت نهاية مأساوية هزت الشعور الأوربي، ومع ذلك لم تنجح الحملة الصليبية الخامسة بعد عدم نجاح هجمات الصليبيين على مصر عام ١٢١٨م، مما جعلهم يتوجهون إلى «الرب» طالبين العون من لدنه ضد أعدائهم.. وقيل: إن «الرب» قد استجاب لهم حيث تسلم البابا «هونوريوس الثالث Honories III في عام ١٢٢١م رسالة من أحد الأساقفة يبشره فيها بأن داوود David ملك الهند وسليل «برستر جون» قد هاجم «الكفّار» المسلمين بثلاثة جيوش، وأن أحد هذه الجيوش قد أصبح على بُعد خمسة عشر يومًا من «أنطاكية» وقال: أخيرًا ظهر من يطرق الكفّار على رؤوسهم.. وهذا ما طرب له يهود الشرق الذين رأوا في «داوود» المسيح المخلص. ثم ظهر أنه لم يكن لهذه الرسالة أي سند ما عدا ما ذكره هذا الأسقف، ومع ذلك ترددت هذه المقولة مرة أخرى عام ١٢٧٩م حين أعلن أسقف «عكا» جاك دي فيرتي Jaques de Virty أن اسم القس يوحنا الحقيقي هو داوود، وأنه قائم بوضع خطة للهجوم على مكة.

قام راهب (لا يذكر التاريخ اسمه) بجولة في بلاد أوربا وآسيا وشاطئ إفريقية العربي ثم عاد بجوب شاطئ إفريقية الشرقي، فزار دنقلة والنوبة والحبشة. ووضع كتابًا عن رحلته أسماه "كتاب المعرفة بجميع الممالك والأقطار والأمراء في العالم"

أهو جنكيز خان؟

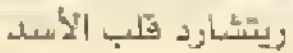
في ذلك الوقت.. وبينما كان الصليبيون يخفقون في حملاتهم ضد مصر عام ١٢١٨م كان جنكيز خان يقضي على إمبراطورية «الكاراكيتاي»، وبعد ذلك بعامين اكتسح إمبراطورية «خوارزم» الإسلامية القوية التي كانت تسيطر منذ نهاية القرن الثاني عشر على الأراضي الواقعة بين نهري «أكسوس» Oxus و«ياكزارتيس» Jaxartes، وامتد سلطانها على معظم بلاد فارس.

وفي عام١٢٢١م زحف جيش مغولي كبير على بقية فارس، وبلاد ما وراء النهر، ثم واصل زحفه إلى القوقاز، ممّا أوحى إلى بعضهم أن «داوود» هذا الذي أشارت إليه الرواية السابقة على عهد البابا هونوريوس الثالث هو جنكيز خان وذلك لفرط عداوته للإسلام.. خصوصًا أن بعض القبائل المغولية قد بدأت تعتنق المسيحية مع بقاء الأكثرية على عقائدهم، ومن ثم إذا كان بينهم مسيحيون فما الذي يمنع أن يكون جنكيز خان هو «داوود» برستر جون..

وعلى الرغم من أنه قد اتضح أن جنكيز خان ليس القس يوحنا، إلاّ أن عددًا من البابوات ظلوا يواصلون إيفاد السفارات إلى خانات المغول.. وفي عام ١٢٤٣م جاء إلى البابا أنوسنت الرابع Innocent Iv، وهو الذي دعا إلى الحملة الصليبية السابعة، وشجّع لويس التاسع ملك فرنسا عليها، من يؤكد له أن المغول يعبدون «الرب» وليسوا كفرة كالمسلمين وأنهم يتخذون من القديس «البابتستي» Babtist حاميًا لهم.. وفي عام ١٢٤٥م أوفد البابا بعض المندوبين المفوضين إلى باتوخان في مقره على نهر «الفولجا»

www.ahlaltareekh.com


الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي لم تهدأ عبر قرون



ريتشارد قلب الأسد

فأرسلهم هذا الأخير إلى الخان الأعظم «مانجو» بمركز قيادته العام في «كوراكورم» حيث التقوا هناك عددًا من المسيحيين النسطوريين.. وكتب واحد من هؤلاء المفوضين، هو الراهب الدومونيكي جيوفاني بلانو كاربيني Giovanni Plano Carpini عدة تقارير إلى البابا، وصف فيها كل ما رآه وسمعه في طريق رحلته الطويلة في بلاطي «باتوخان» و«مانجوخان»، لكنه ضمّن تقاريره قصة زادت الأمر تعقيدًا بالنسبة إلى شخصية «برستر جون» إذ قال: إن جنكيز خان الذي أسس إمبراطورية في «كاثاي - الصين» قد حارب الملك - القس يوحنا الذي كان يعيش ويحكم في إقليم «تندك» أحد أقاليم «كاثاي» كما ضمّن تقاريره أن جنكيز خان عندما حاول غزو «تندوك» تصدى له «القس يوحنا» أول الأمر، وأرغمه على التراجع، فقد كان يطلق على قوات جنكيز خان جيادًا تحمل متفجرات على ظهورها فتتفجر بين هذه القوات وتكبدها خسائر فادحة.. وجاء في فقرة أخرى أن «برستر جون» وابنه «داوود» كان المغول يدفعون لهما جزية حتى جاء جنكيز خان، وأوقف ذلك، ثم قام بغزو

تحالف أمراء الفرنجة في الشام مع "هولاكو" Hulagu حفيد جنكيز خان الذي قضى على الخلافة العباسية في بغداد، ومؤسس أسرة "الإيلخانات" في فارس. وقد أدّى دورًا مهمًّا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. وهذا ما أهله لأن يعدّه الصليبيون "برستر جون" الذي كثيرًا ما بحثوا عنه

www.ahlaltareekh.com

بلادهما.. وهو ما ترتب عليه رفض فكرة أن يكون جنكيز خان هو «برستر جون» من جهة، ويؤكد من جهة أخرى اعتبار «القس يوحنا» عاهلاً نسطوريًا بصورة أقرب إلى اليقين إذا اعتمدت رواية «كاربيني».

غير أنه في عام ١٢٤٩م وصل جزيرة قبرص مبعوثون من قبل أحد الخانات، ومعهم خطاب للويس التاسع ملك فرنسا مرسل من عاهلهم الذي كان قد اعتنق المسيحية حديثًا على قولهم. وفي الخطاب يعرض الخان على سان لويس التحالف معه ويعده بالمساعدة على طرد الكفار من فلسطين، وبخاصة من بيت المقدس، فسرّ سان لويس لذلك سرورًا عظيمًا وتلطف كثيرًا في استقباله مبعوثي الخان، وأرسل من فوره صورة من الخطاب لأمه الملكة «بلانش». وقد ذكر المؤرخ والرحالة «دي جوانفيل» في مؤلفه «حياة سان لويس» أن مبعوثي الخان الذين تخلقوا بأحسن ما يكون عليه الخلق المسيحي. أفهموا الملك أن الخان نسطوري المذهب وأنه من المحتمل تحويله إلى المذهب الكاثوليكي، فيكون ذلك كسبًا للكاثوليكية.

البحث عن جنة عدن

كان لويس التاسع يتجهز للهجوم على مصر في حربه الصليبية السابعة، وقد أقام فترة في قبرص، وهو في طريقه

عندما حاول المسلمون استعادة "سبتة" تصدى لهم هنري الملاح، وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم، وهذا ما ساعد على انتشار اسمه بين دول أوربا بوصفه "الحامي الجديد لراية المسيح". وقدم له دوق فينيسيا (البندقية) خريطة لرحلة ماركو بولو، بها معلومات عن "الملك القس"

إلى مصر، وكتب لسلطان مصر والشام (الملك الصالح) يقول: إنه يسوق المسلمين في الأندلس سوق البقر، ويقتل منهم الرجال، ويرسل النساء، ويستأسر البنات والصبيان، وأن عدد عساكره كعدد الحصى، ويدعوه إلى الخضوع له. وقد ترك لنا «دي جوانفيل» الذي صاحب لويس التاسع في حملته على مصر سببًا آخر لهذه الحملة إلى جانب النعرة الدينية، وهو أن القاهرة كانت تصل إليها كميات هائلة من التوابل، تأتيها من «جنة عدن»، وتحمل من هناك إلى جميع أنحاء المعمورة، وتوفّر دخلاً كبيرًا لمن يسيطر على مصر. غير أن لويس التاسع هُزم في معركة المنصورة الشهيرة، وسُجن في دار «ابن لقمان»، حتى أطلق سراحه بعد دفع الفدية..

لكن «لويس» لم ييأس من الرغبة في تحقيق حلمه بالسيطرة على شمال إفريقية، كما لم ينس فكرة التحالف مع خانات المغول لتطويق بلاد الإسلام، فقرر إرسال سفارة إلى الخان العظيم من راهبين أحدهما من هولندا، ويدعى «روبروك» Friar William of Rubruk، والثاني بولندي، وكلاهما يتكلم العربية بطلاقة، وأرسل الملك معهما كثيرًا من الهدايا الفخمة.

وفي عام ١٢٥٣م غادر الراهبان القسطنطينية قاصدين «كوراكورم» وبعد مضي عامين عاد «روبروك» من سفارته إلى عكا منهوك القوى من مشاق الرحلة، وقد عاد إليه صوابه، وتبخر الحلم الجميل الذي كان يداعبه عن المغول والخان ومسألة تنصيره.

كانت رحلات المفوضين والسفراء والرهبان سواء من الغرب إلى الشرق، أو من الشرق إلى الغرب، طوال عدة قرون تتم في معظم مراحلها عن طريق البر، حيث لم يتم بعد اكتشاف الطرق البحرية المؤدية إلى الشرق والتي ستتم في تواريخ لاحقة، وكانت هذه الرحلات تودي بحياة الكثيرين من هؤلاء المبعوثين؛ لقلة المعلومات الجغرافية من جهة، وما يلاقونه من سكان البلاد التي يمرون بها لتعدد

www.ahlaltareekh.com



على امتداد قرون ظلت الرحلات الاوربية تبحث عن مملكة برستر جون

عقائدهم الدينية من جهة أخرى. أما فيما يتعلق بالقس يوحنا فقد ضمّن «روبروك» تقريره خلاصة ما يشاع عنه من أنه كان هنالك في عهد من العهود قس نسطوري قوي الشخصية يتملك على قوم يدينون بمذهبه وأنه بعد موت ملكه خان الصين وأعلن استقلاله بالمملكة، ومنذ ذلك الحين والناس تتكلم عن وجود الملك القس «جوهان».

معجزة أنقذت الملك

ويضيف الراهب إلى قوله هذا أن الناس يروون عنه من العجائب أكثر من الواقع. ولجوهان هذا «القس يوحنا» شهرة في كل مكان، ولكن روبروك - على حسب قوله - عندما اجتاز الإقليم الذي قيل إنه كان يحكمه لم يجد أحدًا يعلم شيئًا عنه سوى عدد قليل من النسطوريين. ثم انفرد بقصة أخرى

www.ahlaltareekh.com

توفي هنري الملاح. كما توفي "ألفونسو" ملك البرتغال وخلفه ابنه "جون الثاني" الذي كان متأثرًا بسيرة عمه الأمير هنري وطموحاته. وعزم على مواصلة أهدافه. وهي العثور على القس يوحنا. واكتشاف مواطن التوابل لتي يبيعها الإيطاليون للأسواق الأوربية

في تقريره عن ملك لعشيرة «الكريات Keriat» الذين تحولوا إلى المسيحية منذ عام ١٠٠٦م في ظروف أشبه بالمعجزة حيث خرج هذا الملك في رحلة صيد فهاجمته عاصفة ثلجية خطيرة، ظن معها أن ساعته قد حانت، وفجأة تراءى له قديس قال له: إن كنت تعتقد في المسيح فسوف أقودك إلى الطريق الصحيح، ولا تموت هنا. وحين عاد الملك سالمًا إلى قصره اعتنق المسيحية هو وعشيرته، وربما كان هذا الملك هو برستر جون، وعندما انطلق «ماركو بولو» في رحلته إلى الصين التي بدأت عام ١٢٧٥م كانت الفكرة عن «برستر جون» أنه ملك «الكريات» وإن كان الكريات قد لقوا هزيمة أمام جنكيز خان عندما زحف عليهم بجيوشه.. وأصبح الخان العظيم ملك المغول سيد آسيا، ويصف «ماركوبولو» في رحلته كيف وصل إلى إقليم أو مملكة تندوك Tenduk، وأنه وجد ملكًا اسمه جورج من سلالة برستر جون، وهذه المملكة هي موطن رأس البرستر جون. ويقول: إن أسرة «جورج» قد تزاوجت مع أسرة الخان العظيم، والآن (على عهد ماركو بولو) يحكم «جورج» هذا الإقليم كتابع للخان. وحدث أن تقابل جورج مع إرسالية للرهبان الفرنسسكان ونجح راهب منهم اسمه جون مونتي كورفينو John of Montecorvino بتحويله إلى الكاثوليكية وأقنعه بإنشاء كنيسة في «تندوك». ويعزو «ماركو بولو» هزيمة البرستر جون أمام جنكيز خان إلى افتقاد «الملك القس» إلى السمات التكتيكية التي يتمتع بها المغول.. فعندما أرسل جنكيز خان سفراءه إلى «برسترجون» ليطلب يد ابنته كزوجة له تلقى جنكيز خان ردًا مهينًا كان سببًا لاشتعال الحرب بين الجانبين، وقبل قيام الحرب كان بعض المنجمين المسيحيين قد أخبروا جنكيز خان أنه سوف يفوز في هذه الحرب، ولما حدث ذلك سرّ جنكيز خان منهم، مما جعله يعامل المسيحيين بكل احترام.. وأصبح هناك ميل إلى اعتبار زعيم المغول أيا كان هو «برستر جون» خصوصًا أن المغول كان لديهم موظفون مسيحيون، وأن الكثير من العشائر المسيحية انضوت تحت لوائهم.. ومنذ ١٢٣٩م بدا المغول الذين غزوا روسيا وفارس وأجزاء من آسيا الصغرى، وغرب آسيا (الشام)، وشرق أوربا مؤهلين لتأدية دور مهم في السياسة الأوربية، وعادت فكرة قيام إمبراطورية مغولية مسيحية، تكون لها جاذبية عظيمة وأهمية كبيرة، حتى إن إمبراطور بيزنطة لم يأنف أن يزوج ابنته إلى أحد خانات (زعماء) عشيرة القرن الذهبي المغولية التي كانت تسيطر على روسيا.. كما تحالف أمراء الفرنجة في الشام مع «هولاكو» Hulagu ذلك الوحش حفيد جنكيز خان الذي قضى على الخلافة العباسية في بغداد، ومؤسس أسرة «الإيلخانات» في فارس، وقد أدّى دورًا مهمًا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وهذا ما أهله لأن يعدّه الصليبيون «برستر جون» الذي كثيرًا ما بحثوا عنه.. فقد بدأ وكأنه على وشك اعتناق المسيحية، خصوصًا أن زوجته «دوقوزخان» كانت مسيحية وابنه «أباقا أو أبغا» كان متزوجًا من ابنة ملك الروم، كما بدا أنه سوف يواصل اكتساح القوى الإسلامية في شمال إفريقية غير أن السلطان «قطز» وبعده السلطان «بيبرس» قضيا على أحلامه، وأوقفا هذا الزحف المغولي الكاسح. فضلاً عن أن المغول اعتنقوا الإسلام بدلاً من المسيحية، كما سقطت «عكا» آخر المعاقل الفرنجية القوية في يد «الأشرف خليل بن قلاوون» أحد

www.ahlaltareekh.com

سلاطين المماليك البحرية عام ١٢٩١م لم ينجح «لويس التاسع» في هجمته الصليبية الأخيرة على تونس في الحملة الصليبية الثامنة على عهد الباي أبي عبدالله المستنصر بالله الذي لقّب نفسه بأمير المؤمنين بعد أن استولى المغول على بغداد وقد أخفقت الحملة بعد تفشي الطاعون بين قواتها، ومات «لويس» نفسه بهذا الوباء..

وفي أوائل القرن الرابع عشر قرر الراهب «أُودريك البورينوري» Odoric of Pordenori بعد رحلة قام بها في أواسط آسيا، زار فيها «تندك» بوصفها عاصمة الـ «برستر جون» وهو ما أشار إليه «ماركو بولو» في رحلاته.. قرر أنه لم يصل إلى نتيجة مقنعة بأن حاكم هذا الإقليم يمكن أن يكون «برستر جون».. وبدا كأن «برستر جون» الآسيوي كان سرابًا وحلم يقظة في أدمغة الصليبيين.

البحث عن أماكن أخرى

فهل يستسلم الأوربيون، وما زالت نعرة الصليبية تقض أحلامهم؟ لقد أصبح من الضروري أن تتجه أنظارهم إلى البحث عن أماكن أخرى وهذا ما ساعد على ظهور فكرة الاستكشافات الجغرافية، كما عرف آنذاك أن الحبشة التي تكرر كثيرًا إمكان وجود برستر جون بها، ينبع منها نهر النيل أحد أنهار الجنة التي يمكن أن يكون بها أيضًا «الفردوس الأرضي» مع أن المعلومات المفصلة عن طبيعة النهر والبلاد التي يمر بها لم تكن معروفة بعد إلا فيما يتعلق بمصر التي ينتهي عندها نهر النيل الذي تعتمد عليه مصر. تلك القوة الإسلامية التي طالما وقفت عقبة أمام طموحات الصليبيين وغزواتهم. ومن ثم يمكن للحبشة أن توقف تدفق النيل إليها، فتموت مصر عطشًا، وقيل: إن الملك، بوازع من ضميره، لم يرد أن يعرض حياة المسيحيين الذين يعيشون في دلتا النيل للخطر. بينما استبعد آخرون فكرة «وازع الضمير»، وقالوا: إن المصريين كانوا يدفعون مساعدات مالية كبيرة لملك الحبشة حتى لا يفعل ذلك.. وقد أضفت هذه الانطباعات هالة من الرومانسية والقداسة والعظمة على ملك الحبشة، وتركزت الأذهان في ضرورة التثبت من وجود «برستر جون» في شخص ملك الحبشة، والتحالف معه ضد القوى الإسلامية.

وبينما كان «ابن بطوطة» يجوب العالم المعروف آنذاك من المحيط الأطلسي حتى الصين، قام راهب (لا يذكر التاريخ اسمه) بجولة في بلاد أوربا وآسيا وشاطئ إفريقية العربي ثم عاد يجوب شاطئ إفريقية الشرقي، فزار دنقلة والنوبة والحبشة، ووضع كتابًا عن رحلته أسماه «كتاب المعرفة بجميع الممالك والأقطار والأمراء في العالم»، وفي سياق حديثه عن النوبة والحبشة أشار إلى أن بطريق «بطريرك» هذه البلاد قس يسمى يوحنا John، ويحكم بلادًا كثيرة يدين أهلها بالنصرانية، ورعاياه من السود، ويرسمون الصليب على أجسادهم بالنار دليلاً على أنهم قد تم تعميدهم.. ثم زار هذا الراهب مدينة، اسمها «ملسا» قال عنها: إنها عاصمة الملك القس يوحنا، وإن لهذا الملك علمًا خاصًا أبيض اللون، رسم عليه صليب أسود معقوف من جانبيه للتفرقة بين مملكته وممالك إمبراطوريين آخرين يحكمان إلى جواره، ولكل منهما علم خاص به. كما أشار الراهب إلى نهر النيل ويسميه (نهر الفرات العظيم)

على الرغم من نجاح دي كوفلهام في اكتشاف بعض أسرار مواطن التوابل في جزر الهند الشرقية. فإنه لم يعرف شيئًا عن شخصية الملك القس أكثر مما أخبره الهنود المسيحيون من أنه كان يوجد في عهد من العهود المندثرة قس ملك كالذي يستفسر عنه

www.ahlaltareekh.com

الذي ينبع من مناطق القطب الشمالي بالفردوس الأرضي ثم يصل إلى الحبشة فيطوقها مع جبل عال شاهق إذا تسلقه الإنسان وجد نفسه داخل دائرة القمر.

خيال خصب

هذه التخيلات لم ينفرد بها هذا الراهب، وإنما سبقه إلى ما هو أكثر منها تخيلات «السير جون ماندفيل» Sir John Mandeville الذي رافق لويس التاسع في حملته على مصر، وهي تخيلات تتلاءم مع تصورات العصور الوسطى، وآمال الصليبيين في العثور على مملكة القس يوحنا.. وكان جون ماندفيل يتمتع بخيال خصب واستند في أقاصيصه إلى ما سمعه من أوصاف عن البلاد التي كتب عنها، وهي أوصاف عجيبة وغريبة تتلاءم مع شخصيته هو نفسه.. وأتاحت له أسطورة مملكة «القس يوحنا» فرصة لاطلاق العنان لخياله، فهو - مثلاً - يصف لنا سرير الملك القس بأنه مصنوع من زمردة واحدة مطوقة بالذهب. ولم يكن غريبًا أن يفتتن الناس بما يقصه «جون ماندفيل» وغيره عن «القس يوحنا» بل وأضحت مهمة العثور عليه والاتصال به هدف الملوك والفرسان والأمراء، ولاسيما البرتغاليون حتى لقد قيل: إن محاولات البرتغاليين للعثور على «القس يوحنا»، وإن التحالف مع ملك بلغ من القوة والسلطان هذا

كان كولومبوس رجلاً دؤوبًا مثابرًا ذا طموح كبير، لم يقتصر فقط على مجرد الرغبة في العثور على طريق بحري، بل كان يتطلع إلى اكتشاف "الفردوس الأرضي"، وكان يطمع إلى الحصول على كميات كبيرة من الذهب تكفل لملوك أوربا توفير نفقات حملة صليبية جديدة

المبلغ كفيلة بأن يكون خير وسيلة للقضاء على زعامة المسلمين في غرب آسيا وخاصة في الأراضي المقدسة.

وتطابقت هذه الآمال مع طموحات شخصية قوية متمثلة في الأمير «هنري» ثالث أبناء ملك البرتغال الذي عرف باسم «هنري الملاح» الذي قصر حياته على رسالة مقدسة لديه هي حرب المسلمين في كل مكان، حتى الهند، وجزائر الشرق، وتحويل تلك البلاد إلى المسيحية على المذهب الكاثوليكي.

وليس أدل على هذه الصفة الدينية من تلك الرسالة التي بعث بها البابا «نيقولا الخامس» جريًا على سوابق أسلافه من البابوات إلى الأمير هنري عام ١٤٥٤م يحثه على حرب الكفرة (المسلمين)، ونشر الدين المسيحي، والاتصال بالممالك المسيحية في الشرق؛ للتحالف معها على حرب المسلمين أعداء المسيحية، وأن يدخل في زمرة المسيحية تلك الشعوب التي لم تتلوث بوباء الإسلام.

بدأ الأمير هنري حياته العدائية للإسلام منذ أن عينه أبوه الملك أميرًا لمدينة «سبتة» التي احتلها البرتغال على الشاطئ المغربي، ثم جعله أستاذًا أعظم لجماعة المسيح التي أسست عام ١٣١٩م عقب نهاية دور الفرسان الداوية «فرسان المعبد» التي حققت دورًا عدائيًا كبيرًا إبان الحروب الصليبية التي كان كثير من أعضائها قد لجؤوا إلى البرتغال حيث بسط عليهم الملك حمايته.. ومن ثم أسس الملك «جماعة المسيح» التي انضم إليها هؤلاء اللاجئون - الأعداء القدامى للمسلمين - وكانت الغاية التي تستهدفها هي مواصلة محاربة المسلمين. وانطلق «هنري» يرسل البعثات إلى سواحل غرب إفريقية، وسفنه ترفع راية «جماعة المسيح» معتمدًا على ما وصل إليه من معلومات، كتبها من سبقه من البحارة والجوابين الذين زاروا هذه السواحل، ومن أهمها ما عرف باسم «خريطة قطالونا» التي رسمها واحد من أشهر أسرة زاولت مهنة رسم الخرائط في القرن الرابع عشر من سكان

www.ahlaltareekh.com


كولومبوس يشرح للملكة إيزابيل تفاصيل رحلته

جزر «مايوركا» الإسبانية، ولم تكن الخريطة مجرد رسم لحدود دول أو قارة، وإنما تحتوي أيضًا على كم من المعلومات السائدة في ذلك الوقت عن بحر الظلام (المحيط الهادي)، وبحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) وغيرهما، وأيضًا صورة لأحد الملوك من رعايا «القس يوحنا»، وأخرى للحكماء الثلاثة من ملوك الشرق الذين ذهبوا إلى «بيت لحم» ليقدموا هداياهم إلى المسيح في مهده.

هكذا بدأ الاتجاه إلى الحديث عن مملكة القس يوحنا، والوصول إلى الهند والحبشة وجزر التوابل بحرًا.. ومن ثم بدأ عصر الكشوف الجغرافية أول خطوة على طريق الاستعمار الأوربي للشرق بمفهومه الحديث.

وكان الأمير هنري يؤمن إيمانًا كبيرًا في أن العثور على مملكة القس يوحنا القوي تحقيق لجميع رغباته، فضلاً عما تنبته مملكة القس من توابل، أهم سلعة تجارية بالنسبة إلى أوربا في ذلك الوقت.

وعندما حاول المسلمون استعادة «سبتة» تصدى لهم هنري الملاح، وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وهذا ما ساعد على انتشار اسمه بين دول أوربا ودوقاتها وملوكها بوصفه «الحامي الجديد لراية المسيح»، وقدم له دوق فينيسيا (البندقية) خريطة ومخطوطًا لرحلة ماركو بولو، بها معلومات عن «الملك القس» أمل المسيحيين منذ قرون.. مما قوى عزمه وأمله في أن يجد هذا الملك القس ليكون حليفًا له فيما يعتزم القيام به ضد المسلمين من بلاد العرب حتى حدود الصين وداخلها.

وعلى الرغم من أن «هنري» لم يقم بنفسه بعمل رحلات استكشافية، إلاّ أنه كان وراء الكثير من هذه الرحلات التي استطاعت في عهده استكشاف معظم الساحل الغربي لإفريقية، كطريق سوف يؤدي إلى جنوب إفريقية، ثم الحبشة وشرق إفريقية، والهند، وكان بحارته يعودون كل مرة بأطنان من التوابل والذهب والعبيد.. وعندما حمل بعض العبيد أول مرة إلى البرتغال كانوا موضع اعتبار أنهم أرقاء، إلاّ أنهم بشر وثنيون يمكن كسبهم وتحويلهم إلى المسيحية. أما المسلمون فيجب أن يقهروا، ثم يقتلوا.

القس في بنين

وفي عام ١٤٦٣م توفي هنري الملاح، كما توفي «ألفونسو» ملك البرتغال عام ١٤٨١م، وخلفه ابنه «جون الثاني» الذي كان متأثرًا بسيرة عمه الأمير هنري وطموحاته، وعزم على مواصلة أهدافه، وهي العثور على القس يوحنا، واكتشاف مواطن التوابل التي يبيعها

www.ahlaltareekh.com

الإيطاليون للأسواق الأوربية، وتأتي من الشرق البعيد عن طريق مصر، وقام بإرسال مندوب خاص إلى القاهرة ليجمع له أكبر قدر ممكن من المعلومات عن ذلك.

وفي عام ١٤٨٤م أرسل مندوبًا آخر لمملكة «بنين» في غرب إفريقية لمزيد من المعلومات عن طريق الملاحة من غرب إفريقية إلى الهند. وكم كان سرور الملك عظيمًا عندما أفضى إليه مندوبه «دييجو كام» Diego Cam عقب عودته بما سمعه في «بنين» عن ملك إفريقي يبدو أنه القس يوحنا الذي طال البحث عنه، حيث قال له ملك «بنين»: إنه يوجد على بعد مئتين وخمسين ميلاً ملك عظيم قوي مرهوب الجانب يسمى أوجان Ogan وإن على كل ملك يرتقي عرش «بنين» أن يرسل إليه الهدايا العظيمة، وأن يطلب إليه الاعتراف بحقه في العرش، وكان المبعوثون يعودون من عنده حاملين رمز شعاره الملكي وهو عبارة عن عصا في طرفها صليب، لكنه أضاف أن أحدًا من المبعوثين لم تقع عينه على شخص هذا الملك؛ لأنه كان يكلمهم على الدوام من وراء ستار، وعندما ينتهي الحديث يخرج إحدى قدميه من وراء الستار دلالة على أنه قد استجاب إلى طلب محدثه. ألهبت هذه الأنباء خيال الملك جون الثاني، فأسرع إلى إيفاد «بارثولوميو دياز» أحد رجال حاشيته، ومعه أحد ربابنة أسطوله لمتابعة عمليات الكشف بالإبحار جنوبًا إلى حيث مطلع الشمس بحثًا عن جزر التوابل، ولمزيد من المعرفة عن القس يوحنا.



الإمبراطور فردريك بربروسا

أبحر «بارثولوميو دياز» على رأس أسطول من ثلاث سفن عام ١٤٨٦م غير أنه لم ينجح في رحلته لشدة الأهوال التي لاقاها في البحر فقرر العودة إلى بلاده، وإن كانت مذكراته قد أضافت معلومات جديدة عن الطريق البحري إلى الهند. ولم يكن جون الثاني قد انتظر حتى عودة «بارثولوميو دياز» لتلهفه على أخبار مملكة القس يوحنا، فأرسل رجلين في رحلة تتم عن طريق البر أحدهما راهب، والآخر مدني؛ ليحاولا استكشاف ما كلف به «بارثولوميو دياز» باستكشافه عن طريق البحر. غير أنهما أيضًا لم يستطيعا مواصلة رحلتهما إلى أبعد من بيت المقدس فقد حذرهما بعض رهبان دير «سانت كاترين» بسينا، وكانوا في زيارة لبيت المقدس من أن عدم استطاعتهما التحدث باللغة العربية لن يحقق لهما أملهما في مواصلة الرحلة سيرًا.. فعادا من حيث قدما.. لم يثن ذلك عزم جون الثاني، فعاد يرسل مندوبين آخرين، هما «ألفونسو دي بافيا» Alfonso de Pavia و«بدرودي كوفلهام» Pedro de Covelham، وكان الأخير يعمل أركان حرب لـ «دون مانويل» Don Manuel أخي الملك، وكان قد عمل سفيرًا لبلاده في «تلمسان».

كانت أوامر الملك جون الثاني إليه محددة، وهي: البحث في الهند عن موطن التوابل التي يبتاعها الإيطاليون من مصر، وأن يبحث عما إذا كانت مملكة القس يوحنا تصل إلى البحر، وجمع كل ما يمكن من معلومات عنها. وقبل قيامها بالرحلة عكفا على دراسة كل ما كتبه ماركو بولو، وسير جون

www.ahlaltareekh

مـاندفيل، وبلانو دي كـاربيني، ونيكولو دي مـونتي، وأعـدت لهـمـا بأمـر الملك خطابات اعـتـمـاد لإبرازها كلما اسـتـدعت الضرورة إلى ذلك كما سلمهما أقراصًا نحاسية نقش عليها بشتى اللغات أن «كوفلهـام» و«بافيا» مـبـعـوثان من قـبل ملك البـرتغـال جـون الثـاني الذي يعـدّ نفـسـه «أخًـا لجـمـيـع المسـيـحـيين».. وبعـد أن انطلق الاثنان في طريقـهـمـا عـاد «بارثولوميو دياز» إلى لشبونة حزين القلب؛ لأنه لم يوفق في بعثه. ولم يكتف جون الثاني ببعثة كوفلهام، وبافيا، فأرسل مبعوثًا آخر ليخترق إفريقية عن طريق «تمبكتو» لاكتشاف نهر النيجر الذي كانوا يظنون أنه امتداد لنهر النيل، ومحاولة الوصول إلى الحبشة بهذا الطريق.

وصل كوفلهام وبافيا إلى مصر، وهناك تلقيا معلومات كثيرة من تجار التوابل الإيطاليين الذين جاؤوا من جنوب فلورنسا والبندقية «فينيسا» وقطالونيا وناربونيا، وأقاموا وكالات تجارية دائمة لهم في الإسكندرية، فضلا عما تعج به القـاهرة من أجناس الأتراك والمغـاربة واليمنيين والهنود والفرس وآلاف المسيحيين واليهود من سورية، وفي القاهرة انضما إلى قافلة مغربية قادمة من فاس في طريقهـا إلى عـدن، وفي عـدن تقـابلا مع بعض رعـايا النجـاشي «ملك الحبشـة» الذين كانوا يعرضون بعض الرقيق للبيع، وهناك ترامى إلى سـمـعـهـا بأنه يوجـد إلى جنوب مـصـر ملك مسيحي يسيطر على عدد من الملوك وأن مملكته عظيمة الاتساع. فرجحا أنهما على وشك العثور على مملكة القس يوحنا وأن إمبراطورها الحالي ربما كان القس نفسه.. وأن الملك القس كان أباه.

غيـر أن ما وصل إلى أسماعهم من أنباء قد أوقعهما في حيرة، فالمراجع التي تدارسوها من قبل تشير إلى أن الحبشة في الهند، وأنهما جاءا للبحث عن مملكة القس يوحنا في الهند التي تضم الحبشة في عرف كثير من الرحّالين والملاّحين والخرائط التي لديهما، وهما لم يصلا إلى الهند بعد.. هنا اتفق الاثنان - للتحقق من الأمر - أن يتجه بافيا إلى تلك الممالك التي في جنوب مصر، وأن يتجه دي كوفلهام إلى الهند وتواعدا على اللقاء في مدينة «طيبة» بصعيد مصر بعد ذلك.

لا أمل في آسيا

وعلى الرغم من نجاح دي كوفلهام في اكتشاف بعض أسرار مواطن التوابل في جزر الهند الشرقية، فإنه لم يعرف شيئًا عن شخصية الملك القس أكثر مما أخبره الهنود المسيحيون من أنه كان يوجد في عهد من العهود المندثرة قس ملك كالذي يستفسر عنه، انتهت إمبراطوريته على يد التتار، وهذا ما أقنع نفسه به من «أن البحث عن القس يوحنا في آسيا مضيعة للوقت، وليس إلا وهمًا باطلاً. وبعد ثلاث سنوات أرسل تقريرًا بذلك إلى الملك جون الثاني عن طريق حاخام يهودي، وقررا أن يلحق بزميله في أثيوبيا (الحبشة) تلك التي في جنوب مصر، وقبل أن يتجه إلى مصر ليبدأ رحلته منها سافر إلى مكة والمدينة ليكتسب تقريرًا عنهما لأهميتهما عند المسلمين، هناك اكترى مركبًا أوصله إلى زيلع، وقدر له عام ١٤٩٠م أن يمثل بين يدي النجاشي إسكندر ملك الحبشة غير أن النجاشي وكلاً من خلفائه ناحوم وداوود رفضوا أن يسمحوا له بالعودة إلى بلاده لشكهم في أمره، وعدّوه

استمر البرتغاليون يطلقون اسم "برستر جون" على نجاشي الحبشة. وقلّدهم الأوربيون الآخرون في ذلك. غير أن الأمر ظل محيرًا لراسمي الخرائط في العصور الوسطى فيما يتعلق بتحديد مكان مملكة القس يوحنا الحقيقي

www.ahlaltareekh.com

جاسوسًا كما لم يعرف شيئًا عن زميله.

في هذا الوقت كان كولومبوس يعرض على ملك البرتغال خطته للوصول إلى الهند بالإبحار غربًا بدلاً من الالتفاف حول إفريقية بدءًا من ساحلها الغربي، وذلك بعد رفض فرديناند وإيزابيلا مساعدته لانشغالهما بحصار غرناطة.. غير أن ملك البرتغال أيضًا رفض كولومبوس - بناء على رأي مستشاريه - وفضَّل فكرة الوصول إلى الهند عن طريق سواحل إفريقية البحرية ليصل إلى الحبشة حيث موطن القس يوحنا، والعمل على سحب البساط من تحت أقدام القاهرة وجنوة والبندقية في تجارة التوابل.

الفردوس الأرضي

كان كولومبوس رجلاً دؤوبًا مثابرًا ذا طموح كبير لم يقتصر فقط على مجرد الرغبة في العثور على طريق بحري إلى الهند كما تشير معظم الكتابات التي كتبت عنه، بل كانت رغبته تذهب إلى أبعد من ذلك إذ كان يتطلع إلى اكتشاف «الفردوس الأرضي»، وكان يطمع إلى جانب ذلك من أن وصوله إلى الهند سيمكنه من الحصول على كميات كبيرة من الذهب تكفل لملوك أوربا توفير نفقات حملة صليبية جديدة.

لذلك عندما يئس من ملكي البرتغال وإسبانيا عرض أفكاره على ملكي فرنسا وإنجلترا، لكن ظروفهما الداخلية لم تمكنهما من تحقيق غرضه حتى سقطت غرناطة عام ١٤٩٢م في يدي ملك وملكة إسبانيا، وهو نفسه كان قد اشترك في هذه الحرب متطوعًا. وبسقوط غرناطة نفدت خزائن ملكي إسبانيا، مما جعلهما في حاجة إلى أموال جديدة، وكان ذلك مدخلاً جيدًا لكولومبوس لإعادة إقناعهما بفكرته، ونجح هذه المرة. بعد انتصاره على كثير من آراء معارضيه - وقاد سفنه الثلاث إلى العالم الجديد. ولما كانت فكرته وهدفه الوصول إلى الهند والصين غربًا، فقد حمَّله ملكا إسبانيا خطابًا إلى إمبراطور الصين العظيم لإقامة علاقات ودية معه، وكانت الهند حسب ما يرى وأقنع ملكي إسبانيا به هي «أوفير» مدينة الذهب على عهد سليمان بن داوود، كما جاء في التوراة»

كان لنجاح كولومبوس في الوصول إلى الهند - حسب ما عرف أول الأمر - بالإبحار غربًا أثره في ملك البرتغال، فخشي أن يستأثر الإسبان بخيرات هذا الشرق البعيد، وبدأت عمليات منافسة شديدة بين البرتغاليين والإسبان، حاولوا وضع حد لها باتفاقية لتقسيم السيطرة بينهم على البلاد التي يتم اكتشافها والوصول إليها، سواء في الشرق عن طريق الجنوب الإفريقي أو الغرب عن طريق كولومبوس.

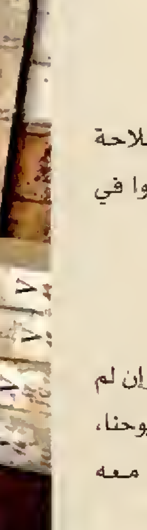
ولما مات الملك جون الثاني خلفه أخوه الملك «مانويل» الذي قرر تكليف فاسكو دي جاما بقيادة ثلاث سفن تحمل لواء «جماعة المسيح» لمتابعة مجهودات من سبقه من رحالي البرتغال واستكمالها للوصل إلى الهند من ساحل إفريقية الشرقي، وهو الذي نجح فيه فاسكو دي جاما بمساعدة ابن ماجد الملاح العربي الشهير، وحرص فاسكو دي جاما على أن يوعز إلى ملوك كل بلد وحكامه يصل إليه بأن السفن الثلاث هي طليعة أسطول كبير ما زال يشق طريقه في البحر.

وتشير - حتى المراجع الأوربية - إلى أن ابن ماجد بقولها: إن الدليل العربي الذي عهد إليه الملك (ملك مالندي) في إرشاد الأسطول البرتغالي كان ملاحًا ماهرًا ينحدر من سلالة امتهنوا حرفة إرشاد السفن، وإنه قد حاز

كان الاعتقاد السائد لدى الأوربيين في العصور الوسطى أن جنة عدن تقع بالشرق الأقصى، لذلك اتجه التفكير إلى إمكانية وجوده في وسط آسيا، ثم انتهت إلى تصور هذا الوجود في إفريقية

---

www.ahlaltareekh.com



مخطوطة من مدينة فيتربو ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي

شهرة عظيمة بفضل تأليفه أحسن دائرة معارف للملاحة باللغة العربية. وكم كان سرور البرتغاليين حين وجدوا في حيازة ابن ماجد خريطة للهند!

إخفاق كابرال

حقق فاسكو دي جاما الحلم البرتغالي القديم، وإن لم يجد عند أهل الهند معلومات ذات أهمية عن القس يوحنا، فأخذ طريق العود إلى بلاده عام ١٤٩٩م مصطحبًا معه



من أهداف كولومبوس سحب البساط من القاهرة وجنوة والبندقية في تجارة التوابل

اثنين من مرشدي السفن العرب لمعاونته في سلوك المنطقة بين رأس الرجاء الصالح (في جنوب إفريقية) وجزر آزور.. وعلى الرغم من هذا النجاح البرتغالي لم يكتف الملك مانويل بذلك، بل قام بإيفاد «بدرو ألفاروز كابرال» Pedro Alvarez Cabral على رأس حملة من ثلاث عشرة سفينة تحمل ١٥٠٠ جندي، عدا البحارة والعمال والقسس آمرًا إياه بالعمل على الدعوة إلى المسيحية في كل بلد يصل إليه، فإن لم تأت الدعوة بالنتيجة المنشودة فليحتكم إلى السيف. غير أن «كابرال» لم ينجح في مهمته حين رفض ملك «كلاكوتا» إيقاف التعامل مع التجار العرب عندما طلب منه كابرال ذلك، بل لم يسمح له بإقامة مركز تجاري، وبدا أنه سوف يتصدى لكابرال وجنوده، فامتنع كابرال عن استخدام القوة على الرغم من التفويض الذي أعطاه إياه الملك مانويل. وعندما وصلت هذه المعلومات إلى البرتغال تلقى فاسكو دي جاما أمرًا من الملك بالإبحار على رأس أسطول آخر إلى الشرق، ثم أتبعه بأسطول ثالث على رأسه «ألفونسو دلبوكيرك Alfonso d' Albuquerque» مكوّن من ست عشرة سفينة بها ٢٣٠٠ جندي، وانتهت هذه الحملات مجتمعة بنشر سيادة البرتغال على المحيط الهندي بعد مجازر هائلة ارتكبها دلبوكيرك في جزائر الهند الشرقية ملقا وجاوة وسومطرة، وجزر ملوك، وفي البحر الأحمر في السويس، ومصوع، وسواكن. وجدة،

www.ahlaltareekh.com

وبريم، ومسقط.. وفي وسط كل ذلك لم ينس دلبوكيرك لحظة واحدة أوامر الملك بوجوب البحث عن مملكة القس يوحنا، وكم كان سروره أن التقى، وهو في مقر قيادته في «جوا» بالهند، سفيرًا من قبل الملكة الوصية على عرش الحبشة، ومعه خطاب موجه إلى ملك البرتغال.

ادعى هذا السفير أنه أرمني الجنسية، وهو شقيق لرأس الكنيسة الحبشية، مما أثار دهشة البرتغاليين أول الأمر من اختيار هذا السفير، في حين كان في استطاعة الوصية على العرش أن ترسل الخطاب مع «بدرو دي كوفلهام» المحجوز في الحبشة.. ومع ذلك رحبوا بالسفير الأرمني، وفتحوا الخطاب، فوجدوا فيه اقتراحًا من الوصية بالتزاوج بين أبناء الأسرتين المالكتين، وعرضًا رسميًا من الحبشة بإرسال الجنود والمؤن لمعاونة البرتغاليين في كسر شوكة السلطان في القاهرة، وتحطيم مكة والمدينة.. وقد راق كل هذا لدلبوكيرك؛ لأنه يتمشى مع خطته: إذ كانت تلتهب في رأسه فكرة اجتياح مكة والمدينة لاختطاف رفات النبي، ثم عرضها على المسلمين بعد ذلك مقابل التخلي عن فلسطين. وكان من بين الخطط التي اعتزمها تحويل النيل عن مجراه بحفر قناة توصل إلى البحر الأحمر حتى تحرم مصر من خصوبة أرضها، فيتم هلاكها. وعبرت الوصية على عرش الحبشة عن استعدادها ورغبتها في القيام بهذا العمل، ولكن تنقصها الوسائل لتنفيذها، وبناء على هذا طلب دلبوكيرك من الملك البرتغالي مانويل أن يرسل إلى الحبشة صناعًا من جزر آزور لمهارتهم في القيام بمثل هذا العمل، إذ كان عليهم أن يفتحوا ثغرة بين سلسلة التلال الصغيرة التي تجرى بجانب نهر النيل داخل مملكة القس يوحنا، وتصل إلى البحر الأحمر.. غير أن دلبوكيرك توفي عام ١٥١٥م دون أن يضع الخطط التي كان اعتزمها بشأن مكة والمدينة ومصر موضع التنفيذ.

تقليد أوربي

أما بالنسبة إلى مملكة القس يوحنا فقد استمر البرتغاليون يطلقون اسم «برستر جون» على نجاشي الحبشة Negus of Abysinnia وقلّدهم الأوربيون الآخرون في ذلك، غير أن الأمر ظل محيرًا لراسمي الخرائط في العصور الوسطى فيما يتعلق بتحديد مكان مملكة القس يوحنا الحقيقي فعمدوا إلى تعيين حدود المملكة على خرائطهم حيثما اتفق، وكتبوا لفظة أثيوبيا (الحبشة) بعرض خريطة إفريقية، وكذلك فعلوا بجزء من خريطة آسيا مطلقين على الأولى أثيوبيا الكبرى، وعلى الثانية أثيوبيا الوسطى، ورمزوا إلى القس يوحنا بصورة رجل جالس في خيمة هنا وهناك، وفي كل مكان، حتى جاء راهب رحالة اسمه «جوز البندكتي» جاب كثيرًا من البلاد، وأهمها «كاثاي - الصين» وانتهى إلى القول بأنه «ليس هناك مكان على ظهر الأرض يمكن أن يوجد فيه هذا الملك القس «برستر جون»

وإذا كان الصليبيون القدامى قد أخفقوا ولم ينجحوا في العثور على «برستر جون» للتحالف معه على القضاء على الإسلام والمسلمين فقد صنعه الصليبيون الجدد والصهاينة بأيديهم وسياساتهم فكانت «إسرائيل» برستر جون العصر الحديث.

المراجع

- مجلة History ti - day, mAY 1953.
- معالم تاريخ أوربا الحديث. محمد رفعت. محمد أحمد حسونة، المطبعة الأميرية ١٩٥٠م.
- في طلب التوابل: سونيا هاو، ترجمة: محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر. ١٩٥٧م.
- العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى: د. عبدالمنعم ماجد، مكتبة الجامعة العربية، بيروت.
- رحلات ماركوبولو: ترجمة عبدالعزيز جادو (سلسلة ينابيع)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

www.ahlaltareekh.com





الدراسات العربية والإسلامية (الاستشراق) في الإنترنت

مازن صلاح المطبقاني

الرياض ـ السعودية

لا تزال كلمة "المستشرق" برنارد لويس الأمريكي الجنسية، البريطاني الأصل، اليهودي الملة، الصهيوني النزعات والميول: "لقد ألقينا مصطلح "الاستشراق" في مزابل التاريخ" تتردد في الأوساط العلمية شرقًا وغربًا معلنة نهاية الاستشراق(1). فهل حقًا ألقي بهذا المصطلح في مزابل التاريخ ـ إن صح التعبير ـ ؟ لقد قال لويس هذه الكلمة معلقًا على نتائج المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣م.

ولكن مصطلح «الاستشراق» عاد إلى الساحة الفكرية بقوة، بعد خمس سنوات من هذا الإلغاء الرسمي، حينما أصدر إدوارد سعيد كتابه المشهور(الاستشراق)، وترجم إلى عدد من اللغات الأوربية والشرقية. ولم يتحرك لويس للرد عليه إلا بعد أربعة أعوام، حينما بدأ سجال بينه وبين إدوارد سعيد على صفحات صحيفة «نيويورك تايمز» لمراجعة الكتب (New york Times Review of Books) حيث أكد لويس مرة أخرى أن الاستشراق لم يعد له وجود.

إن مصطلح الاستشراق قد انتهى من الاستعمال لدى الكثيرين؛ ذلك أن منظمة المؤتمر العالمي للمستشرقين أصبحت منظمة المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والإفريقية، وأن الأغلبية العظمى من الجامعات الغربية ألغت اسم الاستشراق من الأقسام العلمية. وأصبحت هذه الأقسام تعرف بأقسام دراسات الشرق الأوسط أو الأدنى أو معاهد دراسات الشرق الأوسط، وغير ذلك من الأسماء، وأصبحت هذه الدراسات تحمل مسمّى (الدراسات الإقليمية) أو

www.ahlaltareekh.com



(دراسات المناطق)، بل إن دراسة العالم العربي والإسلامي توزعت على أقسام الجامعة المختلفة، فقد أحصيت ثمانية عشر قسمًا تهتم بالدراسات العربية والإسلامية في جامعة بيركلي، يقوم مركز دراسات الشرق الأوسط بالتنسيق بينها. فقد يختار الطالب موضوعًا في علم الاجتماع حول قضية تخص دولة من دول العالم العربي الإسلامي، أو يختار بحثًا في عالم الإنسان أو الجغرافيا أو الاقتصاد أو اللغة، وغير ذلك من الموضوعات. كما أن أقسام دراسة الأديان تهتم بالإسلام، فيمكن إضافتها إلى الجهات التي تهتم بالعالم الإسلامي.

وهذه الأقسام الجديدة هل انقطعت صلتها بالاستشراق القديم؟ وهل توقف الباحثون المعاصرون عن الرجوع إلى المستشرقين من أمثال جولدزيهر، ومرجليوث، ونولدكه، وشاخت، وسنوك هو رخرونيه، وجوستاف فون جرونباوم، وبيكر، وبروكلمان، وهاملتون جب، وبرنارد لويس وماسنيون وغيرهم؟ الحقيقة أن هذه الكتابات لا تزال حية في أقسام دراسات الشرق

www.ahlaltareekh.com



الأوسط، وهي التي تشكل الأساس الذي تقوم عليه الدراسات المعاصرة، وفي زيارة لجامعة جورجتاون وجدت أن كتاب توماس آرنولد (الدعوة إلى الإسلام) الذي طبع الطبعة الأولى عام ١٩١١م ما زال أحد المراجع، كما قامت جامعة برنستون بطباعة كتاب جولدزيهر «مدخل الإسلام» ونشره في ترجمة جديدة مع تعليقات وهوامش لبرنارد لويس.

ولم يقتصر النشاط الاستشراقي، أو نشاط الدراسات العربية والإسلامية في الغرب على الأقسام العلمية، ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة، ولكنه وصل إلى شبكة الإنترنت بقوة. فهذه الشبكة أصبحت إحدى وسائل الاتصال المعاصرة، التي وصلت إلى مئات الملايين من البشر في أنحاء الدنيا. فإن كان التلفاز قد دخل كل بيت، وأصبح الوسيلة الأولى الإعلامية فإن الإنترنت لها خصوصيتها في الانتشار، وفي التأثير، ولا تزال تحتاج إلى دراسات عميقة، ولذلك فقد وقع اختياري على هذه الوسيلة لدراسة هذا الجانب المعرفي من خلالها. وبالفعل، فإن المواقع الاستشراقية تعدّ بالآلاف، وتحت هذا المسمى، الذي قال عنه لويس: إنه ألقي في (مزابل) التاريخ. وهي بحاجة إلى دراسات كثيرة من النواحي الإحصائية والعلمية والفنية والإعلامية.

ولعل هناك من يخالفني الرأي بأن الاهتمام بالاستشراق ما زال محدودًا، ومن هؤلاء أصحاب موقع (تأكيد الاسشراق Orientalism Confirmed) الذين يقولون في تقديم موقعهم: «الاستشراق، أو دعنا نقول، فهم الغرب الخاطئ للشرق الأوسط، ما زال واحدًا من أقل الموضوعات شعبية في عالم الشبكات الفضائية، من الذي يهمه على أي حال؟ إن الحقيقة لا يمكن الوصول إليها إلاّ بالدراسة المتعمقة لعلم المعرفة Epistemology، وهذا مجال أيضًا مهمل في عالم التقنية العالية المتطور» (٢).

شبكة الإنترنت تقدم لنا كمًّا هائلاً من المعلومات حول الإسلام والمسلمين، وإن كانت الأغلبية العظمى لهذه المواقع باللغات الأوربية، وبخاصة الإنجليزية، وما تزال الأفكار السائدة في هذه المواقع هي التي تقدم وجهة النظر الأوربية والغربية حول العالم الإسلامي والمسلمين

www.ahlaltareekh.com



وسوف ينقسم هذا البحث حول الاستشراق أو الدراسات العربية في الإنترنت إلى ثلاثة محاور:

الأول: المواقع التي تحمل كلمة استشراق وتقدم بحوثًا ودراسات ومقالات وأخبارًا عن هذا الموضوع مثل موقع (تأكيد الاستشراق Orientalism Confirmed) أو الموقع الآخر بعنوان التاريخ البريطاني الحديث والذي يضم مقالات علمية بعنوان (المستشرق الجيد سير وليام جونز) وموضوعات أخرى.

الثاني: يتناول المواقع الخاصة بأقسام دراسات الشرق الأوسط أو الأدنى، أو أقسام دراسات المناطق، أو أقسام الأديان وما تقدمه هذه المواقع من أخبار عن نشاط هذه الأقسام وأعضاء هيئة التدريس فيها.

الثالث: يتناول مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في الدراسات والبحوث المتعلقة بالشرق الأوسط أو الدراسات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وتهتم بالعالم الإسلامي، ومنها - على سبيل المثال - (معهد الشرق الأوسط)، و(معهد بروكنجز)، و(معهد سياسات الشرق الأدنى)، (ومركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال إفريقية)، و(رابطة دراسات الشرق الأوسط بشمال أمريكا)، وغيرها.

ومن الملاحظ أن المواقع التي تقدم معلومات عن الدراسات العربية والإسلامية في الغرب باللغة الإنجليزية كثيرة جدًا، ومن الصعب على فريق من الباحثين متابعتها ومتابعة أنشطتها. وأما الجانب العربي الذي يتناول هذه الدراسات (الاستشراق) أو حتى دراسة الغرب، فلا تزال دراساته في البداية، ولا تقدم المعلومات الوافية.

وأرجو أن يزداد الاهتمام بشبكة المعلومات العنكبوتية في الأيام القادمة حتى نستطيع أن نتواصل بعضنا مع بعض في المقام الأول، ثم نتواصل مع العالم. وأختم بأن ترتيبات حضوري هذا الملتقى قد تمت كلها من خلال

المطلوب أن يعكف الباحثون العرب والمسلمون على نشر ما لديهم من بحوث وكتابات حول العالم الإسلامي وقضاياه في هذه الشبكة. ولا بد من الحرص على ترجمة الجيد من هذه الكتابات. وبخاصة التي تعرف كيفية مخاطبة العقل الغربي بالمنطق والحجة والدليل

www.ahlaltareekh.com

الإنترنت، والبريد الإلكتروني، كما كانت الترتيبات التي قمت بها للترتيب لحضور مؤتمر دولي في الصين حول العولمة، ومنطقة الشرق الأوسط، وشمال إفريقية.

المحور الأول: المواقع المتخصصة في الاستشراق

يكفي أن تدخل كلمة (استشراق Orientalism) في محرك البحث ياهو Yahoo حتى تجد أنه يقدم لك ثمانية آلاف ومئتين وستين موقعًا (٧ نوفمبر ٢٠٠٠م) تحت هذه التسمية، وفي محرك البحث ألتا فستا Alta Vista تجد تسعة آلاف ومئة وإحدى وعشرين صفحة، أما في محرك البحث في كل الشبكة All The Web فعدد المواقع يصل إلى ستة عشر ألفًا ومئتين وثمان وتسعين وثيقة.

وعند الدخول إلى المواقع تجد أنك أمام كم هائل من المعلومات عن الاستشراق، ولكن من جوانب مختلفة، وإذا ما حددت البحث أكثر فستجد نفسك أمام مواقع متخصصة تمامًا، وقد فعلت هذا حينما ربطت بين الاستشراق والإسلام: ففي محرك البحث يا هو، وجدت ألفًا ومئة وأربعة وخمسين موقعًا.

وفيما يأتي تعريف موجز ببعض المواقع التي تقدم مقالات عن الاستشراق:

أولاً: موقع (الاستشراق)

تجد أن الموقع يتضمن الفقرات الآتية:

- تعريف الاستشراق لإدوارد سعيد.
- عرض كتاب (ما وراء الاستشراق).

- Beyond Orientalism: Essays on Cross - Cultural Encounter, by.
- Fred R. Dallmayr (Albany, NY: Suny Press, 1996), 266Pages.

- ببليوغرافيا حول الاستشراق.
- مجموعة نقاش حول الاستشراق.

ثانيًا: التاريخ البريطاني الحديث

ومما يقدمه هذا الموقع ثلاث مقالات بعنوان (سير وليام جونز: المستشرق الجيد.

Sir William Jones (1748- 1794): The "Good" Orientalist?

بقلم جوزيف سمارك Joseph Smarck.

ثالثًا: تأكيد الاستشراق Orientalism

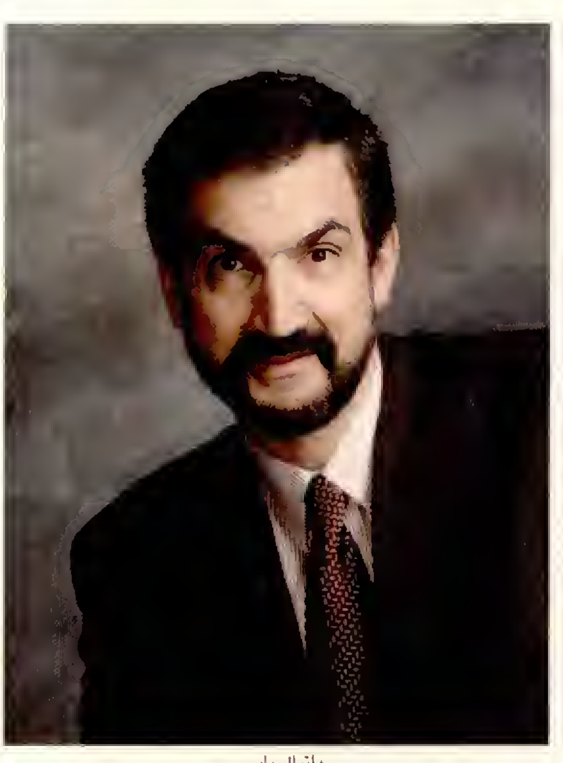
ينتقد أصحاب الموقع جهل الغرب أو تجاهله هذا الموضوع الخطير والمهم، بل إنه ينتقد تقسيم العالم إلى شرق وغرب: «من الذي قسم العالم حقيقة إلى قسمين؟» (٣) ويضيفون أن العالم مستدير، فكاليفورنيا أقرب إلى اليابان لو التفتنا تجاه اليابان. ويقدم الموقع روابط لعدد من



إدوارد سعيد



www.ahlaltareekh.com


دانيال بايبس

الموضوعات التي توجد في مواقع أخرى، ومنها:
- من يعرف الاستشراق؟
- لقاء مع إدوارد سعيد.
- الاستشراق ودراسات ما بعد الإمبريالية.
- الاستشراق الفنلندي.
- المركزية الأوربية.
- المستشرقون.
- الاستشراق والاهتمام الغارق بالآخر.
- مصادر المعلومات عن الاستشراق.
- نقد كتاب إدوارد سعيد الاستشراق.
- ما بعد الاستشراق.
- عروض لعدد من الكتب حول الاستشراق.

❖ موقع الاستشراق من جامعة إيموري Emory ويضم الموقع ما يأتي:
- المصطلحات، وهذه المصطلحات هي:
أ. الاستشراق.
ب - الشرقي.
ج - المعاني الخفية.
د - مجالات الاستشراق.
- الاستشراق المبكر.
- الاستشراق المعاصر.
- مشروع إدوارد سعيد.
- روابط مع مواقع أخرى.

❖ مواقع استشراقية متفرقة.

أ. تكريم سير وليام جونز، وهي مقالة مكونة من خمس عشرة صفحة، وتحتوي على الفقرات الآتية:
- مقدمة.
- تكريم.
- باتجاه الهند.
- التاريخ والأسطور.
- جونز العالم.
- جونز الرجل.
- تقدير واعتراف ومراجع.

ب - الاستعمار والاستشراق ويحتوي الموقع على بعض الموضوعات الشائقة والمهمة في هذا المجال، ومنها:
- كتاب رنا قبّاني: الأساطير الأوربية حول الشرق.
- كتب إدوارد سعيد (الاستشراق)، (تغطية الإسلام: كيف يقرر الخبراء والإعلام كيف نرى بقية العالم).
- أقسام حول الإسلام تبرز بالنساء والإسلام، والقرآن، والحديث والسنة، ومؤلفين من جنوب إفريقية، والعبادات الإسلامية والفقه، والتصوف، وغيرها من الموضوعات.

www.ahlaltareekh.com

ج ـ صفحة مسعود أحمد خان: وتضم الكثير من المقالات والبحوث، ومنها ـ على سبيل المثال ـ مقالة طويلة حول مكانة المرأة في الإسلام، وهل يمكن للرجل أن يكتب عن المرأة؟ بعنوان (Islam, Irigary, and The Retrieval of Gender) بقلم عبدالحكيم مراد. وقد خلص فيه إلى أن المرأة المسلمة احتلت مكانة عالية في التاريخ الإسلامي، وأن المصادر الإسلامية تذكر المئات من النساء البارزات في شتى المعارف والعلوم.

رابعاً: موقع باسم (الإجابات الإسلامية Muslim - Answers): وهو موقع كبير ومتنوع في اهتماماته، وأولها عرض الإسلام وشريعته ومبادئه في مختلف المجالات، كما يقدم بعض النقاشات مع الباحثين الغربيين حول الإسلام، ومن المقالات التي اطلعت عليها في الموقع ما يأتي:

. الاستشراق والمعلومات الخاطئة والإسلام: بقلم أبي إيمان عبدالرحمن روبرت سكويرز "Orientalism, Misinformation and Islam" by Abu Iman Abudl Arahman Robert Squiers: ويتضمن المقال تعريفًا بالاستشراق، والأهداف الإمبريالية، والطموحات التنصيرية، كما يتحدث عن الاستشراق والأهداف الإمبريالية ،والطموحات التنصيرية، كما يتحدث عن الأكاذيب الواسعة الانتشار، والثقافة الشعبية. ويتكون المقال من سبع صفحات.

خامساً: موقع باسم الوعي الإسلامي (Islamic Awareness):

ويضم مقالات تردّ على اتهام القرآن بوجود أخطاء تاريخية فيه حول هامان وفرعون، وعنوان المقال: (Historical Errors of The Qura' an Pharaoh & Haman).

سادساً: موقع التوحيد Al -Tawhid:

ويضم مقالات متميزة حول الإسلام، ومنها مقالة لمياء فاروقي بعنوان «النساء في المجتمع القرآني».

سابعًا: موقع مراقبة الجامعات www. campus-watch.org:

قام الباحث المتخصص في الإسلام والشرق الأوسط مع عدد من زملائه فيما يسمى تجمع الشرق الأوسط Middle East Forum، الذي يتخذ من مدينة فيلاديلفيا مقرًا له، بتأسيس موقع لمراقبة دراسات الشرق الأوسط، ونشر ما يخص هذه الدراسات من نقد للباحثين، أو متابعة المؤيدين للسياسة الأمريكية أو لإسرائيل، أو أولئك الذين يقدمون رأيًا يخالف تلك السياسات، أو مصالح الدولة العبرية. وقد وصف أحد الباحثين هذه الحركة بأنها «حركة ذات تمويل كبير يقودها متمردون أكاديميون متخصصون في دراسات الشرق الأوسط، والذين يبدون أنهم يقودهم بآرائهم المتطرفة المؤيدة لإسرائيل ويقودهم أيضًا كراهيتهم بسبب حقيقة أنهم لم يحصلوا مطلقًا على احترام زملائهم في هذا المجال المعرفي» (٤). وفي الوقت الذي يقف أغلبية الباحثين والمتخصصين في دراسات الشرق الأوسط ضد ما يقوم به دانيال بايبس: لكننا نجد أيضًا من يؤيده وعلى شاكلته، ومن هؤلاء ـ على سبيل المثال ـ ستانلي كيرتز Stanley Kurtz، الذي كتب يدافع عن دانيال بايبس ويصف عمله بأنه «لمراقبة دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة ولتحليل ونقد الأخطاء والتحيزات، وللفت أنظار الشعب إلى الموضوعات القابلة للجدل حول تمويل هذه الدراسات. ويضيف كيرتز بأن دراسات الشرق الأوسط يسيطر عليها أساتذة يعادون الشعب الأمريكي ..» (٥). وهاجم الكاتب إدوارد سعيد لنقده لبرنارد لويس وغيره من «كبار» المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط وأضاف الكاتب وبالطبع من ضمن هؤلاء دانيال بايبس (٦).

ومن الواضح أن الهجمة على دراسات الشرق الأوسط عادت بالخسران على دانيال بايبس وجماعته

www.ahlaltareekh.com



الجامعات الغربية واهتمام بالاستشراق

حتى إنه أصبح من الصعب قبولهم في الجامعات الأمريكية، بل أصبحوا يحتاجون إلى حراسات وإجراءات أمنية مشددة عند زيارتهم أي جامعة أو مؤسسة أكاديمية. كما أن جهود مراقبة الجامعات Campus-Watch لم تؤخذ مأخذ الجد في الجامعات الأمريكية حتى إن كيرتز يصرح بقوله: «أتمنى إلى درجة كبيرة أن يهتم الإداريون في الجامعات الأمريكية بما يرد في موقع «مراقبة الجامعات» ويجعلوه أحد الأسس في تثبيت الأساتذة في أعمالهم في الجامعة» (٧).

وقد وصل بايبس إلى درجة الدفاع عن نفسه ففي إحدى مقالاته يذكر الجهات التي يرى أنها تعاديه ومنها «اتحاد الحريات المدنية الأمريكي» و«اللجنة العربية الأمريكية لمكافحة التمييز» و«مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية». وهذه الجهات تتهم بايبس بالكثير من التهم ومنها الترويج لأهمية قيام مجلس النواب الأمريكي بالموافقة على تشكيل مجلس المراقبة دراسات الشرق الأوسط، ويذكر بايبس من هذه التهم أن «الحرية الأكاديمية تتعرض للهجوم من بايبس والأخ الأكبر» و«أنه يحاول فرض وجهات نظره على المجال الأكاديمي» (٨).

ثامنًا: مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق

أسس هذا الموقع مازن مطبقاني في رمضان ١٤٢٠هـ (ديسمبر ١٩٩٩م) ليضم كتابات صاحب الموقع في قضايات الاستشراق وعلاقة الإسلام بالغرب وقضايا فكرية إسلامية معاصرة. ويحتوي الموقع على الفقرات الآتية:

www.ahlaltareekh.com

ـ السيرة الذاتية لصاحب الموقع.

ـ الاستشراق ويضم الكثير من الموضوعات، حيث إن هذا القسم هو أساس الموقع ومن هذه الموضوعات ما يأتي:

أ ـ تقرير عن قسم الاستشراق وهو القسم الوحيد في العالم الإسلامي.

ب ـ بحث بعنوان (أزمة الاستشراق) للدكتور محمد خليفة حسن ومازن مطبقاني.

ج ـ ماذا تعرف عن الاستشراق ـ مقالة موجهة لجمهور القراء غير المتخصصين.

د ـ الاستشراق مادة علمية كتبت للموسوعة الوسيطة والمذاهب الفكرية المعاصرة التي ستصدر عن دار اشبيليا بالرياض.

هـ ـ مجالات الاستشراق.

و ـ الاستشراق والقرآن الكريم والاستشراق والحديث والاستشراق والقضايا المعاصرة.

ـ المرأة والطفل: وهي مجموعة مقالات حول قضايا المرأة والطفل من وجهة نظر إسلامية.

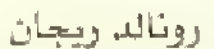
ـ المؤتمرات والرحلات العلمية: هذه مجموعة من التقارير التي كتبها صاحب الموقع عن بعض المؤتمرات التي حضرها حول الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في الغرب.

ـ أسئلة متداولة. وهي الأسئلة الأكثر طرحًا في مجال دراسات الاستشراق الإسلامي والغرب وهي مجموعة مقالات في العلاقات بين الإسلام والغرب.

ـ النشرة الشهرية: وهي نشرة إلكترونية تصدر كل شهر وتتكون من تسعة أبواب ثابتة، منها قضية العدد، وتعريف بأحد المراكز الاستشراقية والتعريف بمستشرق، وأخبار الدراسات العربية والإسلامية في الغرب وفي أنحاء العالم.

هذا وقد زار هذا الموقع منذ إنشائه حتى الآن أكثر من ثمانية عشر ألفًا، ويمكن الاطلاع على ردود أفعال الزوار في دفتر الزوار أو في النشرة الشهرية في قسم رسائل الزوار وآرائهم.

ـ قسم اللغة الإنجليزية: ويضم سيرة ذاتية لصاحب الموقع وملخص رسالته للدكتوراه حول المستشرق برنارد لويس، وبحثين أحدهما عن عبدالحميد بن باديس ونظرته إلى التنمية والثاني حول الحياة الاجتماعية في المغرب العربي بين الاستعمار والاستشراق في عهد الاحتلال الفرنسي. كما يضم مقالاً حول الاستشراق منقولاً عن أحد المواقع الإسلامية.



رونالد ريجان



www.ahlaltareekh.com



برنارد لويس

- مؤلفات الدكتور مازن مطبقاني يضم هذا القسم مقدمات بعض كتب الدكتور مازن.

- تحمل بعض الكتب الخاصة بالاستشراق، ومنها كتاب (بحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر).

وهكذا نرى أن المواقع العامة تقدم ثروة كبيرة من الكتابات حول الإسلام وتحتاج إلى بحوث دقيقة للجهات التي أنشأت هذه المواقع وتمويلها وكتابها ودراسات تحليلية للمواد العلمية التي تقدمها. ولكن النظرة السريعة تدل على أن الشبكة أصبحت مجالاً قويًا لعرض الآراء وتبادل الآراء والخبرات، فالموقع الذي يقدم سيرة مفصلة لسير وليام جونز يطلب من القارئ تقديم رأيه في المقالة، كما يتيح له الفرصة لإرسال المقالة لصديق أو لأي جهة يرغبها. كما أن بعض هذه المواقع العامة تقدم مجالاً للحوار والنقاش من خلال مجموعات الحوار والنقاش المنتشرة في الشبكة. وقد لاحظت وجود مواقع متميزة للعرب والمسلمين في هذا المجال ولكنها لا تزال قليلة ومحدودة.

المحور الثاني: مواقع أقسام دراسات الشرق الأوسط أو الأدنى في الجامعات الغربية في الإنترنت

لكل قسم من هذه الأقسام موقع في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وتتفاوت هذه المواقع في حجم المادة العلمية التي تقدمها، وفي هذا المحور أقدم نماذج من هذه المواقع:

أولاً: قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة نيويورك

يعمل هذا القسم تحت اسم مركز كيفوركيان لدراسات الشرق الأدني Hagop Kevorkian Center، ومن المعلومات الجديدة التي حصلت عليها من الشبكة إعلان عن عقد ندوة حول المسلمين في أوربا، وقد قدم للندوة أن أوربا ستصبح في القريب العاجل إسلامية أو مسلمة، فمن المناسب دراسة المسلمين فيها. وكان من المقرر أن تعقد هذه الندوة في الفترة من ١٩ يونيو إلى ١٤ يوليو عام٢٠٠٠م، ويشارك فيها خمسة وعشرون من أساتذة الثانويات أو المشرفين على المناهج من جميع أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن الخدمات التي يقدمها الموقع أيضًا بيان بالأنشطة التي ستقام في المركز، فقد نشر الموقع في فبراير عام ٢٠٠٠م، بيانًا بالأنشطة التي ستعقد في المركز خلال الفترة من يناير إلى يوليو عام٢٠٠٠م، وتقدم النشرة معلومات دقيقة عن هذه الأنشطة وكيفية الاشتراك فيها وحضورها. ومن هذه الأنشطة «الأندلس: إسبانيا الإسلامية». و«توضيح الاستشراق» وغيرها.

www.ahlaltareekh.com

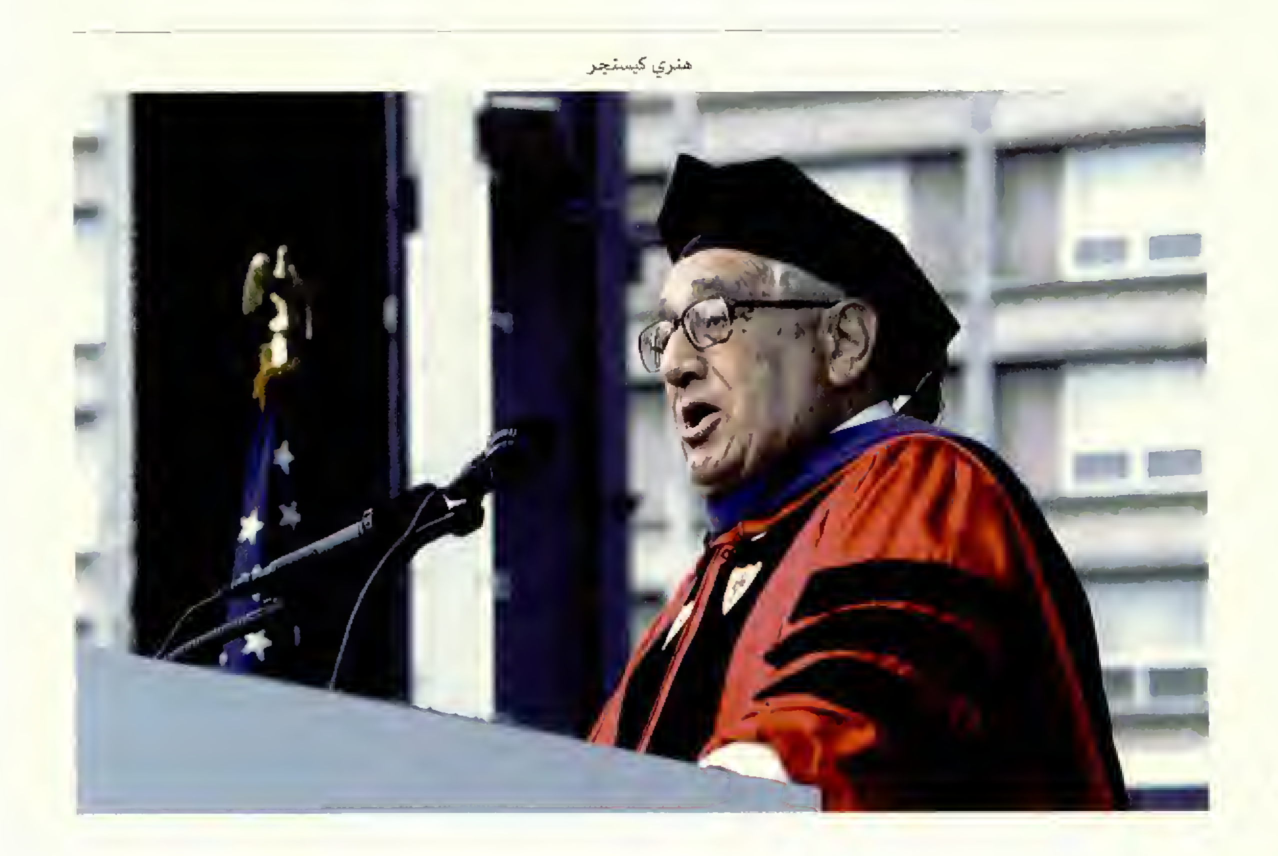
ثانياً: جامعة جورجيا

يقدم هذا الموقع صفحة البروفسور آلن جودلاس Alan Godlas تحت عنوان (الإسلام والعالم الحديث والغرب) ومن فقرات الموقع ما يأتي:

- الإسلام في الولايات المتحدة، وفيه روابط مهمة لموقع المجلس الإسلامي الأمريكي.
- تأثير الإسلام في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر.
- الأقلية الإسلامية في أمريكا وبريطانيا.
- النساء الأمريكيات المسلمات.
- الإسلام والعالم الإسلامي والقضايا المعاصرة.
- الإسلام والسلام والعنف والإرهاب.

وتتوالى الموضوعات وأبواب المواقع وأقسامها لتشمل جميع الجوانب، وكذلك قضايا المعاصرة ودراسات للإسلام والمسلمين في شتى أنحاء العالم. ومثل هذا الموقع يحتاج إلى تفرغ لدراسة محتوياته. ولكن أبدأ بانتقاد الموقع بإشارته في البداية إلى أن على الباحث أن يرجع إلى الموسوعة البريطانية من أجل الحصول على نظرة عامة ممتازة عن الإسلام، كما ينتقد في الموقع الإشارة إلى دراسات بعض الباحثين من العرب والمسلمين الذين لهم مواقف عدائية من الحركات الإسلامية أو المتغربين وبخاصة الذين تستضيفهم الجامعات الأمريكية والأوربية الذين لا يجدون قبولاً في العالم الإسلامي. والأمثلة على

هنري كيسنجر



www.ahlaltareekh.com

مصطلح الاستشراق قد انتهى من الاستعمال لدى الكثيرين: ذلك أن منظمة المؤتمر العالمي للمستشرقين أصبحت منظمة المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والإفريقية، وأن الأغلبية العظمى من الجامعات الغربية ألغت اسم الاستشراق من الأقسام العلمية

ذلك كثيرة جدًا . وعدم الإشارة إلى مواقع إسلامية متميزة في هذا الجانب، مع أنه ليس من الصعب على من أعدوا المواقع أن يتعرفوا إلى هذه المواقع.

ويؤخذ على الموقع عدم الإشارة إلى المواقع العربية والإسلامية التي تقدم معلومات متميزة عن الإسلام والمسلمين بعدة لغات، مع أنه من المفترض على الدارس في أقسام العلوم العربية والإسلامية أن يتقن اللغة العربية، وقد لاحظت أن طلاب هذه الأقسام يبذلون جهدًا جيدًا في هذا المجال.

ثالثًا: مركز التفاهم الإسلامي. المسيحي. جامعة جورج تاون

Center For Muslim- Christian Understanding: History and International Affairs(*).

الاستشراق لم يمت. وإنما الذي انتهى هو استخدام كلمة استشراق للتعريف بالدراسات حول العالم الإسلامي في الأغلبية العظمى من الجامعات في أوربا وأمريكا. وبخاصة في الولايات المتحدة، التي كان لها السبق في إنشاء ما سمي بالدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق

تأسيس المركز وأهدافه

أسس المركز سنة ١٤١٣هـ (عام ١٩٩٣م) كل من جامعة جورج تاون ومؤسسة الحوار بين النصارى والمسلمين التي تتخذ من جنيف مقرًا لها، بهدف التركيز في دراسة العلاقات الإسلامية المسيحية وتشجيع الحوار بين الدينين الكبيرين. ويركز المركز في العلاقات التاريخية والعقيدية والسياسية والثقافية بين الإسلام والنصرانية أو بين العالم الإسلامي والغرب. ويتبع المركز كلية إدموند والش Edmund A. Walsh للخدمة الخارجية في جامعة جورج تاون، مما يجعله يجمع بين أنشطة التدريس في المرحلة الجامعية وفي الدراسات العليا والبحث في العلاقات العامة.

ويستند تأسيس المركز إلى أهمية دور الدين في النظام الدولي المعاصر، كما يؤيد ذلك تراث جامعة جورج تاون الكاثوليكي اليسوعي، وموقعها في واشنطن العاصمة اللذين قد شكلا اهتمامها بدراسة الدين والعلاقات الدولية. كما أن حضور الإسلام وأثره عالميًا حقيقة في الحياة الدولية. ولذلك فإن فهم هذه الحقيقة وارتباطاتها بالجوانب الأخرى للشؤون العالمية ودور النصرانية في العالم هما الاهتمام الأساسي لبرامج المركز.

وقد اهتم المركز منذ السنة الأولى لتأسيسه بزيادة أفق المواد الدراسية المقدمة في المستوى الجامعي، وكذلك المواد المقدمة لطلاب الدراسات العليا.

أنشطة المركز: الندوات والمحاضرات

يسعى المركز إلى تحقيق أهدافه من خلال عدد من الأنشطة، منها عقد المؤتمرات والندوات وحلقات البحث والمحاضرات العامة ونشر الكتب. فقد عقد المؤتمر الأول بعنوان (العلاقات الإسلامية النصرانية: تطلعات إلى القرن الحادي والعشرين) يومي ٤ و٥ أبريل ١٩٩٥م، حضره نحو

www.ahlaltareekh.com

مئتين وخمسين إلى ثلاثمئة باحث وعالم دين ورؤساء مراكز ومسؤولين حكوميين من أوربا والشرق الأوسط. ومن موضوعات حلقات البحث والمحاضرات التي عقدت في المركز ما يأتي:

ـ الندوة السنوية لمجلس الدراسات الاجتماعية بالتعاون مع مصادر العالم العربي والخدمات العربية والخدمات الاجتماعية في واشنطن العاصمة Arab World and The Islamic Resources and Social Services Washington DC. عقدت في الفترة بين ٢٢-٢٥نوفمبر ١٩٩٦م.

ـ ندوة مستقبل النصارى العرب والنصارى في القدس والأرض المقدسة، عقدت الندوة في ٥ يونيو /حزيران عام ١٩٩٧م، وتحدث فيها كارين أرمسترونج Karen Armstrong من لندن والقس ديفيد جاجر David Jaeger من تكساس والقس نعيم عاتق ـ مدير مركز سبيل للحرية العقيدية بالقدس وممتاز أحمد ـ من جامعة هامبتون بولاية فرجينيا ـ وجوناثان كتّاب من القدس.

ـ القدس: الأشياء التي تصنع السلام، ندوة عقدت في ٦ يونيو/ حزيران عام ١٩٩٧م، بمشاركة من أصدقاء سبيل في أمريكا الشمالية. والكنيسة البريسبيترية القومية National Presbyterian Church.

ـ ندوة نظرة الغربيين إلى المسلمين ونظرة المسلمين إلى الغربيين. عقدت الندوة بين ٤ و٦ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٧م، بالاشتراك مع معهد البحوث الإسلامي بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد ـ باكستان وحصلت الندوة على تمويل من وكالة إعلام الولايات المتحدة.

وقد تعاون المركز مع عدد من المؤسسات الأمريكية الدينية والسياسية فإحدى الندوات عقدت بالتعاون مع تجمع القساوسة الكاثوليك، كما تعاون المركز في أكثر من ندوة ومحاضرة مع وكالة إعلام الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه هيئة حكومية تتبع لوزارة الخارجية الأمريكية. فإن قيل إن الدراسات العربية الإسلامية ليست مرتبطة بالحكومات أو إن المستشرقين لا يعملون لمصلحة الحكومات فكيف تقوم جهة حكومية بتنظيم ندوة حول «الإسلام السياسي» أو حول موقف الغربيين من الإسلام وموقف المسلمين من الغرب التي عقدت بالاشتراك مع الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان، فكيف تتعاون هذه المؤسسة الحكومية مع مركز مستقل يعمل لدعم التفاهم الإسلامي النصراني؟

ولنا أن نتساءل لماذا لم يتعاون المركز مع إحدى الجمعيات أو المؤسسات الإسلامية في واشنطن وهي كثيرة من أبرزها (معهد العلوم الإسلامية والعربية) التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد وقع مدير جامعة الإمام قبل أكثر من سنتين اتفاقًا للتعاون بين جامعة جورج تاون وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما أن واشنطن تستضيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجمعية العربية للدراسات الدولية وغيرها؟

وقد لاحظت أن ثمة تعاونًا مع رابطة الطلاب المسلمين في الجامعة، وليست الرابطة التي تجمع الطلاب المسلمين في أنحاء الولايات المتحدة أو رابطة الشباب العربي المسلم أو غيرها من المنظمات الإسلامية. كما لاحظت أن مشاركة باحثين وعلماء من المملكة

تعدّ جامعة جورج تاون أقدم المعاهد الكاثوليكية اليسوعية في الولايات المتحدة الأمريكية للدراسات العليا، بدأ التعليم فيها عام ١٧٩٧م. وأصبحت جامعة في عام ١٨١٥م، ووصل عدد الطلاب فيها عام ١٩٩٥م إلى أحد عشر ألف طالب وطالبة

www.ahlaltareekh.com

العربية السعودية اقتصرت على ندوة عن المملكة العربية السعودية، حيث تناول كل باحث جانبًا من تاريخ المملكة أو أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولعل ذلك كان في إطار اهتمام الجامعة بالاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة. أما الأنشطة الأخرى من محاضرات وندوات، فالغالب أن المشاركين من الولايات المتحدة، مع بعض المشاركة المحدودة لباحثين من أوربا أو بعض الجامعات الإسلامية مثل الندوة التي عقدت بتمويل من وكالة إعلام الولايات المتحدة حول نظرة المسلمين إلى الغرب ونظرة الغرب إلى المسلمين.

رابعًا: معهد الدراسات الشرقية (جامعة مارتن لوثر) بألمانيا:

يقدم موقع المعهد تعريفًا بالمعهد والعاملين فيه وبرامج المحاضرات والمناهج والمقررات الدراسية ومعلومات عن النشر في المعهد والرسائل العلمية المسجلة لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

خامسًا: معهد نوردك للدراسات الآسيوية Nordic Institute for Asian Studies

وهذا موقع متميز لدراسات العالم الإسلامي، ومن الموضوعات التي توجد في هذا الموقع ما يأتي:

- الاستشراق والاستغراب والمعرفة بالآخر بقلم البروفيسور ستاين توونسون Stein Tonnesson ويتكون البحث من ثماني صفحات.
- مقالة للدكتور حسن حنفي من جامعة القاهرة حول العولمة والاستشراق بعنوان (الشرق الأوسط في عالم من؟) The Middle East, in Whose World?، ويقول حنفي في هذا المقال: «والعولمة هي أيضًا طابع آخر من النوع نفسه تعبر عن علاقات القوة بين الشرق والغرب بعد سقوط الأنظمة الاشتراكية في أوربا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق .. ويشير إلى أن العولمة مصطلح تمّ صكّه أيضًا في مراكز بحوث الاستخبارات الأمريكية» (٩).

سادسًا: مركز دراسات الشرق الأوسط، بجامعة تكساس بمدينة أوستن

ويحتوي هذا الموقع على معلومات غزيرة عن البرامج العلمية التي تقدمها الجامعة، ولعل مركز هذه الجامعة من المراكز الكبرى في دراسة العالم الإسلامي، كما يوضح موقعه في شبكة الإنترنت، ومن أقسام هذا الموقع:

- الأمبريالية الأوربية والشرق الأوسط وإفريقية (قسم التاريخ).
- الجنس والملابس والهوية في المجتمعات الإسلامية.
- الأسس الأيديولوجية للحركات الثورية الإسلامية في العالم الإسلامي (قسم التاريخ).
- الآيات الشيطانية وعلم اجتماع العالم الإسلامي (ألغي هذا القسم).
- الثقافة التركية واللغة في أواسط آسيا (الدراسات الآسيوية).

ويضم الموقع برامج تعليم اللغات العربية والعبرية والتركية والفارسية، كما يضم تفصيلات عن المواد الدراسية.

المحور الثالث: مراكز البحوث والمعاهد العلمية في الإنترنت

يقدم هذا المحور بعض المعلومات الأساسية التي استقاها الباحث من الإنترنت أو من خلال النشرات التي

كم عدد الوزراء أو المسؤولين العرب والمسلمين الذين يشاركون في ندوات البحث العلمي ومؤتمراته، وكم عدد هؤلاء المسؤولين الذين يأتون إلى قاعات المحاضرات ليسهموا بعلمهم وخبرتهم في تعليم الأجيال العربية المسلمة؟

---

www.ahlaltareekh.com



تصدرها بعض هذه المراكز والمعاهد، والحقيقة أن الحديث عن المواقع الخاصة بالمراكز والمعاهد في الغرب - بصفة خاصة - يحتاج إلى الكثير من البحوث ولكننا في هذا البحث نقدم المعلومات الأساسية مع تحليل موجز لأنشطتها وإصداراتها.

أولاً: معهد الولايات المتحدة للسلام (United States Institute of Peace (*))



التعريف بالمعهد وأهدافه:

أسس هذا المعهد عام ١٩٨٤م، في عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان Ronald Regan بتمويل من الحكومة الأمريكية. ويستند في هذا التأسيس إلى مراسيم حكومية تعود إلى عام ١٩٣٥م، التي دعت إلى إنشاء مؤسسات وأقسام تتعلق بالموضوعات ذات العلاقة بالسلام. وهو معهد مستقل وغير منتم إلى أي حزب أو جهة، أي غير خاضع لأي ضغوط سياسية، ولكنه يقدم المساعدة للفرع التنفيذي من الحكومة وللكونجرس وللآخرين من خلال البحث والتحليل والمعلومات.

أما أهداف المعهد فتتلخص فيما يأتي:

- الإفادة من المواهب الوطنية والعالمية من المؤسسات البحثية والجهات الأكاديمية أو الحكومية لمساعدة صانعي السياسة من خلال تقديم البحث المستقل المبدع للتعامل مع المشكلات الدولية.

- تقديم حلول للصراعات الدولية من خلال وسائل حل المشكلات.

تدريب المتخصصين في الشؤون الدولية في إدارة المشكلات وأساليب الحلول والتفاوض والتوسط.

- تقوية المناهج والتعليم ابتداءً من المرحلة الثانوية حتى الدراسات العليا حول تغير طبيعة المشكلات الدولية والأساليب غير العنيفة لإدارة الخلافات الدولية.



www.ahlaltareekh.com

- رفع الوعي لدى الطلاب والعامة حول المشكلات الدولية وجهود حفظ السلام من خلال المنح الدراسية والنشر ونشر المعلومات الإلكترونية والمؤتمرات (١١).

أنشطة المعهد:

من هذه الأنشطة عقد الندوات ومنها:

- مستقبل باكستان (٢٦فبراير/ شباط عام ١٩٩٧م) شارك فيها عدد من الباحثين من أمثال مارفين واينبوم Marvin Weinbaum أستاذ - العلوم السياسية في جامعة إلينوي Illinis - ودنيس كوكس Denis Kux من مركز وودرو ويلسون بجامعة برنستون(١٢).

- أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط (٢٢أبريل/ نيسان عام ١٩٩٨م) تناولت الندوة أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط وأهمية التخلص منها لتحقيق السلام، وأشارت الندوة إلى كل من إيران والعراق والقوة النووية غير المعترف بها في إسرائيل منذ عام ١٩٦٨٧م(١٣).

لقد تنوع المشاركون في هذا النشاط، فهم في الغالب من الأكاديميين وأحيانًا يشترك عدد من كبار المسؤولين في الحكومة الأمريكية، ومن هؤلاء على سبيل المثال هنري كسينجر وزير الخارجية الأسبق وليس آسبن وزير الدفاع الأسبق وغيرهما.

إن دراسة العالم العربي والإسلامي توزعت على أقسام الجامعة المختلفة، فقد أحصيت ثمانية عشر قسمًا تهتم بالدراسات العربية والإسلامية في جامعة بيركلي، يقوم مركز دراسات الشرق الأوسط بالتنسيق بينها

إن كان التلفاز قد دخل كل بيت، وأصبح الوسيلة الأولى الإعلامية فإن الإنترنت لها خصوصيتها في الانتشار، وفي التأثير، ولا تزال تحتاج إلى دراسات عميقة، ولذلك فقد وقع اختياري على هذه الوسيلة لدراسة هذا الجانب المعرفي من خلالها

ويمكن أن نتساءل كم عدد الوزراء أو المسؤولين العرب والمسلمين الذين يشاركون في ندوات البحث العلمي ومؤتمراته، وكم عدد هؤلاء المسؤولين الذين يأتون إلى قاعات المحاضرات ليسهموا بعلمهم وخبرتهم في تعليم الأجيال العربية المسلمة؟ لا شك أنهم قليل. كما يلاحظ أن مراكز البحوث في العالم العربي تقتصر على المتخصصين في البلد الواحد فهي فرصة للتعارف بين الباحثين من مختلف البلاد العربية والإسلامية.

ثانيًا: معهد الشرق الأوسط Middle East Institute (❖)

أُسس المعهد في عام ١٩٤٦م، كمؤسسة غير حكومية بمبادرة من كامب قيصر Camp Keiser ولا تسعى إلى الربح، إنما هدفها زيادة الوعي لدى الأمريكيين بالشرق الأوسط بالمناطق الجديدة التي أصبحت ضمن منظومة الشرق الأوسط، مثل أواسط آسيا والقوقاز وتمتد من المغرب حتى الباكستان. وينشر المعهد مجلة دورية بعنوان «مجلة الشرق الأوسط» Middle East Journal. ويتبنى المعهد خمسين برنامجًا سنويًا تتمثل في المؤتمرات وحلقات البحث، وينشر نشرة نصف شهرية حول أخبار المعهد، ويصدر نشرة إخبارية بعنوان (تقويم الأحداث). ومن ضمن البرامج تدريس اللغات العربية والفارسية والتركية والعبرية. ويضم المعهد مكتبة تحتوي على أكثر

www.ahlaltareekh.com

من عشرين ألف مجلد.

ويؤكد المعهد أنه يتبنى مواقف محايدة في قضايا الشرق الأوسط ويمتنع أن يكون أداة بيد أي جهة. وأن هدفه تشجيع البحث العلمي والتفكير الخبير والفهم الحقيقي لهذه المنطقة المعقدة. والمعهد قائم على الاشتراك الفردي والمؤسسي إذ يوجد فيه من المشتركين أكثر من ألف ومئتي عضو من الأفراد وسبع وثلاثين مؤسسة حتى نهاية عام ١٩٩٧م (١٤).

برنامج الشؤون الإسلامية:

يتضمن المعهد برامج أطلق عليها برامج الشؤون الإسلامية وكانت في الأصل تحت مسمّى: «المعهد الأمريكي للشؤون الإسلامية» ومن أنشطة هذه البرامج دراسة قضايا في العالم الإسلامي تركز في دور الإسلام في دول أو مناطق معينة أو أي جانب محدد في الحضارة الإسلامية. والمعهد لا يتبنى أي موقف ديني معين، ودقة المعلومات والحقائق هي من مسؤوليات الباحثين وحدهم ولا تمثل بالضرورة موقف المعهد في هذه القضايا.

ثالثاً: مركز الدراسات العربية المعاصرة - جامعة جورج تاون (❖)-Center for Contemporary Arab Studies Georgetown University

تعدّ جامعة جورج تاون أقدم المعاهد الكاثوليكية اليسوعية في الولايات المتحدة الأمريكية للدراسات العليا، بدأ التعليم فيها عام ١٧٩٧م وأصبحت جامعة في عام ١٨١٥م. ويصل عدد الطلاب فيها عام ١٩٩٥م إلى أحد عشر ألف طالب وطالبة.

أما هذا المركز فقد أسس سنة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بهدف توسيع الدراسات الأكاديمية والبحث العلمي حول العالم العربي. وهذا المركز جزء من كلية إدموند إي والش للخدمات الخارجية بجامعة جورج تاون.Edmund A. Walsh of Foreign Service. فالمركز يوفر الفرص للطلاب ليتخصصوا في الشؤون العربية ويقدم لمن لديهم اهتمامات دولية فرصًا للحصول على درجة من المعرفة بالعالم العربي.

ويتسع نطاق اهتمام المركز بالعالم العربي من المغرب إلى الكويت والسودان وسورية. أما من الناحية العلمية فيضم مجالات علمية مثل اللغة العربية والأدب العربي والعقيدة والاقتصاد والتاريخ والعلوم السياسية والعلاقات الدولية والفلسفة وعلم الاجتماع وإدارة الأعمال والقانون والفنون الجميلة. ولقد حقق المركز أهمية في هذا المجال على المستوى القومي والمستوى العالمي واعترف به كمركز تميز للتعليم والبحوث حول العالم العربي (١٥).

ويعتقد مسعود ضاهر (أستاذ التاريخ بالجامعة اللبنانية) أن جامعة جورج تاون من أكبر الجامعات التي يديرها اليسوعيون (الجوزويت) في العالم إن لم تكن أكبرها، كما أشار إلى خبرات اليسوعيين في المجال التعليمي إذ إن اليسوعيين يديرون الكثير من المعاهد والجامعات في الدول الأخرى ومنها جامعة القديس في لبنان (١٦).

ويجذب المركز عددًا وافرًا من المسؤولين الأمريكيين المهتمين بمشكلات الصراع العربي الصهيوني، إذ يشاركون في حضور المحاضرات والندوات، ومن الأمثلة

المواقع العامة تقدم ثروة كبيرة من الكتابات حول الإسلام. وتحتاج إلى بحوث دقيقة للجهات التي أنشأت هذه المواقع وتمويلها وكتابها ودراسات تحليلية للمواد العلمية التي تقدمها. لأن الشبكة أصبحت مجالاً قويًا لعرض الآراء الخبرات وتبادلها

www.ahlaltareekh.com

على ذلك الندوة التي عقدت بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين وشارك فيها سفراء الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل ومصر (١٧).

ولعل من أهم أنشطة المركز الاتفاق الذي تم توقيعه عام ١٩٩٥م، بين المركز وجامعة الأخوين في المغرب في مجالات البرامج الدراسية والامتحانات ويعلق مسعود ضاهر بقوله: «وهي اتفاقية تدل على الثقة بالمستوى الثقافي لمركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون، وبضرورة الاستفادة من خبرته في تأسيس وتطوير جامعة مغربية حديثة تدرّس باللغة الإنجليزية» (١٨).

ويحصل المركز على تمويل سخي من العالم العربي والإسلامي، وكما يقول مسعود ضاهر في بحثه حول المركز: «فإن بعض الدول تقدم مساعدات مالية سخية لدعم نشاط هذه المراكز ويكفي التذكير بأن كرسي عمر المختار وكرسي سيف عباس يقوم بتمويل أساتذتهما ممولون عرب» (١٩). ويمكن ملاحظة التمويل من خلال حديث المركز عن الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والأنشطة الأخرى ولكن لا بد أن المركز يحصل على تمويل مباشر من أعضاء مجلس الأمناء، ومن هؤلاء مثلاً سعاد الجفالي التي استضافت وفد المركز في زيارته للسعودية

لم يقتصر النشاط الاستشراقي على الأقسام العلمية، ومراكز البحوث والمعاهد المتخصصة، ولكنه وصل إلى شبكة الإنترنت بقوة. فهذه الشبكة أصبحت إحدى وسائل الاتصال المعاصرة التي وصلت إلى مئات الملايين من البشر في أنحاء الدنيا

وقطر والإمارات العربية المتحدة في الفترة من ١٨ فبراير /شباط إلى ٥مارس/ آذار ١٩٩٩م، ومن الذين وعدوا المركز بالدعم طلال الزين من شركة انفستكورب Invest-corp، الذي رافق الوفد في زيارته للسعودية وقطر، وكذلك صلاح الحجيلان من مكتب الحجيلان الدولي للمحاماة.

أحدث إصدارات المركز:

أتاحت شبكة الإنترنت للباحث الاطلاع على آخر إصدارات المركز من الكتب وفيما يأتي نماذج منها:

. الدولة والمجتمع والديموقراطية في المغرب: حدود الحياة المشتركة. تأليف عزيز الدين العياشي، ١٩٩٩م. يفحص المؤلف عزيز الدين العياشي المتخصص في العلوم السياسية العلاقات بين الدولة والمجتمع في المغرب ويجد أن سياسية الأحزاب المتعددة الدائمة والحياة الاجتماعية المترابطة لم تؤديا إلى ظهور عملية التعددية السياسة المفتوحة ولم تشجعا تطور المجتمع المدني.

رابعًا: المؤسسة الأمريكية التعلمية American Educational Trust (❖)

تعرف هذه المؤسسة نفسها بأنها مؤسسة ليست ربحية، أسسها في واشنطن العاصمة عدد من المتقاعدين من الخدمة الخارجية في الحكومة الأمريكية لتقدم معلومات متوازنة ودقيقة عن علاقات الولايات المتحدة بدول الشرق الأوسط. وتضم لجنة السياسة الخارجية في المؤسسة سفراء أمريكيين سابقين ورجال كونجرس من أمثال السناتور الديموقراطي وليام فلبرايت William Fulbright والسيناتور الجمهوري شارلز بيرسي Charles Persy، وكلاهما كان رئيسًا للجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس (٢٠).

نشاط المؤسسة

تصدر المؤسسة مجلة بعنوان (تقرير واشنطن حول

www.ahlaltareekh.com

شؤون الشرق الأوسط) كما تقوم بتوزيع عدد من الكتب التي تهتم بالإسلام وبالعالم الإسلامي. بالإضافة إلى نشرها كثيرًا من المواد التي لا يمكن أن تجدها في الصحف أو وسائل الإعلام الأمريكية الأخرى، ومن أمثلة ذلك تقارير لزيارات يقوم بها أمريكيون من الأوساط الأكاديمية أو الدينية إلى فلسطين وما شاهدوه من اضطهاد إسرائيل الفلسطينيين، كما تنشر بعض الكتابات حول اليهود في الولايات المتحدة ونفوذهم وحقيقة إخلاصهم للقضايا الأمريكية أو ولائهم المزدوج. كما تتعاون المؤسسة مع المنظمات الشبيهة كمنظمة الدفاع عن المصالح القومية التي أسسها السيناتور الأمريكي بول فيندلي Paul Findely، كما يبدو التعاون واضحًا بين المؤسسة التعليمية الأمريكية والمنظمات العربية والإسلامية إذ تنشر أخبار هذه المنظمات وأنشطتها ومؤتمراتها.

قضية فلسطين والصراع الإسلامي الإسرائيلي

من أبرز أنشطة هذه المؤسسة تناول قضية الصراع العربي الإسرائيلي، ومن خلال مراجعة بعض أعداد المجلة التي تصدرها المؤسسة وهي (تقرير واشنطن حول الشرق الأوسط) Washington Report on Middle East Affairs يتأكد لنا مدى حرص هذه المؤسسة على عرض وجهات نظر متوازنة. وفي هذا البحث سنقدم فقط تلك الآراء التي لا تطرح عادة في الصحافة الأمريكية، التي تميل إلى تأييد وجهة النظر الإسرائيلية التي تدعو إلى حماية المصالح الإسرائيلية حتى لو تعرضت المصالح الأمريكية للخطر.

هذه نماذج محدودة جدًا من المراكز والمعاهد البحثية التي تقدم شبكة الإنترنت معلومات عنها ويمكن للباحث أينما كان أن يتصل بها ويتعرف إلى أنشطتها حتى المشاركة في هذه الأنشطة.

المراجع والهوامش

1- Bernard Lewis."The Question of Orientalism" In New York Review of Books, June, 24 1982, pp49 - 56.

2- Orientalism Confirmed www.Baristarim.freeyellow.com

والموقع محظور في السعودية لوجود بعض الحديث عن الاستشراق والجنس، مع أن الموقع من المواقع الجادة جدًا، ولكن الآلات لا تفهم فقط بكون الحظر بسبب صورة أو بعض عبارات تناولت الاستشراق والجنس.

٣. المرجع نفسه من المقدمة.

4- Marla Brqverman, "Lvory Towers on Sand; The Failure of Middle Eastern Studies In America. "In Azure, Summer 2003. found in www.campus-watch.org/article/id/708 Seen9/5/1425.

5- Stanley Kurtz. "Middle East Studies Blacklist" In Natianal Review Quoted in www.aish.com/jewishissues/jewshociety/middle_Eas_Studies_Blacklist.asp

من الإنترنت يوم ٩جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، والكاتب يعمل باحثًا في معهد هوفر بجامعة ستانفورد، وهو من المعاهد المؤيدة للمحافظين الجدد ولإسرائيل.

6- Ibid.

7- Ibid.

8- Danie Pipes. "Defund Midddle East Studies" in New York Sun. February 24.2004. Quoted From www.danielpipes.org/article/1581

نظرت في الإنترنت في ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٥

(*) عنوان المركز هو Georgetown University, 260 Intercultural Center, 37the & O Streets, N.W., Washington Dc 20057, USA.

9- Hassan Hanafi. "The Middle East, in Whose world?" In Nordic We Site (a paper Presented to the Fourth Nordic Conference on Middle Eastern Studies: The middle East and Globalizing World.

www.ahlaltareekh.com

الخـــاتمة

نعود إلى ما بدأنا به بالقول إن الاستشراق لم يمت وإنما الذي انتهى هو استخدام كلمة استشراق للتعريف بالدراسات حول العالم الإسلامي في الأغلبية العظمى من الجامعات في أوربا وأمريكا وبخاصة في الولايات المتحدة التي كان لها السبق في إنشاء ما سمي بالدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق، ثم توسعت هذه الدراسات لتضم الأقسام العلمية المختلفة التي بلغت في جامعة بيركلي ثمانية عشر قسمًا يحتل العالم الإسلامي جزءًا من اهتمامها ويتم التنسيق لهذه الأنشطة من خلال مركز دراسات الشرق الأوسط.

ولهذا فشبكة الإنترنت تقدم لنا كمًا هائلاً من المعلومات حول الإسلام والمسلمين وإن كانت الأغلبية العظمى لهذه المواقع باللغات الأوربية وبخاصة الإنجليزية وما تزال الأفكار السائدة في هذه المواقع هي التي تقدم وجهة النظر الأوربية والعربية حول العالم الإسلامي والمسلمين، وقد لاحظت أن مجلة أتلانتك الشهرية Atlantic Monthly تعيد نشر بعض المقالات التي تقطر سمًا في شتم الإسلام والمسلمين والتي لا تتسم بأي سمة علمية.

ولعل المطلوب أن يعكف الباحثون العرب والمسلمون على نشر ما لديهم من بحوث وكتابات حول العالم الإسلامي وقضاياه في هذه الشبكة ولا بد من الحرص على ترجمة الجيد من هذه الكتابات، وبخاصة التي تعرف كيفية مخاطبة العقل الغربي بالمنطق والحجة والدليل. فلا بد أن يتوقف ما قاله الشاعر

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستشهدون وهم حضور

---

١٠. عنوان المركز هو 1550 M Street NW, Washington, Dc 20005, USA، والعنوان الإلكتروني هو org.usip-regusts@usip.

11- United States Institute of Peace. Facts Sheet, September 1995.

12- Peace Watch. USIP, Vol.III, No.3. April 1997.

13- Ibid. Vol. IV. No. 4, June 1998.

(❖) عنوان المعهد هو: The Middle East Institute. 1761 N Street NW, Washington, DC200362882, USA وعنوان المعهد على الشبكة النسيج http://www.mideast.org/mei.

14- Annual Report 1991, The Middle East Institute. Washington, Dc.

15- Publications: Center for Contemporary Arab Studies.p22.

١٦. مسعود ضاهر، مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تاون . واشنطن، في أعمال المؤتمر العالمي الثاني حول المنهجية الغربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية عن العالم العربي وتركيا، تونس: مؤسسة التميمي للبحث العلمي، ومؤسسة كونراد إديناور ١٩٩٦م، ص١٨٥. ١٩٩.

١٧. المرجع نفسه، ص١٩٢.

١٨. مسعودضاهر، مرجع سابق، ص١٩٥. ١٩٦.

١٩. مسعود، ضاهر، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(❖) عنوان المؤسسة هو: P.O.Box 53062. Washington, D.C. 20009، وعنوانها في البريد الإلكتروني هو:wrmea@aol.com، وموقع المؤسسة على شبكة النسيج هو:http://www.washigton-report.org.

٢٠. الصفحة الأولى من كل عدد من أعداد مجلة المؤسسة المعنونة Washengton Report on Middle East Affairs.

www.ahlaltareekh.com





البحث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي

نوزاد عبدالرحمن الهيتي

الدوحة ـ قطر

أصبح تطبيق العلوم في أساليب التصنيع أو في الممارسات الزراعية أساسًا لتقدم النظم الإنتاجية في نهاية القرن التاسع عشر، مما أدى في النهاية إلى زيادة دخول معظم المنتجين.

وفي نهاية العقد العشرين حولت الاستثمارات في مجال البحث والتطوير المعرفة إلى عنصر أساسي في الإنتاج، وبدت المعامل الصناعية في إنتاج مخترعات، وجدت طريقها بوقت قصير إلى التسويق التجاري. وفي العقد الأخير من القرن الماضي فقط بدأ مخزون المعرفة الموروث يصل إلى الناس بشكل أوسع، ومن المتوقع أن تصبح المعلومات في القرن الحادي والعشرين العنصر الرابع في العملية الإنتاجية، بل ويتجاوز العناصر الثلاثة الأخرى (الأرض والعمل ورأس المال) في الأهمية.

وأمام هذه الصورة، فقد اهتمت دول مجلس التعاون الخليجي ببناء قواعد للبحث والتطوير، تمثلت بإنشاء مراكز ووحدات للبحوث والتطوير في عدد من القطاعات والأنشطة الاقتصادية.

وسوف نتناول في مقالنا هذا أداء منظومة البحث والتطوير في الدول الخليجية من خلال بعض المؤشرات الخاصة بمدخلات ومخرجات البحث والتطوير، وأهم التحديات التي تواجه هذا النشاط الديناميكي الذي يشكل عصب عملية النهوض التنموي للدول كافة.

www.ahlaltareekh.com



أولاً . أهمية البحث والتطوير

تشير شواهد التطور الاقتصادي في العالم خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين إلى أن الدول التي اهتمت ببناء منظومة كفؤة للبحث والتطوير هي التي استطاعت أن تحقق المنجزات الاقتصادية غير المسبوقة بفترة زمنية قياسية، ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى التجربة اليابانية، والتجربة الكورية. وأصبح البحث والتطوير يمثلان اليوم المحرك الأساسي للتقدم الاقتصادي، فقد أصبحت السلع ذات المحتوى التكنولوجي تمثل ٧٠٪ من المنتجات المصنعة حديثًا (١).

وقد أكد الكثير من الدراسات تأثير البحوث في تطوير الإنتاجية، ومن أهم هذه البحوث بحث تشارلز الذي وجد أن الاستثمار في بحث تهجين القمح قد عاد على الاقتصاد الأمريكي بعوائد لا تقل عن ٧٠٠٪ في السنة (٢).

وتشير دراسة أخرى إلى أن العائد المتحقق من الاستثمار في البحث العلمي والتطوير يفوق عائد الكثير من المشروعات التنموية، إذ قدر عائد البحث العلمي على المدى البعيد بين ٤٠ و٦٠٪ سنويًا من قيمة

www.ahlaltareekh.com

الاستثمار فيه، وفي باكستان مثلاً قدر عائد البحوث في مجال إنتاج القمح بأكثر من ٥٨٪ (٣).

ويمكن أن يكون للاستثمار في البحث والتطوير عوائد ضخمة، فعلى سبيل المثال: قدر متوسط معدل العائد الداخلي الحقيقي لنحو (١٨٠٠) برنامج بحث عام حول القمح والأرز، والذرة، ومحاصيل زراعية أخرى جرت في كل مناطق العالم، وعلى مدار أربعة عقود مضت بنحو ٤٤٪ (٤).

نلاحظ أن البحوث الطبية لها نصيب الأسد في البحث والتطوير في دول مجلس التعاون فقد شكلت ما نسبته ٣٢.٦٪ من مجموع الإنتاج. وساهمت علوم الهندسة بنسبة ٢٢.٧٦٪. تليها العلوم الأساسية بنسبة. ٢٠.٨٪. والعلوم الزراعية والبيطرية بنسبة ٣.٥٦٪

ثانياً . مؤسسات البحث والتطوير الخليجية

دفع الاهتمام المتزايد بالبحث والتطوير بدول مجلس التعاون الخليجي إلى إنشاء الكثير من المراكز البحثية المتخصصة، سواء أكان ذلك ضمن إطار هيئات أو مجلس أو أكاديميات للبحث والتطوير، ويتفاوت حجم هذه المراكز من دولة إلى أخرى وفقًا لقدرات كل قطر خليجي، وتتبع هذه المراكز إما للجامعات، وإما للوزارات، وإما أن تكون وحدات مستقلة.

وعلى الرغم من عدم توافر إحصاءات دقيقة عن مراكز ووحدات البحوث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي، غير أن المتاح منها يشير إلى أن عدد مراكز البحوث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي قد بلغ (٨٥) مركزًا ووحدة. ويلاحظ بأن وحدات البحث والتطوير المستقلة، والتابعة للوزارات قد شكلت ما نسبته ٤٩,٥٪ من وحدات البحث والتطوير في دول المجلس، أما بالنسبة إلى الوحدات المرتبطة بالجامعات الخليجية، فقد مثلت ٤٣,٥٪، وأخيرًا شكل القطاع الخاص ما نسبته ٧٪ من الوحدات المنفذة لأنشطة البحث والتطوير، واقتصر وجود هذه الوحدات على السعودية والكويت فقط، وهذا ما يؤكد حقيقة ضعف مساهمة القطاع الخاص في إدارة البحث والتطوير، وهيمنة القطاع الحكومي في هذا المجال (٥).

ثالثًا . مدخلات البحث والتطوير

يعدّ كل من البشر، ورأس المال المدخلين الرئيسين للبحث والتطوير. وهناك بعض المؤشرات المستخدمة في تقويم مدخلات البحث والتطوير، ومنها:

- إعداد العاملين في البحث والتطوير وخصائصهم:

وعلى الرغم من أن عدد سكان دول مجلس التعاون الخليجي يشكل ١٠٪ من سكان الوطن العربي، غير أن عدد العاملين بالبحث والتطوير في دول مجلس التعاون لا يمثل سوى ٧٪ من إجمالي القدرات العربية العاملة في البحث والتطوير، وأن عددهم لكل ١٠٠ ألف من السكان قد بلغ (١٢,٥)، وتتفاوت دول مجلس التعاون فيما بينها في هذا المؤشر، فقد بلغ أعلى مستوى في الكويت (٢٥,٨)، وأدنى مستوى في عمان (٤,١)، وتبقى هذه الأرقام منخفضة جدًا مقارنة بإسرائيل والولايات المتحدة، حيث بلغت فيهما ٣٧٠، و٣٦٠ على التوالي (٦).

ويلاحظ من التوزيع النسبي للعاملين في البحث والتطوير بحسب الاختصاص أن الزراعة والميادين المرتبطة بها تهيمن على أكثر من ٣٠٪ من العاملين في البحث والتطوير في دول المجلس، تليها العلوم الاجتماعية والإنسانية بنسبة ٢٣,٣٥٪، ثم العلوم الطبيعية والهندسية بنسبة ٢٠,٣٤٪ (٧).

www.ahlaltareekh.com

علاوة على ضعف الإنفاق على البحث والتطوير، فإننا نجد أيضًا أن هيكله يتسم بالخلل. إذ تسيطر المرتبات والأجور على إجمالي المخصصات. أما ما يذهب إلى الأنشطة البحثية والتجهيزات. فلا يشكل سوى النزر القليل

ويوضح هذا المؤشر لنا حقيقة مضمونها ضعف نشاط النقل العمودي للتقنية، وضعف نشاط التطويع والتكيف التكنولوجي للواقع الخليجي.

ـ الإنفاق على البحث والتطوير:

يمثل الإنفاق على البحث والتطوير أحد المؤشرات التي تستخدمها المنظمات الدولية والإقليمية للحكم على فعالية البحث والتطوير، وأن المؤشر الأكثر استخدامًا يتمثل بنسبة ما ينفق على البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي، فقد بلغ ٠,١٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي لأقطار المجلس، ويراوح بين ٠,٤٠٪ في الكويت و٠,٠٥٪ في سلطنة عمان، وتبقى هذه النسب منخفضة جدًا مقارنة بالسويد وكوريا الجنوبية اللتين بلغت فيهما النسبة ٣,٨، و٢,٨٪ على التوالي (٨).

وغني عن البيان، أن دول مجلس التعاون الخليجي لم تتمكن خلال عقد التسعينيات من تنفيذ إستراتيجيتها لزيادة حجم الإنفاق على البحث والتطوير بصورة تدريجية لتصل إلى ٠,٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي، و١٪ كهدف منشود بحلول عام ٢٠٠٠م؛ وذلك لأسباب كثيرة، ضعف دور القطاع الخاص في الاقتصاد الخليجي عامة، واستمرار التوجه نحو شراء المعرفة والتقانة من الخارج في المشروعات الصناعية الكبيرة.

كما يلاحظ أن معظم الإنفاق على البحث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي كافة تقوم به الحكومات، باستثناء الكويت والسعودية، اللتين ساهم القطاع الخاص فيهما بنسبة ٤٪ من مصادر التمويل (٩). ولذلك فإن مخرجات البحث والتطوير الموجهة نحو الإنتاج الاقتصادي عامة، والصناعي خاصة تكاد تكون معدومة، كما أن الاعتماد الكلي على الحكومة يعرض برامج البحث والتطوير لعواقب خفض الإنفاق الحكومي في ظل الأعباء المتزايدة على موازنة الدولة وتطبيق سياسات خفض الإنفاق وترشيده.

رابعًا ـ مخرجات البحث والتطوير

يعتمد قياس فعالية مخرجات البحث والتطوير على بعض المؤشرات، التي من أهمها مؤشر النشر في

لابد من الاهتمام بالبحث والتطوير لمواجهة تحديات العولمة



www.ahlaltareekh.com



الطاقات البشرية ورأس المال من أهم مداخل البحث والتطوير

الدوريات المحكمة (دوليًا)، وتسجيل براءات الاختراع في الولايات المتحدة وأوربا.

- عدد المنشورات السنوية:

يعدّ هذا المؤشر أحد أهم المؤشرات المهمة التي تساعد على إعطاء صورة عن مدى تقدم البحث العلمي أو تخلفه، وتساهم مراكز البحوث والتطوير في التنمية العلمية والتكنولوجية لدول المجلس من خلال ما تقدم من كتب وبحوث ودوريات مختلفة.

وشهد النتاج العلمي للعلماء في دول مجلس التعاون المنشور في دوريات عالمية محكمة تطورًا ملحوظًا خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي، فقد ارتفع عدد البحوث المنشورة في دوريات عالمية من (٦٢) بحثًا في عام ١٩٧٧م إلى ١٤٤٧، بحثًا في عام ١٩٩٥م، وهو ما يمثل نحو ٢٣٪ من جميع المنشورات العلمية في الوطن العربي، وفي عام ١٩٩٥م، فإن هناك سبع مؤسسات في المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات والبحرين نشرت أكثر من خمسين ورقة أو أكثر (١٠).

ومن المحتمل أن يكون باستطاعة دول مجلس

www.ahlaltareekh.com

أكد الكثير من الدراسات تأثير البحوث في تطوير الإنتاجية. ومن أهم هذه البحوث بحث تشارلز الذي وجد أن الاستثمار في بحث تهجين القمح قد عاد على الاقتصاد الأمريكي بعوائد لا تقل عن ٧٠٠٪ في السنة

التعاون الخليجي كافة الحفاظ على نسبة نمو عالية في نشاط البحث والتطوير، غير أن الشواهد لا توضح أن موضوع البحث والتطوير سيدمج في نشاطها الاقتصادي بسبب الاعتماد الكبير على نقل التقنية الجاهزة، فقد بلغت قيمة عقود نقل التقنية في مجال صناعات استخراج النفط والغاز ونقله (٩،٥ مليارات) دولار خلال الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٩٨م (١١).

وعند النظر على تركيب الإنتاج العلمي في دول مجلس التعاون الخليجي، نلاحظ أن البحوث الطبية لها نصيب الأسد في البحث والتطوير في دول مجلس التعاون فقد شكلت ما نسبته ٣٢،٦٪ من مجموع الإنتاج، وساهمت علوم الهندسة بنسبة ٢٢،٧٦٪، تليها العلوم الأساسية بنسبة، ٢٠،٨٪، والعلوم الزراعية والبيطرية بنسبة ٣،٥٦٪ (١٢).

يلاحظ أن معظم الإنفاق على البحث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي كافة تقوم به الحكومات، باستثناء الكويت والسعودية، اللتين ساهم القطاع الخاص فيهما بنسبة ٤٪ من مصادر التمويل

ومن الملاحظ أن تنمية البحث العلمي في دول مجلس التعاون هي عملية ديناميكية مستمرة، ومن المتوقع أن تتجاوز نسب دول النمور الآسيوية، غير أن التحدي الكبير الذي سيواجه دول مجلس التعاون في العقد الحالي يكمن في بناء علاقات ارتباط وثيقة بين وحدات الاقتصاد المختلفة وقطاعاته.

- مؤشرات براءات الاختراع المسجلة:

يعدّ مؤشر براءات الاختراع المسجلة في المكتب الأمريكي أحد المؤشرات المستخدمة في قياس مخرجات البحث والتطوير الخليجي، وتشير الإحصاءات المتاحة إلى أن ناتج البحث والتطوير الخليجي وفقًا لهذا المؤشر ضئيل جدًا. فعلى الرغم من ارتفاع أعداد براءات الاختراع المسجلة في المكتب الأمريكي من ١٠ براءات عام ١٩٩١م إلى نحو ٥٠ براءة في عامي ١٩٩٨ و١٩٩٩م، غير أننا نجد تدني هذا المؤشر عند مقارنته ببعض الدول، مثل: كوريا الجنوبية التي بلغ المؤشر فيها ٥٠٨٩ براءة، وإسرائيل ١٢٤٣ براءة اختراع (١٣).

خامساً. التحديات التي تواجه منظومة البحث والتطوير

تواجه منظومة البحث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي مجموعة من التحديات التي تؤثر في كفاءة أداء مراكز البحث والتطوير الخليجية ووحداته يمكن إيجازها بالآتي:

- ضعف العلاقة بين وحدات البحث والتطوير ومؤسسات الاقتصاد المختلفة:

إن علاقات العمل بين الباحثين ومؤسسات البحث من ناحية، والمؤسسات الحكومية وقطاعات الإنتاج من ناحية أخرى، ما زالت ضعيفة جدًا أو شبه معدومة، وما زالت هناك ضبابية حول الأهداف الوطنية للبحوث والتطوير، وعدم وضوح الأولويات لدور العلوم والتقنية

www.ahlaltareekh.com

في الخطط التنموية، فهناك استمرارية للوضع السابق عمومًا الذي يرسخ غياب الرؤية الوطنية الشاملة، كما أن هناك غيابًا للقوانين والتشريعات التي تحدد مصادر تمويل البحث والتطوير وأهدافه، كما تحدد علاقة مؤسسات البحث والتطوير بقطاعات الإنتاج. ويمكن الإشارة في هذا المجال إلى مثال واحد، فقد بلغ عدد الأبحوث العلمية المنجزة بدعم من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٩٩٨م، أكثر من (٨٠٩) بحوث، لم تتم الاستفادة من معظمها في ظل غياب الآلية والجهد المناسبين لتسويقها (١٤).

ـ ضعف المخصصات المالية للبحث والتطوير:

على الرغم من وجود إستراتيجية التنمية الشاملة البعيدة المدى التي أقرتها دول مجلس التعاون الخليجي، والتي أكدت ضرورة زيادة الإنفاق على البحث والتطوير كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي، غير أننا نجد أن مستوى الإنفاق على البحث والتطوير سوف يشل من قدرة تلك المراكز البحثية على أداء دورها في دفع مسيرة التنمية المستديمة.

وعلاوة على ضعف الإنفاق على البحث والتطوير، فإننا نجد أيضًا أن هيكله يتسم بالخلل، إذ تسيطر المرتبات والأجور على إجمالي المخصصات، أما ما يذهب إلى الأنشطة البحثية والتجهيزات، فلا يشكل سوى النزر القليل.

ـ ضعف التعاون الخليجي في مجال البحث والتطوير:

يتسم نشاط البحث والتطوير بأنه عالمي، والتعاون بين العلماء مفيد لإيجاد الحلول للكثير من المشكلات التنموية التي تكتسب طابعًا عالميًا وإقليميًا، ففي الوقت الذي نجد فيه تعاونًا وثيقًا بين علماء خليجيين وعلماء من دول أجنبية نلاحظ أن التعاون بين العلماء الخليجيين تعاون بسيط، إن لم يكن معدومًا، على الرغم من أن حوافز التعاون الخليجي في مجال البحث والتطوير كبيرة إذ تقع غالبية دول المجلس في مناطق جافة، حيث تندر المياه، وما قد يطرح من قضايا متعددة في مجال استخدام المياه وتحليتها، وفي الزراعة، وفي إدارة المياه، وبالمثل نجد أن أغلب دول المجلس منتجة للنفط والغاز، وهو ما يطرح تحديات وفرصًا تقنية مشتركة من أجل المشاركة في الخبرات.

ـ غياب الأنساق القطرية للبحث والتطوير:

تعاني دول مجلس التعاون الخليجي غياب نسق قطري متطور للبحث والتطوير، فمن دون هذا النسق يعاني الأداء الداخلي كثيرًا، كما تعاني العلاقات الاقتصادية الخارجية بدرجة كبيرة، وبعبارة أخرى لا

على الرغم من عدم توافر إحصاءات دقيقة عن مراكز ووحدات البحوث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي. غير أن المتاح منها يشير إلى أن عدد مراكز البحوث والتطوير في دول مجلس التعاون الخليجي قد بلغ (٨٥) مركزًا ووحدة

إن تنمية البحث العلمي في دول مجلس التعاون من المتوقع أن تتجاوز نسب دول النمور الآسيوية. غير أن التحدي الكبير الذي سيواجه دول مجلس التعاون في العقد الحالي يكمن في بناء علاقات ارتباط وثيقة بين وحدات الاقتصاد المختلفة وقطاعاته

www.ahlaltareekh.com

يمكن أن يتعاون قطران إلاّ إذا امتلكا البنية المؤسسية والنسقية، ومن ثم بقيت التجارة الخليجية البينية لا تتجاوز ٧٪ من إجمالي التجارة الخارجية لدول مجلس التعاون الخليجي (١٥).

الخاتمة

تستدعي مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، والمتمثلة بالعولمة، وثورة المعلومات، والهندسية الجينية تفعيل وحدات البحوث والتطوير، وتعزيز دورها الإيجابي في إيجاد الحلول للكثير من المشكلات التنموية التي تعانيها دول مجلس التعاون الخليجي. وأن تحقيق ذلك يتطلب القيام بما يأتي:

- زيادة التمويل للبحث والتطوير، بحث تصل نسبة الإنفاق على البحث والتطوير من الناتج المحلي الإجمالي إلى ٢,٥٪ على الأقل بحلول عام ٢٠١٠م؛ انسجامًا مع توصيات المؤتمر الأول للعلوم والتكنولوجيا الرفيع المستوى من أجل السلم والتنمية الذي نظمته مجموعة ٧٧ في دبي ٢٠٠٢م.
- تشجيع القطاع الخاص على الدخول في مجال البحث والتطوير، ورفع مساهمته في تمويل الأبحاث العلمية، وخصوصًا في المجالات التقنية المعاصرة.
- العمل على زيادة عدد العلماء والباحثين في الميادين العلمية والتقنية من خلال زيادة عدد طلبة البعثات في تخصص المعلوماتية، والهندسة الوراثية، وغيرها من التخصصات المهمة؛ لتحقيق التنمية المستديمة.
- تعزيز التعاون بين علماء دول مجلس التعاون الخليجي من خلال تشكيل فرق عمل مشتركة لمعالجة القضايا والمشكلات التنموية المشتركة، مثل: التصحر والجفاف، ونقص المياه، والتلوث البحري، وقضايا صناعة النفط والغاز.
- خلق آلية تسهم في ربط خطط البحوث والتطوير باحتياجات قطاعات الاقتصاد المختلفة، وبما يعزز من العلاقة بين وحدات البحث والتطوير، ومؤسسات الدولة المختلفة.

المراجع والهوامش

١ـ صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٢م أبوظبي، سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ٧٢.

2 -E.mansfiled. Basic Research and Productivity Incerase in Manufacturing American Economic Review, Vol, (60), December 1980.

٣ـ نوزاد عبدالرحمن الهيتي، الثورة العلمية والتكنولوجية ومستقبل الاقتصاد العربي، مطابع اديتار، كالياري، إيطاليا، ٢٠٠٠م، ص ٨٤.

4- Undp. Human Development Report, 2001.

٥ـ نوزاد عبدالرحمن الهيتي، التنمية التكنولوجية في دول مجلس التعاون الخليجي، مجلة المال والصناعة، العدد (٢٠)، الكويت، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

6- Unesco, Statistical Year Book, Parse, 2001.

7- Escaw. development of Science & Technology Indicators, 1998.

٨ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إستراتيجية تطوير العلوم والتقانة في الوطن العربي، دراسة مقدمة إلى ندوة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في العالم العربي، الشارقة، ٢٠٠٢م.

٩ـ صندوق النقد العربي، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٢م، مصدر سابق.

١٠ـ انطوان زحلان، العولمة والتطور التقني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.

١١ـ حسن الشريف، حال العلم والتقانة، المؤتمر القومي العربي التاسع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٦٩.

١٢ـ انطوان زحلان، العرب وتحديات العلم والتقانة ـ تقدم من دون تغيير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٥.

13- United States Patent & Trade Mrak Office. Web Site: www.uspto.gov

١٤ـ محمد بن علي بن المسلم، البحث العلمي في خدمة التنمية الصناعية الخليجية. مجلة التعاون الصناعي، العدد، (٨٩)، يوليو ٢٠٠٢م.

١٥ـ الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي، النشرة الاقتصادية، العدد ١٨، ٢٠٠٢م.

www.ahlaltareekh.com



الدرامـا: تحـديد المفـهـوم ومراحل التطور

يوسف طالبي
مكناس - المغرب

إن "الدراما" كلمة يونانية تعني الحركة. وإذا كان الرقص هو وسيلة التعبير الدرامي في فن الإنسان البدائي، انسجامًا مع إيقاع الوجود المنتظم بشكل بديع، وتداخل خلاب، فإن نضجه دفعه إلى تطوير وسائل تعبيره، إذ أصبحت تتمظهر في الحركة.

وتبعًا لقانون التطور ظهر «الكاهن» في حياة الإنسان لتلقينه مبادئ الشعائر والصلاة عن طريق الرقص، فكانت هذه المرحلة بداية جنينية لبذور الدراما، حيث اتسعت دائرتها ليدخل الموت في التعبير الدرامي للإنسان البدائي، إذ بزغ الصراع بين الحياة والموت، والخير والشر، وامتدت رقعة هذا التعبير لتشمل الحديث عن الآلهة وأنصاف الآلهة، وبهذا الانتقال خطت الدراما خطوة واسعة إلى الأمام بدخول الأسطورة مجال التعبير الدرامي.

وبالتدرج من التقليد إلى الفعل، فالصراع في الحكاية، ثم الحوار والبطل، يكتمل المعنى الحقيقي للدراما. وبهذا التحقق تطورت، ووصلت إلى صورتها المتكاملة، إذ يعدّ كتاب أرسطو «فن الشعر» بمنزلة قانون الدراما، ينبغي مراجعته على مر العصور.

خلط وتشويش

إلا أن كلمة دراما تثير اليوم الكثير من الخلط والتشويش، فقد ألصقت بها عدة معان مختلفة، إذ باتت توضع في مقابل: تراجيديا، مأساة ... وفي اعتقادنا أن

www.ahlaltareekh.com



أول خطوة إجرائية في حقل البحث العلمي تقتضي تحديد الجهاز المفاهيمي المعتمد في البحث تجنبًا لكل خلط أو تشويش يحمل نتائج عكسية لدى المتلقي.

ومن ثم فقد عملنا على عرض مجموعة من الآراء المتجاذبة والمتنافرة في محاولة جادة لمقاربة هذا المفهوم. والواقع أن كلمة دراما تستعمل بصيغة الصفة للتعبير عن الفن الدرامي بجميع أنماطه، مثل: المسرح، والدراما الإذاعية، والدراما التلفازية .

إذن انطلاقًا من التعريف المشهور الذي قدّمه أرسطو للمأساة، والذي قال فيه: إنها «محاكاة فعل نبيل تام، لها طول معلوم، بلغة مزودة بألوان من التزيين تختلف وفقًا لاختلاف الأجزاء، وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون، لا بواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف، فتؤدي إلى التطهير من الانفعالات»(١)، يتبيّن أن جوهر الدراما هو الفعل والحركة، وليس الحكي أو السرد، مع تأكيد أن «أرسطو يدرس المأساة ضمن دائرة الدراما، ويدرس الدراما ضمن دائرة الأدب ويدرس الأدب ضمن دائرة الفن الكبرى، ولقد برهن الزمن على صواب نظرة

www.ahlaltareekh.com



الحركة أساس المعنى اليوناني للدراما

أرسطو إلى الفن على اعتباره نشاطًا متجانسًا رغم تعدد أشكاله حسب تعدد وسائطه التي يعتمدها»(٢). فالدراما جنس «يجمع خصائص باقي الأجناس، إضافة إلى مميزاته الخاصة به، فهي تجمع بين الخصائص الملحمية والغنائية والدرامية، وتتمتع باستقلاليتها في نفس الآن. وأعتقد أن «الدراما» تتوافر فعلاً على هذه المرونة»(٣).

ويرى باتريس بافيس Patrice Pavis أن الدراما في أصلها اليوناني تعني الحركة، وتتحول إلى معنى عام، فتعني النوع الأدبي المؤلف من أجل المسرح (٤). وبالرجوع إلى المعجم المسرحي نجد أن أصل كلمة دراما من الفعل اليوناني Dran الذي يعني «فعل». وصفة درامي Dramatique موجودة في اللغة اليونانية، وفي اللاتينية Dramaticus للدلالة على كل ما يحمل الإثارة أو الخطر. وتستخدم كلمة دراما في اللغة العربية بلفظها الأجنبي. وعمومًا تطلق كلمة دراما على كل الأعمال المكتوبة للمسرح مهما كان نوعها، وهذا هو المعنى الإنجليزي للكلمة، إذ تدل كلمة Drama على المسرح نصًا وتاريخًا وجماليات مقابل كلمة Performance التي تعني العرض والأداء. كذلك تطلق تسمية دراما على كل عمل تمثيلي من ابتكار الخيال، حتى ولو لم يقدم على خشبة المسرح، ومن هنا جاءت تسمية الفنون الدرامية، وهي المسرح والتمثيليات الإذاعية والتلفازية (٥).

وبهذا الصدد، يرى أحمد بلخيري أن الفن الدرامي Art dramatique يستعمل غالبًا بالمعنى العام لكلمة «مسرح»؛ من

إن النص الدرامي مفهوم مرن ومطواع. ولا يمكن بأي حال حصره في تعريف جامد ونهائي، يمكن من خلاله الانطلاق في بحث يستند إلى أرضية صلبة لا تميد. فقد بات مفهوم النص الدرامي واسعًا وقابلاً لاستعمالات متعددة، ما دامت كل النصوص يمكن مسرحتها وعرضها

www.ahlaltareekh.com

أجل تحديد التطبيق الفني، وكذلك مجموعة النصوص الأدبية الدرامية، التي تكون غاية قاعدتها الكتابية العرض أو الإخـــراج المســـرحي. الفن الدرامي إذن هو جنس أدبي، وتطبيق مرتبط بلعب الممثل الذي يظهر شخصيته لجمهور أو يجســـدها. .... إن الفن الدرامي ارتكز في الأصل (في جمهورية أفلاطون، أو في شعرية أرسطو) على التمييز بين العرض عن طريق التقليد المباشر للفعل (La Mimesis)، والسرد عن طريق سارد تلك الأفعال نفسها La Diegesis (٦).

الدراما والفعل

ويوضح إبراهيم حمادة أن كلمة «دراما» الشائعة في لغة المهتمين بالمسرح في الوطن العربي، وفي لغات معظم الأقطار الأوربية الحديثة مشتقة من كلمة يونانية قديمة تعني «يفعل»، أو «عملاً يؤدَّى»، وبهذا المعنى تكون «الدراما» مرتبطة بالفعل، وليس بالكلمة (٧). في حين يرى إبراهيم سكر أن كلمة دراما مشتقة من الفعل اليوناني «دراؤ» بمعنى «اعمل» فهي تعني إذن أي عمل أو حدث سواء في الحياة أو على خشبة المسرح (٨)، بمعنى أنها «الفعل» أو التصرف أو السلوك الإنساني بوجه خاص، أو بتعبير آخر هي التعبير المسرحي للسلوك البشري؛ لأنه لا يمكن أن تكون هناك دراما فقط للقراءة دون تمثيل؛ فالدراما دائمًا

أطلقت كلمة "دراما" على كل الأعمال المكتوبة للمسرح.وهو المعنى العام الذي يستعمل لكلمة مسرح. كما أطلقت على الصراع. وعلى مواقف استدرار العواطف وعلى كل ما يحمل الإثارة أو الخطر. وهذا ما أفضى إلى تقديم معان متعددة ومتباعدة. أحيانًا للمفهوم نفسه

هي التمثيل، وينبغي أن يكون هذا الشرط موجودًا باستمرار في ذهن مؤلفها، فهي تعبير واقعي، يحاكي بالأسلوب نفسه الذي تم به الفعل الأصلي (٩)، وهو ما يفيد أن المعنى اللغوى، الذي يتحدد في «الفعل» عمومًا في كل مناحي الحياة ومجالاتها متطابق مع المعنى الاصطلاحي، الذي يشير إلى الفعل على خشبة المسرح تحديدًا؛ أي: التشخيص الذي يقوم به الممثلون اعتمادًا على نص درامي.

أما في العصر الحديث فيستعمل مصطلح «دراما» «للدلالة على مسرحيات ذات طابع جدي؛ أي: التي لا تعتمد على الضحك، وهذا المفهوم يختلف بطبيعة الحال عن المعنى الاصطلاحي للفظة في الأدب اليوناني القديم، إذ كانت الكلمة تطلق على الأعمال المسرحية بعامة» (١٠).

على أن إبراهيم حمادة يدقق الأمر أكثر بإبرازه أن «لفظ دراما يعني مدلولين: الأول: النص المستهدف تمثيله فوق المسرح، أيًا كان جنسه أو مدرسته أو نوعيته أو لغته، والثاني: المسرحية الجادة ذات النهاية السعيدة أو الأسيفة، التي تعالج مشكلة مهمة علاجًا مفعمًا بالعواطف على ألاّ يؤدي إلى خلق إحساس فجيعي مأساوي. على أي حال الكلمة في أساسها من الفعل اليوناني Dran، وتعني يفعل. إذن الدراما ليست تصويريًا للفعل فحسب، وإنما الفعل نفسه، وأن أصلها يكمن في الأداء»(١١).

وهذا التنوع في تناول موضوع الدراما ومحاولة تحديد مفهوم لها هو ما دفع مارتن إسلن إلى القول: «لقد ألفت آلاف المجلدات عن الدراما، ومع ذلك لايبدو أنه استقر الأمر على تعريف مقبول عمومًا للمصطلح» (١٢).

ومهما يكن، فإن «كل المؤلفات الدرامية التي ظهرت في تاريخ الدراما منذ أقدم العصور حتى الآن تنبض برؤية الإنسان، وهو يتحرك، ولكن اللغة الجارية اليوم قد أعطت لهذه الكلمة عدة معان، تتفاوت قربًا وبعدًا، كما تستبدل أحيانًا بكلمة مسرحية» (١٣). ويضيف داوسن Dawson أن

www.ahlaltareekh.com



بقايا المسرح الروماني في الإسكندرية

«كلمة (الدراما) كانت تطلق على كل ما يكتب للمسرح (١٤)، أو على مجموعة من المسرحيات تتشابه في الأسلوب أو في المضمون، ودلت أيضًا في نص آخر على أي موقف ينطوي على صراع، ويتضمن تحليلاً لهذا الصراع - للأغراض المسرحية - عن طريق افتراض وجود شخصيات» (١٥).

في حين يرى شكري عبدالوهاب أن «من التعبيرات الشائعة على لسان العامة والمثقفين كلمة دراما ودرامي (١٦) وهي تعني لدى هؤلاء مسرحية أو مسرحيّ» (١٧).

لا قاعدة

تبقى الإشارة إلى أن مفهوم النص الدرامي Le Texte Dramatique من الصعب اقتراح قاعدة له لأن «الاتجاه الحالي في الكتابة الدرامية يضع في الحسبان اعتبار كل نص يحتمل الإخراج المسرحي بما في ذلك دليل الهاتف، وعليه فإن كل نص قابل للمسرحة. وفي الماضي، وإلى القرن العشرين، كانت مواصفات الدرامية تتلخص في: الحوارات، والصراع، والوضعية الدرامية، والشخصية. وهذه كلها لم تعد شروطًا يجب توافرها في النص المراد مسرحته» (١٨).

لقد استعملت الدراما كنوع في المسرح اليوناني «الدراما الساتيرية» Drame Satyrique (١٩) ثم اختفت من مفردات المسرح تدريجيًا زمن الرومان، وصارت كلمة Fabu-la تستعمل للدلالة على المسرحية، بغض النظر عن نوعها، وفي القرون الوسطى التي لم يعرف فيها التمييز بين

www.ahlaltareekh.com

الأنواع المسرحية، شاعت كلمة Jeu للدلالة على المسرحية بشكل عام. ولم تطلق تسمية دراما إلا على دراما القداس Drame Liturgique، والدراما التوراتية Drame Biblique اللتين تقومان على تمثيل مقاطع من الكتاب المقدس، كما هي، ويعدّ الأب دوبنياك D' Aubignac أول من استعمل صفة درامي لوصف ما هو مسرحي، حين تحدث عن الحدث الدرامي، مأساويًا كان أم مضحكًا (٢٠).

وفي القرن الثامن عشر أصبحت عبارة «دراما» بالمعنى الفرنسي Le Drame تدل على نوع خاص من الكتابة المسرحية (المسرحيات التي تعالج مشكلة من مشكلات الحياة الواقعية فيها خلط بين طابع الجد والهزل) (٢١). أما اليوم فتطلق على النوع المسرحي الذي يمزج بين الأنواع وفروعها، وهناك من يستعمل الدراما للدلالة على المسرحية التي لا تنتمي إلى أي نوع مسرحي فرعي (٢٢). وفي القرن العشرين لم تعد كلمة دراما تطلق على نوع مسرحي محدد، وإنما صارت تغطي أشكالا متنوعة جدًا من الكتابة المسرحية، يربط بينها وجود الفعل الدرامي، والأزمة والصراع بين الإنسان وقوى متنوعة ومختلفة، منها ما هو اجتماعي (مسرحيات برتولت بريشت B. Brecht، وهريك إبسن H. Ibsen)، ومنها ما هو قوى غيبية مجردة وقاهرة (الموت، الزمن ... مثل: مسرحيات انطوان تشيخوف A. Tchekhov وصمويل بيكيت S. Beckett) ومنها ما هو صراع مع الذات (مسرحيات أوغست سترندبرغ A. Strindberg) كذلك لم يعد تصنيف الدراما في النقد الحديث يتم من خلال ربطها بنوع محدد، وإنما بدراماتورجية معينة، أو بنوع المضمون؛ انطلاقًا من علاقة المسرحية بالمرجع الذي تصفه، أو بالبنية الدرامية، ونوع الخطاب المسرحي المستخدم فيها، هذا الشكل الجديد من التصنيف سمح بإيجاد خط متصل بين أشكال مسرحية متباعدة زمانيًا ومكانيًا (٢٣).

أما إذا انتقلنا إلى العالم العربي، فسنجد أن كلمة دراما قد انتقلت إلى اللغة العربية لفظًا، لا معنى - كما ترى ذلك مصادر دراستها (٢٤). «ومع أن معناها اليوناني هو (الفعل)، إلاّ أن استعمالها كعنوان لنوع معين من الفن جعلها إحدى تلك الكلمات التي يصعب تفسيرها أو شرحها في بعض كلمات أو جمل» (٢٥).

سؤال مفتوح

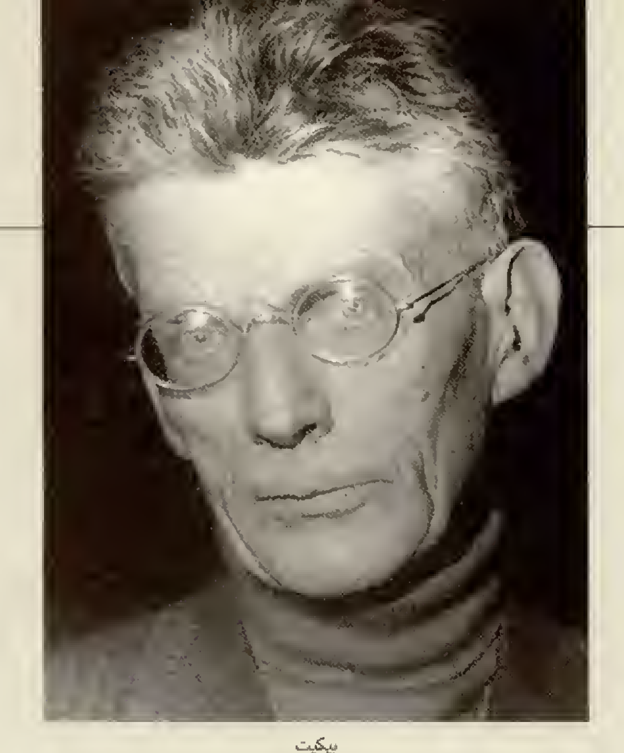
نخلص بعد كل هذا إلى أنه قد «كتب الكثير عن المسرح والدراما: معظمه غني بالنظرات النفاذة المرهفة، والنظريات الرائعة، والاكتشافات المنيرة حول بنية المسرحيات ومعناها، ومع ذلك يظل هناك عادة سؤال مفتوح: لماذا يلجأ المهتمون بالفن إلى الدراما دون غيرها من أشكال الاتصال؟ وما الطبيعة الخفية الأساسية للشكل الدرامي؟ وما الذي تستطيع الدراما أن تعبر عنه أفضل من أي وسيلة أخرى للاتصال الإنساني؟» (٢٦). هذه الأسئلة وغيرها، هي ما ستحاول الصفحات المقبلة البحث عن أجوبة ممكنة لها.

من خلال تتبع هذه المقاربات التي عملت على محاولة تحديد مفهوم «الدراما»، وخلق تمييزات منهجية مع الدرامية والنص الدرامي، في تداخلها بالمسرح والمسرحية والنص والمسرحي، خرجنا بالملاحظات الآتية:

- إن الدراما منذ العهد الإغريقي تعني الحركة والفعل، وهذا ما أكده أرسطو في كتابه «فن الشعر»، الذي تحدث فيه عن المحاكاة عن طريق الفعل، وهو ما يعدّ الردّ البليغ على كل الطروحات التي تزعم، من خلال تمييزات «معطوبة»، أن هناك مسرحًا للقراءة، ومسرحًا للعرض، والحال أن هناك مسرحًا للعرض فقط.

- أطلقت كلمة «دراما» على كل الأعمال المكتوبة للمسرح، (بكل جوانبه النصية والتاريخية والجمالية) تأليفًا وإخراجًا وعرضًا وتمثيلاً، وهو المعنى العام الذي يستعمل

www.ahlaltareekh.com


بيكيت

لكلمة مسرح، كما أطلقت على الصراع، وعلى مواقف استدرار العواطف (المفجعة الأليمة، والكارثية الحزينة)، وعلى كل ما يحمل الإثارة أو الخطر. وهذا ما أفضى إلى تقديم معان متعددة ومتباعدة، أحياناً للمفهوم نفسه.

. إن جل التعريفات التي اطّلعنا عليها، والتي حاولت تقديم تعريف «للدراما»، انطلقت من كتاب «فن الشعر» لأرسطو، وارتدّت إليه (من غير توسع يرفع كل لبس أو غموض أو خلط، ومن دون استثمار منتج للموضوع، يؤسس للمفهوم، ويحميه من كل التعاريف (المغرضة) التي تشط به بعيداً في سطحية فجة). وإذا كان هذا المسعى له ما يسوّغه، ويجد مشروعيته في أهمية الكتاب المرجعي/الأصل، وفي قيمته التاريخية والتوثيقية والمعرفية والفنية التي لا تنكر، مع ذلك فقد سقط أصحاب تلك التعريفات في الاجترار والإطناب، والاستطراد غير المجدي.

. إن النص الدرامي مفهوم مرن ومطواع، ولا يمكن بأي حال حصره في تعريف جامد ونهائي، يمكن من خلاله الانطلاق في بحث يستند إلى أرضية صلبة لا تميد، فقد بات مفهوم النص الدرامي واسعاً وقابلاً لاستعمالات متعددة، ما دامت كل النصوص يمكن مسرحتها «تداخل الأجناس» وعرضها، بما في ذلك الكتابات البعيدة جداً عن المسرح، «دليل الهاتف مثلاً».

- مع أن الترجمة العربية لأعمال الإغريق العظيمة حملت كلمة «دراما» (خاصة في أثناء الترجمات المتعددة والمختلفة لكتاب «فن الشعر» لأرسطو)، فإنها ظلت مع ذلك كلمة منقولة لفظاً جامداً لا معنى له، بل كلمة مفرغة من مفهومها الحقيقي، فبالأحرى انتقالها إلى حيز الفعل، ما دام العرب لم يعرفوا المسرح على امتداد تاريخهم العريق، خاصة إذا علمنا أن «الناس أعداء ما جهلوا» لهذا ظل مفهوم «الدراما» من دون أثر فعلي في الثقافة العربية الإسلامية، حتى حدود منتصف القرن التاسع عشر، إبان الاحتكاك بالغرب (أوربا تحديداً).

وعلى الرغم من تعدد الآراء، وتباين وجهات النظر، من أجل تقديم تعريف مقبول لمفهوم الدراما، تجد هذه المساعي نفسها في النهاية تصب جميعاً في هذا المفهوم الواسع وغير المحدد، الذي يعني الدراما، وهو ما يعدّ، في تقديرنا، تعريفاً صريحاً يستوعب مختلف الطروحات؛ مما يجعلنا في حلّ من كلّ تحديد لا يعمل إلاّ على معاودة الصيغ المطروحة نفسها.

بريشت



www.ahlaltareekh.com

ومع ذلك فإننا نقترح تعريفًا شاملاً تبين لدينا؛ انطلاقًا من هذه القناعة، وتبنيناه، وسنشتغل انطلاقًا منه؛ ذلك أن الدراما هي الفعل والحركة، وتوسلاً بالخيال، وبعض الخلفيات الفكرية تبدع النصوص الدرامية، التي تجد تحققها الفعلي في العرض؛ أي: في التمثيل، وهو شرط وجودها. وتستعمل في الغالب الأعم بصيغة الصفة؛ للتعبير عن الفن الدرامي بجميع أنماطه، مثل: المسرح، والدراما الإذاعية، والدراما التلفازية ...، وللموضوع صلة.

الهوامش

١. أرسطو/ فن الشعر، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م، ص ١٨.
٢. جميل نصيف التكريتي/ قراءة وتأملات في المسرح الإغريقي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات (٣٨٥) بغداد، ١٩٨٥م، ص٩٩.
٣. محمد الكغاط/ المسرح وفضاءاته، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ٢٨.

4- Patrice Pavis- Dictionnaire Du Théatre- Editions Sociales Paris-1980 - P.140.

٥. ماري إلياس، حنان قصاب حسن/ المعجم المسرحي (مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٩٤.
٦. أحمد بلخيري/ معجم المصطلحات المسرحية، مطبعة سندي، مكناس، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ٧٨ ـ ٧٩.
٧. إبراهيم حمادة/ طبيعة الدراما، دار المعارف، سلسلة كتابات، مصر، العدد: ٢٦، ١٩٧٧م، ٦.
٨. إبراهيم سكر/ الدراما الإفريقية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٣.
٩. محمد حمدي/ نظرية الدراما الإغريقية، الشركة العامة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٩ ـ ١٠.
١٠. أحمد بلخير/ المصطلح المسرحي عند العرب، منشورات البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، القنيطرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ١٢١.
١١. إبراهيم حمادة/ معجم المصطلحات الدراسية والمسرحية، دار الشعب القاهرة، (د. ط)، (د ـ ت)، ص ١٩١.
١٢. مارتن اسلن/ تشريح الدراما، ترجمة: أسامة منزلجي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص ٩.
١٣. عادل النادي/ مدخل إلى فن كتابة الدراما، مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله تونس، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ١٧.
١٤. «إن الإغريق ـ على سبيل المثال ـ يعرفون المسرح بكونه ليس لعب الممثل، وليس النص المسرحي، ولا الرسم المشهدي ولا الرقص .. إنه مجموعة العناصر التي تتكون منها هاته المجالات المختلفة، إنه مكون من الحركة التي هي أساس فن الممثل، وفن الأقوال، التي تشكل جسد النص المسرحي، وفن الخط واللون اللذين يعدّان روح الديكور المشهدي، وفن الايقاع الذي يعدّ جوهر الرقص.» أحمد بلخيري/ معجم المصطلحات المسرحية، (م. س)، ص ٨٠.
١٥. س. و. داوسن Dawson/ الدراما والدرامية، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، سلسلة «زدني علمًا»، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص ٧.
١٦. «يختلف الدرامي عن المأساوي في كون الدرامي يحمل الطابع نفسه المثير للخوف والشفقة، لكن نهاية الصراع فيه لا تأخذ طابع الحتمية المأساوية. كارثة أو موت، وإنما تظل مفتوحة على إمكانيات الخلاص. كذلك يختلف الدرامي عن المؤثر Pathétique في كون الدرامي يفترض وجود الفعل. في حين أن المؤثر يظل في نطاق الشعور والإحساس» ماري إلياس، حنان قصاب حسن/ المعجم المسرحي، (م.س)، ص١٩٥.
١٧. شكري عبدالوهاب/ النص المسرحي، دراسة تحليلية تاريخية لفن الكتابة المسرحية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٧-٨.
١٨. أحمد بلخيري / معجم المصطلحات المسرحية، (م.س)، ص ١٢٦.
١٩. من الساتير Satyres وهم رفاق ديونيزوس.
٢٠. ماري إلياس، حنان قصاب حسن/ المعجم المسرحي، (م.س)، ص ١٩٥.
٢١. مع أن هذا النوع لم يعمر طويلاً، فإن التسمية ظلت مستعملة للدلالة على كل مسرحية لا يمكن تصنيفها بشكل واضح ضمن الأنواع المسرحية، وعلى أي عمل فيه صراع، وله طابع درامي.

22- Patrice Pavis- Dictionnaire du Théatre- P.140.

في القرن الثامن عشر، ظهرت كلمة دراما في كتابات دونيز ديدرو D. Diderot، وبيير بومارشيه P. Beaumarchais، بعد ذلك صارت التسمية تطلق على نوع مسرحي محدد هو الدراما البورجوازية Drame Bourgeois في فرنسا، والدراما الرومانسية في ألمانيا.

٢٣. ماري إلياس، حنان قصاب/ المعجم المسرحي ... (م.س)، ص ١٩٥، ١٩٦ـ ١٩٨.
٢٤. يمكن الرجوع إلى الترجمة التي قام بها العرب لكتاب «فن الشعر» لأرسطو، من مثل: «رسالة في قوانين صناعة الشعراء» للفارابي، وفن الشعر من كتاب «الشفاء» لابن سينا، وتلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر لابن رشد، وأيضًا إنتاجات المشروع الطموح الذي أطلق عليه اسم «بيت الحكمة» في العصر العباسي، وربما كان ذلك من بين الأسباب التي جعلت العرب لا يعرفون هذا الفن بشكله الغربي، حتى حدود منتصف القرن التاسع عشر.
٢٥. داوسن Dawson/ الدراما والدرامية، (م.س)، ص ٧.
٢٦. مارتن اسلن/ تشريح الدراما، (م.س)، ص٥.

www.ahlaltareekh.com



ماذا ستمنحك القصيدة؟!

عاطف محمد عبدالمجيد

أسيوط ـ مصر

ماذا
سَتمْنَحُكَ القصيدةُ
غيرَ هذا الحُزْنِ
والألمِ المُعَبَّأ بالمسَاءاتِ
الكَئيبَة؟!!
أيُّها المفْتُونُ
بالوَهَجِ الخُرافيِّ اتَّئِدْ
ما عادَت
الأحلامُ تُشْبهُ ما تَرَسَّبَ
في دَواخِلنا
وما باتَ
الغِناءُ تَميمَتي الكُبْرَى
فلا تُطْلِقْ
جُنونَكَ في العَراءِ
ولا تُضعْ
هذي الخَيالاتِ العَقِيمَةَ
في المَدَى
أهو
اعترافُكَ بالخَطِيئةِ
غَلْطةٌ؟!
أبدًا



www.ahlaltareekh.com

كذا
صَارَ انحناؤُكَ للهَوَى
أُكْذوبةً أُخْرى
فقُدْنِي
صَوْبَ زاويَةٍ
تُيَسِّرُ فَضَّ شَرْنَقتي
تَرُصُّ كواكبي صَفًا
هُنالِكَ
يا (هوَ)
الآنَ اتَّخَذْتَ سياستي
جِسْرًا
لِتَعْبُرَ داخِلي
فاجْمَعْ إذًا
ما قد تَناثَرَ مِنكَ في رِئَتِي
وذَرْنِي
بَعْدَها
هيِّئْكَ للسّفرِ المُفَاجِئِ
وابْتَعِدْ
لا تَنْتَظِرْنِي
عندَ شاطِئِكَ الذي
أَبْدِي لُهاثِي
وارْتَضِ قَلَقًا لَدَيَّ
فَعَلَّنِي
أَنْسَى فَضَاءَكَ
أَرْتَمِي
في حِضْنِ ذاكِرَةٍ
تُغَيِّبُ ما سَيُوجِعُنِي

وثَمَةَ
أَنْتَشِي مِقَةً
كمَا...
لكنني
قدّامَ بَعْثِكَ أَبْتَغِي
أَلاّ أكُونَ
لذا أَرُوحُ فأَمْتَطِي
خَجَلي
وتَنْزِفُ جُعْبَتِي
هَرَبًا
فمَنْ ذا سَوْفَ يُرْجِعُنِي
ويُشْعِلُ رَغْبَتِي
في البَدْءِ؟
لا أنتَ اسْتَطَعْتَ غَوايَتِي
ولا
أَضْحَتْ بِدايَةُ مُنْتَهاكَ
تَهُمُّنِي
إني
سأَخْرُجُ عن مدَارِكَ
دُوَنما
أَسَفٍ يُرَى
كيْما أَحُطَّ بِمُفْرَدِي
حَجَرَ البِدَايةِ
إنّني
آمَنْتُ تَوًا
بالذي يُدْعَى
أنا

www.ahlaltareekh.com

وردة من هناك

ألما عصام محمود

حلب ـ سورية

ما تبقّى من الزّهرِ
بعد الجراح..
شفيفًا.. كروحي أراهُ
وَحُرّاً كنَبْضي
فهل يا..
طريدَ الحواسِ
خُطاكَ تدقّ
على باب أرضي؟
أنا..
في مدى الحزنِ،



وكنّا.. على ضفتينِ لنهر المساءْ
وحين التفتَ،
بِوَمْضِكَ نحوي
تبرعَمَ شَدْوي..
ولاحتْ..
على بُعدِ ظِلٍّ
مرايا اللقاءْ..

❖❖❖

إليَّ، إليَّ كعطر الصباحِ
شرودُكَ يأتي
فأعلو إليهِ..
أُداعبُ هذا الرفيف الجميلَ،
وأصوات سحر البهاء
أُطلُّ على،

www.ahlaltareekh.com

مساء الصهيل

محمد صالح الجرادي

صنعاء ـــ اليمن



أشتاقُ أن أُمسكَ الحلمَ،

أشتاقُ،

أن يعتريني مَداكَ

فيا .. حاضرًا

في الغياب،

متى أختفي فيكَ؟

حتى إذا بيننا

جُنَّ ما في الشَّذا

أطفأتْ نارَها

وردةٌ تستفزُّ دمي

وردةٌ من هَلاكْ...

أَدِرْ قُبْلَةً..

قُبْلَتَيْنِ..

ثلاثًا..

وألفًا.

أَدِرْ بَعْضَ ما في الأَصَابعِ من شَجَنٍ

بَعْضَ ما في الصَهيل..

أدِرْ حُلُمًا أَزغَبًا يتلألأُ في الْوَجنَتَيْنِ

يا مَسَاء الصَهيلْ..

«إلى أينَ يحدُو الصَهيل؟!»

وَبيَ قَلَقُ البَحْرُ

بي ظَمَأٌ دَافِقٌ..

غَيَّبَتْني كُؤوسي..

أَدِرْ كأسَهَا في فَمي

كَأْسُهَا في فمي ظَامِئٌ

والمَدَى في دَمِي مُطفَأٌ..

وأنا أَحْ تَ رِقْ

كَأْسُهَا في فَمي ظَامِئٌ

يا مَسَاءَ الكُؤوسْ..

أَدِرْ وَطَنًا عَسَلِيَّ المَوَاقِيتِ

في الْشَفَتَيْنِ.

www.ahlaltareekh.com





زمن الطاووس

مينا عبدالله وراي ماثيو (*)

ترجمة: رقية كنعان

عمان - الأردن

عندما كنت صغيرة، كان كل شيء رائعًا، العالم مزرعتنا وكلنا محبوبون، رشيدة ولال وأنا وأبي وأمنا آما: لقد أحب بعضنا بعضًا، وكل شيء كان على ما يرام.

أذكر في فصل الخريف كيف أحرقنا السلال الكبيرة من الأوراق بجانب نهر الجويدر، وكيف راقبنا النيران تشتعل بينما آما تخبرنا قصصًا عن كريشنا عازف الفلوت وجباله المتحركة. كانت النيران تخمد والقصص لا تزال حية في رؤوسنا، ونرمي أكواز الذرة في النيران ونطبخها، واحد لكل منا - رشيدة ولال وأنا، وأبي وأمي.

شتاء أتذكر، عندما كان الصقيع ضئيلا أو لاسعًا والريح سحبت شعرنا. في الليل بقرب النار، في دفء المنزل، كان بإمكاننا أن نسمع رياح الدينجو تعوي. ثم كان الربيع والسنة الجميلة ولدت ثانية، أعواد شجيرات الياسمين المتسلقة غطت نفسها بالأزهار.

في أحد فصول الربيع أتذكر أنه كان وقت الطاووس عندما تعلمت الكلمة «سر» وبدأت بالنضج. بعد ذلك والربيع كل شيء بدأ مختلفًا وأكبر عمرًا. لم أعد صغيرة والطفلة ولدت.

تعلمت للتو أن أعد، اعتقدت أنه بإمكاني أن أعد أي شيء. عددت أصابع اليدين وأصابع القدمين والدرجات والنوافذ، حتى التلال، ولكن في هذا اليوم من الربيع كان عدّ التلال خطأ.

كان يجب أن يكون هناك خمسة تلال، كنت أعرف أنه كان يجب أن يكون هناك خمسة، عددتها مرة بعد أخرى: «واحد اثنان ثلاثة خمسة» ولكن ذلك لم يجد، كان هناك واحد متكرر، تل غريب أو بقايا بدت مألوفة وأنا عرفتها ولكنها زادت على خمسة وأقلقتني. فكرت في كريشنا والجبال التي تحركت لتحمي رعاة البقر، المسافرون تاهوا بسببهم، وكنت قلقة لأنه بدا لي أن تلالنا تحركت هي الأخرى.

ركضت خلال المنزل وخارجًا إلى الحديقة لأخبر آما بالشيء الذي فعله كريشنا، ولأسأل كيف يمكن أن نرضيه، ولكن عندما رأيتها نسيت كل شيء عن ذلك، توقفت وقفزت إلى الأعلى والأسفل بمرح.

كانت تقف هناك في حديقتها، تلك المحتوية على أزهار هندية، بلدها المسور الصغير. يداها كانتا مضمومتين إحداهما إلى الأخرى أمام وجهها وشفتاها كانتا تتحركان.

على الأرض، أمام شجيرة الورد الكشميري، أمام ورد مسك الروم، أمام شجرة الرمان، وضعت أوعية صغيرة من الحليب اللامع. قفزت لرؤيتهم، الآن أعرف لم كنت أركض طوال الوقت وأثب، لم أردت أن اغني وأن أعد كل شيء في العالم.

- «إنه الربيع» صرخت لآما، «ليس ربيعًا نوعًا ما أو

www.ahlaltareekh.com

ربيعًا تقريبًا! ولكن ربيع حقيقي!» «هل سيأتي المولود قريبًا ؟»، سألتها، «حالاً ؟»

ـ «حالاً نفد الصبر، حالاً».

ضحكت وصفقت بيدي فوق رأسي. «أنا كبيرة بما يكفي لا أستطيع القيام بأي شيء» وحجلت على ساق واحدة حتى آخر الحديقة حيث يعيش الطاووس.

ـ «شاه ـ جيهان!»، هذا كان اسمه، «إنه الربيع والطفل قادم يا شاه جيهان الجميل»، ولكن لم يبد عليه أي اهتمام، فقلت: «شاه جيهان السخيف العجوز، ألا تعرف شيئًا؟ إني أستطيع العدّ حتى العشرة»، واصل التحديق بعينه الذهبية تجاهي. كان طيرًا سخيفًا، لماذا؟ لأنه يظل في الحديقة طوال اليوم، بعيدًا عن الديك. لم يكن باستطاعته الركض إلى أي مكان كما أفعل أنا، إنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء.

أمرته: «افرد ذيلك، هيا، افرد ذيلك !»، واستمررنا بالتحديق واحدنا إلى الآخر إلى أن شعرت بالحزن. رشيدة على حق، قلت له، «إنك لن تفرد ذيلك أبدًا مثل الطائر الذي على المروحة اليدوية، ولكن لم لا تجرب؟ أرجوك، يا شاه جيهان الجميل».

ولكنه استمر بالتحديق، كما لو أنه لن ينشر ذيله أبدًا، وبينما كنت أنظر إليه بحزن تذكرت كيف أتى إلينا.

يستطيع أن يستبد الآن ويختال في أمان الحديقة، ولكن أستطيع أن أتذكر كيف أحضره البحار إلى المزرعة في حقيبة، كرأس ملفوف، ريشه متدل وذيله الأبيض قذر. جاء البحار إلى المزرعة، بحار على الأرض، وجه غامق في بلد أبيض. كيف ابتسم عندما رآنا ـ رشيدة وأنا نتأرجح على البوابة. كيف تحادث مع آما وجعلها تضحك وتبكي. كيف ابتهج لأجل الكاري الذي أعطته إياه.

وعندما كان وقت ذهابه، مع وعاءين من الكاري



مربوطين بالقماش ومحزومين في حقيبته، أعطى الطير لآما، أعطاه إياها بينما لم تقل هي شيئًا ولا حتى كلمة شكرًا. فقط نظرت إليه.

ـ «ما هذا؟»، قلنا بمجرد أن أصبح بعيدًا بما يكفي، «أي صنف الطيور؟».

ـ «إنه طاووس»، قالت آما برقة، «لقد جاءنا من الهند».

ـ «إنه ليس مثل الطاووس الذي على مهفتك الكشميرية»، وأضفت، «إنه فقط شيء من البياض».

ـ «الطاووس على المهفة كان أخضر وأزرق وذهبيًا

www.ahlaltareekh.com



ولديه ذيل مثل مهفة»، قالت رشيدة، «هذا ليس طاووسًا على الإطلاق، أي شخص يمكنه رؤية ذلك».

ـ «رشيدة»، قالت آما، «رشيدة، الأكبر لا يجب أن يكون ذكيًا جدًا، إنه طاووس أبيض وصغير جدًا على فتح ذيله، إنه طاووس من الهند».

ناديت آما: «دعية يفتح ذيله».

ـ «لا أعتقد»، قالت، «لا أظن أنه سيفرد ذيله مطلقًا في هذه البلاد».

ـ «لا»، قال أبي تلك الليلة، «لن يفرد ذيله أبدًا في أستراليا».

ـ «لا»، قال عمي سيد، «لن يفتح ذيله أبدًا بدون أنثى بالجوار».

ولكن راقبناه، رشيدة ولال وأنا، راقبناه لأيام إلى أن كبرنا وتعبنا من المراقبة وكبر هو أملس مشرقًا ووجد مكانه في الحديقة.

ـ «ألن تفتح ذيلك أبدًا؟» سألته مرة أخرى، «أليس الآن وهو الربيع؟»

ولكنه لم يحاول قط، ولا حتى ظهر عليه الاهتمام، ولذا تركته وبحثت عن شخص أكلمه.

الممرضة التي كانت هنا لتساعد آما والتي كانت وردية كتفاحة ومدورة مثلها تقريبًا، كانت مشغولة في المطبخ.

ـ «الطفل سيولد قريبًا»، أخبرتها، «ذلك أنه الربيع».

ـ «تابعي طريقك»، ضحكت وكررت، «تابعي».

وكذلك فعلت، إلى أن وجدت رشيدة تجلس في عتبة نافذة وأمامها كتاب، كان كتاب الولادة الخاص بالممرضة.

ـ «ماذا تفعلين؟»

أجابت: «أقرأ»، هذا كتاب رعاية الطفل وأنا أقرأ كيف يمكن الاعتناء به.

ـ «أنت لا تستطيعين القراءة»، قلت، «أنت تعرفين أنك لا تعرفين القراءة»

رفضت رشيدة أن ترد. استمرت بالتحديق في الكتاب وهي تقلب الصفحات.

ـ «ولكنك لا تعرفين القراءة!»، صرخت عليها، «لا تستطيعين».

أكملت تمرير عينيها إلى آخر الصفحة.

ـ «أنا لا أقرأ الكلمات ولكن أعرف ماذا يقول الكتاب، إني أقرأ الأشياء»

ـ «ولكنك تعرفين، تعرفين أنك لا تجيدين القراءة».

خبطت الأرض مبتعدة عنها، نزقة كأي شيء، خارج المنزل، بجانب النافذة كانت رشيدة تجلس بذكاء، اتجاه رقعة الخضروات استطعت أن أرى لال. كان يحفر بواسطة آلة الحفر.

ـ «ماذا تفعل؟»، سألت بدون لطف كبير.

ـ «أحفر»، قال، «أصنع حديقة لأخي الوليد».

www.ahlaltareekh.com

- «كيف عرفت؟ كيف عرفتم جميعًا؟ كنت سأخبركم»، كنت تقريبًا أبكي، «على كل، قد لا يكون أخًا».

- «أوه نعم، سيكون»، قال لال، «لدينا بنات»

- «سأحفر أنا الأخرى»، قلت ضاحكة وفجأة سعيدة من جديد، «سأساعدك، وسنجعلها حديقة كبيرة».

- «الحفر عمل الرجل»، وأكمل، «أنا رجل وأنت بنت»

- «أنت طفل، عمرك أربع سنوات فقط»، ورميت بعض القاذورات عليه وتركته.

أبي كان يصنع سلة من العيدان، من شجرة البرقوق. اعتاد أن يضع عودين متقاطعتين على الأرض، يقرفص وسطهما ويجدل العيدان داخلا وخارجًا إلى أن تكبر السلة حوله. كل ما استطعت رؤيته كان كتفيه ومؤخرة عمامته عندما كنت أزحف خلفه لأفاجئه.

ولكنه لم يندهش، «عرفت أنك ستكونين أنت» عبست في وجهه ولكنه ضحك بالطريقة ذاتها التي يضحك بها دائمًا.

«أبي»، بدأت بصوت متسائل جعله يتأوه، كنت قد سميت بالبنت الأسترالية، المتسائلة. «أبي، لماذا للطواويس ذيول جميلة؟»

شد لحيته وقال: «أرجلها بشعة، والله أعطاها ذيولا لئلا ينظر أحد إلى أقدامها».

ولكن «شاه جيهان» قلت وأبي يحني رأسه إلى الأسفل فوق جدله، «الجميع ينظرون إلى أقدامه، وذيله لا يفرد أبدًا».

- «نعم»، قال أبي قاطعًا، وكان ذلك شرح كل شيء، وبدأت بالبكاء، كان يومًا من الضحك والدموع، أظن أنه اليوم الأول من الربيع.

- «ما الأمر، ماذا هناك».

- «كل شيء»، أخبرته، «شاه جيهان لن يفتح ذيله، رشيدة تتظاهر أنها تعرف القراءة، لال لم يسمح لي بالحفر. والفصل ربيع؛ آما تضع الحليب في الخارج للأفاعي وأنا عددت ...» ولكن أبي نظر بجدية ولم أستطع أن أخبره ما الذي عددت.

- «اسمعي، أنت كبيرة الآن يا نيمي وأستطيع أن أخبرك سرًا»

- «ما هو السر؟»

تنهد وقال: «إنه ما يخصنا، شيء نعرفه ولكنا لا نبوح به، أو نتشارك فيه مع شخص واحد في العالم»

- «معي !، توسلت، «معي !»

- «نعم، معك أنت، ولكن دون بكاء أو أي شيء، هذا لتشعري بالنضج».

- أرجوك»، قلت له، «أرجوك»، وأحببته عندها كثيرًا جدًا لدرجة أني وددت أن أكسر قفص الأغصان وأن أحضنه.

- «نحن مسلمون»، قال، «ولكن أمك لديها علامة على جبهتها تقول إنها لم تكن كذلك، كانت براهمية، وآمنت بكل قصص كريشنا وسيفا»

- «اعرف ذلك»، قلت، «والتلال ...»

- «اسكتي أيها النسناسة»، قال آمرا، «وآما مسلمة الآن أيضًا ولكنها تتذكر طرقها القديمة وتضع الحليب خارجًا في الربيع».

- «للأفاعي»، قلت، «لتحبنا وتتركنا دون أذى»

- «ولكن لا توجد أفاعٍ في الحديقة»، قال أبي.

- «ولكنها تشرب الحليب، وآما تقول ...»

- «لو ترك الحليب، ستحضر الأفاعي»، قال أبي، «وهي يجب ألاّ تأتي، لأنه لا يوجد شرف في الأفاعي، ستلدغك أنت أو رشيدة أو لال الصغير أو حتى آما، ولهذا - وهذا هو السر الذي لا يجب أن يعرفه أحد إلا أنا وأنت - فإني أذهب إلى الحديقة ليلاً وأفرغ صحون الحليب. وبهذه الطريقة لا أقلق ولا ينالك أذى، وإيمان آما لا يطاله الضرر، ولكن عليك ألا تقولي ذلك».

www.ahlaltareekh.com

وأكدت له: «لن أقول أبدًا».

طوال ذلك اليوم كنت لطيفة مع لال والذي كان مجرد طفل وغير ناضج، واحتفظت برأسي عاليًا أمام رشيدة التي كانت ذكية، ولكن ليس لديها سر. كل النهار مشيت بزهو، ممتلئة بسري. شعرت بأني حتى أذكى من آما التي تعرف كل شيء ولكن يجب ألا تعرف ذلك أبدًا».

كانت تعمل ذلك المساء على ملحفتها، نظرت إلى صور الكروشيه في المربعات الصغيرة فيه وقلت «هذا نبات بوينستيا»

- «نعم وهذا ..»

- «إنه شاه جيهان وذيله منشور»

- «نعم، هو كذلك وهذه وردة للطفل»

- «متى سيجيء الطفل؟ ليس فورًا ولكن متى؟»

- «الليلة، ليلة الغد أو الليلة التالية».

- «هل يجيء المواليد دومًا في الليل؟»

- «أطفـــالي، دائمًـــا، هناك الظلام والانتظار ثم الشمس على وجوهنا وعطر الياسمين هنا» ثم نظرت إلى حديقتها.

- «ولكن آما ..»

- «كفى أسئلة يا نيمي، رأسي يطن، لا أسئلة اليوم».

- تلك الليلة سمعت ضجة غريبة، صرخة قاسية، صرخت: «إنه شاه جيهان»، وقفزت من السرير راكضة إلى النافذة، وقفت على كرسي ونظرت خارجًا إلى الحديقة. ضوء القمر، والقمر كان كبيرًا ومنخفضًا لدرجة أني ظننت أن بإمكاني الانحناء خارجًا ولمسه، وهناك يقف شاه جيهان ويبدو حزينًا وأبيض كالصقيع.

قلت: «شاه جيهان، أخي الصغير، لا تفكر كثيرًا بقدميك وإنما بذيلك الجميل»، وبينما كنت أتكلم، رفع رأسه وببطء فرد ذيله كمروحة يدوية من شرائط بيضاء كالقمر. أوه يا شاه جيهان، كما لو أنك قدمت من القمر. حلقي تأذى وشعرت بالاختناق، فأمسكت أنفاسي وأغمضت عيوني. عندما فتحتهما، كان كل شيء قد انتهى: القمر هو القمر وشاه جيهان طائر أبيض حليبي بذيل متدل ورأس منخفض.

في الصباح، أيقظتنا المرضة. «انهضوا، وخمنوا ماذا؟ في الليل، أخت، المولودة الأغلى والأحلى .. والآن هيا»

- «لا أخ»، قال لال «لا أخ وليد»

ضحكنا عليه، رشيدة وأنا، وركضنا لرؤية الطفلة. آما كانت مستلقية، ساكنة وصغيرة في السرير الكبير، ضفيرتها السوداء اللامعة تمتد على طول الوسادة. الطفلة كانت في المهد الأبيض، ورنونا إليها، قبضتاها الصغيرتان تلمستا طريقهما في الهواء إلينا. ولكن لال لم ينظر إليها، تسلق السرير وزحف باتجاه آما قائلاً بحزن: «لا ولد، لا ولد لألعب معه».

قالت آما وهي تحرك شعرها: «ابني، آسفة يا ابني الصغير».

سألها: «هل يمكننا أن نغيرها إلى ولد؟»

وردت عليه: «إنها هدية من الله، ولا يمكننا تغيير الهدايا».

دخل والدي من الملبن، على وجهه ابتسامة عريضة، ضحك ضحكة خافتة فوق المهد ثم جلس على السرير.

«ربة البيت»، قاله بإنجليزية غريبة تضحك منها المرضة دائمًا، «هذه الرفيقة الصغيرة إيه؟».

- «بل كبيرة، تسعة باوندات»، قالت آما بينما أومأت المرضة بفخر.

- «ما الخطأ في هذه الرفيقة؟»، سأل أبي وهو يجر لال من ذراعه. «ما بك؟»

- «لا ولد»، أجل لال، «لا ولد لأتحدث معه»

- «أي، أي»، ندب والدي وهو يغير تعبيره. «الكثير من البنات هنا، الأفضل أن نغرق واحدة، أي واحدة

www.ahlaltareekh.com

نغرق يا لال؟ أيهن، أيه؟»

رشيدة وأنا اندفعنا إليه نصرخ بسرور، «لست أنا !»، بينما الممرضة تحاول أن تسكتنا.

- «أنت أسوأ من الأطفال»، قالت لأبي، «أسوأ بكثير»، ثم ضحكت وكذلك فعلنا أجمعين وحتى الطفلة أصدرت ضجيجًا.

ولكن ماذا نسمي الطفلة؟ كلنا تحدثنا في ذلك، حتى عمي سيد جاء وانحنى على سارية الباب بينما الأسماء تناقش. أخيرًا رفع والدي الطفلة ونظر في عينيها الكبيرتين الغامقتين وسأل عمي: «ماذا كان اسم أختك؟، الصغيرة التي كانت تتبعنا في كل مكان؟ الصغيرة ذات العينين الجميلتين؟»

- «جميلة»، أجاب عمي سيد، «إنها جميلة».

ثم كان ذلك اسمها الأول، جميلة على اسم الفتاة التي كانت حية في الهند عندما كان أبي ولدا وقرر هو وعمي سيد أن يصبحا صديقين كالإخوة، واسمها الثاني كان شهناز، والذي يعني القلب المحبوب.

ثم تذكرت. «شاه جيهان، يستطيع أن يفتح ذيله، رأيته الليلة الماضية والجميع نيام».

- «لا يمكنك الرؤية في الليل، لقد حلمت بذلك أيتها الطفلة»، قالت رشيدة

- «كلا، لم أحلم. كان قمرًا مشرقًا».

- «لقد حلمت بذلك يا نيمي»، قال أبي وأضاف: «الطاووس لا يفتح ذيله في هذه البلاد».

- «لم أحلم بذلك»، قلت بصوت متشكك لأن أبي على صواب دومًا. ثم قلت: «سأعدّ أصابع جميلة»، قبل أن تقول رشيدة أي شيء عن الطاووس، «واحد، اثنان، ثلاثة، خمسة..»

- «لقد تركت الرقم أربعة»، قال أبي.

- «أوه نعم، نسيت، لقد نسيته، واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة، لديها خمسة أصابع».

- «كل واحد لديه خمسة»، قالت رشيدة

- «أروني»، قال لال، وبينما كان أبي وآما يريانه أصابع الوليدة ويعلمانه كيف يعدها زحفت إلى الباحة حيث أستطيع رؤية التلال. عددتها بسرعة من واحد إلى خمسة، كان هناك خمسة فقط دون أي زيادة. شعرت بالإثارة عندما تحسست انغلاق حلقي ثانية، «لم أحلم بذلك، لا يمكن لي أن أحلم بالألم، لقد رأيته فعلاً، لدي سر آخر الآن وخمس تلال فقط، واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة».

ولم تتغير مرة أخرى، لقد نضجت.

الهوامش

(*) قاصان من أستراليا.

www.ahlaltareekh.com





تاريخ البشانقة كما لا نعرفه حتى الآن:

دور الإسلام في تكوين الشعب الجديد في البلقان

محمد الأرناؤوط

عمان ـ الأردن

يقال عادة: إنَّ حرب البوسنة كانت حرباً غير مسبوقة، ليس بسبب «التطهير العرقي»، وإنما بسبب «التطهير الثقافي» الموازي له، الذي كان يهدف إلى تدمير هوية شعب. ففي هذا الإطار تم تدمير المنشآت التاريخية (بما في ذلك الجسور ذات القيمة الأثرية) وحتى مراكز الوثائق والكتب (مثل معهد الاستشراق في سراييفو الذي كان يحتفظ بآلاف المخطوطات الشرقية، والمكتبة الوطنية ... إلخ) حتى لا يبقى للطرف المستهدف ما يثبت به لنفسه بعد الحرب.

وقد فهم البشانقة هذه الحرب المفروضة عليهم على حقيقتها، ولذلك لم يتوان المثقفون منهم على المشاركة في هذه الحرب على طريقتهم الخاصة: التأليف تحت القصف، والقنص خلال حصار سراييفو ١٩٩٢-١٩٩٣م؛ لإثبات وجودهم كشعب له تقاليده وثقافته وتاريخه الخاص به؛ وذلك في مواجهة التشكيك به، وتغييبه في العقود الأخيرة.

ومن نتاج هذه الحرب، إذا صح التعبير، لدينا الكتاب المرجعي الضخم «تاريخ البشانقة» للمؤرخ مصطفى إماموفيتش الذي أُلِّف بين عامي ١٩٩٣و١٩٩٦م وصدر في طبعته الأولى خلال عام ١٩٩٦م، وفي طبعته الثانية خلال عام ١٩٩٨م؛ ويقع هذا الكتاب في (٦٣٠ صفحة من الحجم الكبير) يمكن القول: إنه لدينا أول تاريخ شامل عن البشانقة منذ القرون الوسطى إلى السنوات الأخيرة التي سبقت الحرب.

عودة إلى الجذور

ويعدّ إماموفيتش من المؤرخين المعروفين في

www.ahlaltareekh.com



البوسنة؛ إذ برز مبكراً بكتابه المرجعي «الوضع القانوني للبوسنة وتطورها السياسي الداخلي خلال ١٨٧٨ ـ١٩١٤م» في عام ١٩٧٨م، ونشر حتى الآن نحو ٣٥٠ دراسة ومقالة وملاحظة علمية في مختلف المجالات وترجمت بعضها إلى عدة لغات (الإنجليزية والألمانية والإسبانية ..إلخ).

ويلاحظ في نتاجه السابق أنه كان يركز في الإطار التاريخي القانوني والدستوري للقضايا المختلفة المتعلقة بالتاريخ الحديث والمعاصر للبوسنة. أما في هذا الكتاب فلدينا نقلة كبيرة، تحت تأثير ظروف الحرب، تتمثل في تأليف تاريخ شامل للبشانقة.

والمقصود بالبشانقة هنا Bosnjaci الشعب الذي كان يشكل الأغلبية منذ بداية التاريخ الحديث للبوسنة، بعد أن اعتنق الإسلام ، والذي كان يعي نفسه باستمرار كشعب متميز له لغة وثقافة خاصتان، ولكنه أخذ يتعرض إلى تهديد وتطهير جسدي ونفسي وسياسي وثقافي منذ نهاية القرن الثامن عشر نتيجة للتطورات السياسية الجديدة في البلقان، وهذا ما جعله ينكمش، وينحصر في الدفاع عن وجوده.

وفي هذا الإطار لم تعترف الدولة الجديدة (يوغسلافيا) التي ضمت البوسنة في عام ١٩١٨م بهذا الشعب، وحاولت قيادتها المستحيل لتذويبه وتغييبه، وهو ما استمر في بداية يوغسلافيا الجمهورية تحت حكم الحزب الشيوعي إلى أن تم الاعتراف بهذا الشعب باسم جديد «المسلمون» بالميم الكبيرة Muslimani تمييزاً لهم عن المسلمين بالميم الصغيرة muslimani التي كانت تشمل كل المؤمنين بالإسلام في يوغسلافيا السابقة. ومع حرب

www.ahlaltareekh.com



الاستقلال عام ١٩٩٢-١٩٩٥م استرد هذا الشعب اسمه التاريخي (البشناق). وهكذا في إطار الدفاع عن وجوده وأرضه وهويته في أصعب اللحظات، (١٩٩٣م) بدأ إماموفيتش تلك المهمة الكبيرة بوضع تاريخ لهذا الشعب يمتد على نحو ٦٣٠ صفحة من الحجم الكبير.

ويؤكد المؤلف في المدخل كون البشانقة شعباً أوربياً من سلاف الجنوب، حيث كان هناك من يخلط بينهم وبين الأتراك، ويوضح منذ البداية (ص٩) دور الإسلام الحاسم في تبلور هذا الشعب عن الشعوب المجاورة التي تتحدث اللغة ذاتها (الصرب والكروات وأهل الجبل الأسود/المونتغريون)، ولكن تختلف فيما بينها بالخصائص الدينية والثقافية والسياسية. ويخلص المؤلف من هذا إلى تعريف البشانقة بأنهم الشعب ذي الأصل السلافي الجنوبي الذي تشكل في البوسنة بحدودها التاريخية (ص١١).

بين اللغةوالدين

في الفصل الافتتاحي من الكتاب «الموقع الجيوبوليتكي للبوسنة» يحلل المؤلف موقع البوسنة (التي اختلف العلماء كثيراً حول أصل اسمها) بين كرواتيا وصربيا ليخلص إلى أن الفرق بين الألبان والبشناق يكمن في أن الألبان استمدوا وحدتهم من اللغة (إذ إن اسمهم القومي يدل على التعبير في اللغة الألبانية)؛ ولذلك لدينا بينهم مسلمون ومسيحيون ويهود، بينما لدى سلاف الجنوب (الصرب والكروات والبشانقة) جاء التمايز بين الشعوب الجديدة بالاستناد إلى الدين (الكاثوليكية والأرثوذكسية)؛ وهذا ما جعل البشناق يتميزون من غيرهم باعتناقهم الإسلام (ص٢٢).

في القسم الأول من الكتاب يستعرض المؤلف في سبعة فصول نشوء دولة البوسنة في القرون الوسطى، إذ برز أول حاكم/بان ban لها باسم بوريتش بين عامي ١١٥٤ و١١٦٤م، وجاء بعده البان الكبير كولين الذي توسعت حدود البوسنة في عهده خلال ١١٨٠-١٢٠٤م، وتميزت كدولة في المنطقة بنظامها الإقطاعي الذي ترسخ، مع التركيز في

www.ahlaltareekh.com



الديانة الجديدة (البوغوميلية) التي انتشرت فيها، وعدّت هرطقة، سواء من قبل الكاثوليكية أو من الأرثوذكسية؛ مما أدى إلى سلسلة حروب للقضاء على هذه «الهرطقة»، والوضع الاقتصادي الاجتماعي للدولة البوسنوية القروسطية حتى سقوطها أمام التوسع العثماني في البلقان.

الإسلام في البوسنة

في القسم الثاني «مرحلة الحكم العثماني» ينطلق المؤلف من التعريف بالدولة الإسلامية والحضارة الإسلامية، ثم يتابع الفتح العثماني للبوسنة ليصل إلى الفصل الثالث المتعلق بـ «سيرورة قبول الإسلام في البوسنة»، الذي يعدّ من أهم فصول الكتاب. فلتأثيره المصيري يرى د. إماموفيتش أن اعتناق الإسلام من قبل غالبية السكان في البوسنة يشكل أهم حدث في التاريخ الحديث. وعلى الرغم من ذلك يلاحظ المؤلف (ص١٣٨) أن مثل هذا الموضوع المهم لم يبحث كما يجب في الدراسات التاريخية، ولم يتضح بما فيه الكفاية. فهناك لدى المسلمين «روايات شعبية» عن الانتشار الفوري للإسلام خلال فتح السلطان محمد الثاني للبوسنة، وهو ما يناقشها هنا، ويبيّن عدم صحتها، كما أن هناك «الروايات» الصربية والكرواتية التي تركز في نشر الإسلام بالقوة بين السكان، وهو أيضاً يناقشها بكل موضوعية، ويبيّن عدم صحتها. ويعتمد المؤلف على مختلف المصادر ليصل إلى أن الإسلام انتشر بلا عنف، مع وجود حالات استثنائية، وبشكل تدريجي احتاج معه إلى مئة وخمسين سنة (حتى الربع الأول للقرن السابع عشر) حتى يصبح ثلثا سكان البوسنة من المسلمين (ص١٧٥-١٨٠).

المقصود بالبشانقة هنا الشعب الذي كان يشكل الأغلبية منذ بداية التاريخ الحديث للبوسنة، بعد أن اعتنق الإسلام . والذي كان يعي نفسه باستمرار كشعب متميز له لغة وثقافة خاصتان

في الفصول التالية يرصد المؤلف التغيرات

www.ahlaltareekh.com

الكبرى التي حدثت خلال الحكم العثماني، كما في التطور الكبير للمدن والحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن والتي تمخضت عن عادات وتقاليد وثقافة جديدة تميز البشناق من الصرب والكروات. ومع أن الحكم العثماني استمر في البوسنة حتى عام ١٨٧٨م، إلاّ أن المؤلف يتعرض في الفصول الأخيرة من هذا القسم إلى ما يسميه «كفاح البشانقة للحفاظ على وجودهم»، فقد أخذ يتضح الارتباط بين مصير الدولة العثمانية ومصير البشانقة منذ نهاية القرن السابع عشر مع إخفاق الحصار العثماني الأخير لفيينا. فقد تحولت النمسا من الدفاع إلى الهجوم. واجتاحت البوسنة عدة مرات خلال القرن الثامن عشر، وهذا ما أخذ يهدد وجود البشانقة. ففي حرب عام ١٧٣٧م أصدر الإمبراطور النمساوي كارل الرابع بياناً لسكان البوسنة طالب فيه السكان المسيحيين بالانضمام إلى الجيش النمساوي، بينما ترك للمسلمين خياراً واحداً فقط (التنصير) فيما لو أرادوا الاستمرار في العيش في البوسنة والحفاظ على أملاكهم فيها (ص٣٠١).

في مثل هذه الحالة أصبح البشانقة بين نارين، مما دفعهم إلى أن يخوضوا بدورهم في عام ١٨٣١م حرباً ضد الدولة العثمانية للمطالبة بالحكم الذاتي (على نمط ما حصلت عليه صربيا آنذاك خلال عام ١٨١٥-١٨٣٠م)، وهو ما يتناوله المؤلف في الفصل قبل الأخير من هذا الفصل (ص٣٢٣-٣٢٧). ومع أن الحركة أخفقت، إلاّ أن الإصلاحات العثمانية اللاحقة، وخاصة خلال عام ١٨٥٠-١٨٧٠م، جعلت البوسنة تنفتح على العالم في الوقت الذي كان فيه الوضع الإقليمي يمور تحت تأثير الاختراق الروسي للبلقان الذي قلب الوضع رأساً على عقب على أثر الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٧٧-١٨٧٨م التي انتهت إلى هزيمة مذلة للدولة العثمانية.

فمع اجتياح روسيا للبلقان اختلت موازين القوى مما أدى إلى أزمة تهدد بحرب أوروبية جديدة، ولكن عقد مؤتمر برلين في صيف عام ١٨٧٨م أنهت هذه الأزمة بروح الحل الوسط، وفي هذا الإطار تم تقليص التمدد الروسي وتفويض النمسا باحتلال البوسنة الذي قاومه البشانقة بقوة بعد أن تخلت عنهم الدولة العثمانية، وهو ما يخصص له المؤلف القسم الثالث بكامله.

من حضارة إلى أخرى

في القسم الرابع «مرحلة الانتقال النمساوية المجرية» ينطلق المؤلف (ص٣٦١) من أن الاحتلال النمساوي المجري للبوسنة كان يمثل منعطفاً تاريخياً ومصيرياً للبشناق، إذ كان يعني بالنسبة إليهم الانتقال من حضارة (عثمانية) إلى حضارة أخرى مختلفة تماماً (أوربية). وفي الفصول التالية يستعرض المؤلف أهم ملامح هذه التغيرات في حياة البشانقة مثل تأسيس هرمية/مؤسسة دينية مستقلة عن إستانبول (شيخ الإسلام) والهجرة الكبيرة إلى

إن اعتناق الإسلام من قبل غالبية السكان في البوسنة يشكل أهم حدث في التاريخ الحديث. وعلى الرغم من ذلك يلاحظ المؤلف أن مثل هذا الموضوع المهم لم يبحث كما يجب في الدراسات التاريخية، ولم يتضح بما فيه الكفاية

www.ahlaltareekh.com

في البداية، بينما أخذت هذه السياسة تتضح مع تعيين الوزير بنيامين كالاي (١٨٨٢-١٨٩٣م) مسؤولاً عن إدارة البوسنة. ففي عهده، وهو الخبير بالبوسنة والبلقان، أخذت تبرز «سياسة قومية» تدعم وجود هوية/قومية بوسنوية واحدة، بغض النظر عن الانتماء الديني. والمهم هنا أن المؤلف يوضح (ص٢٧٥-٢٧٦) أن كالاي ليس هو من ابتدع «البشنقة»، بل يشير إلى محاولات سابقة جرت خلال القرن التاسع عشر.

وفي هذا الإطار بدأت تثمر هذه السياسة بين المثقفين المسلمين مع ظهور جيل جديد من المتعلمين (محمد بك قبطانوفيتش وغيره) يدعو إلى هوية/قومية بوسنوية واحدة، بغض النظر عن الانتماء الديني، وإلى البقاء في الإطار الغربي/النمساوي المجري، ولكن هذا الخط الذي مثلته جريدة «البوشناقي» منذ عام ١٨٩٢م، جاء متأخراً؛ لأن بلغراد كانت قد استقطبت الأرثوذكس في البوسنة، وفي زغرب مع الكاثوليك؛ ولذلك لم ينضم أحد من الأرثوذكس (الذين أصبحوا يرون أنفسهم جزءاً من الشعب الصربي)، ولا من الكاثوليك (الذين أصبحوا يرون أنفسهم جزءاً من الشعب الكرواتي) إلى هذه الحركة الجديدة/البشنقة التي بقيت مقتصرة على المسلمين (ص٣٨٢).

حتى فيما يتعلق بالمسلمين، فقد أخذ التفاوت يبرز بينهم فيما يتعلق بمصيرهم ومستقبلهم؛ إذ بقي بعضهم يحلم بعودة الحكم العثماني، بينما كان بعضهم يفضل بعد أن لمس حسنات الحكم النمساوي المجري البقاء في الإطار الجديد مع الاختلاف حول البقاء مع أي طرف أفضل (مع النمسا أو مع المجر) يجب أن تكون البوسنة. وفي هذا الإطار جاء قرار ضم البوسنة

التأثر بالطراز المعماري الإسلامي يبدو واضحاً في البوسنة

الدول العثمانية كرد فعل على الشعور بالغربة في دولة بغالبية كاثوليكية ... إلخ. وفي الفصل الخاص «السياسة القومية لإدارة الاحتلال» ينطلق المؤلف من أن دولة الاحتلال لم تكن لها رؤية/سياسة واضحة

يرصد المؤلف التغيرات الكبرى التي حدثت خلال الحكم العثماني. كما في التطور الكبير للمدن والحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدن والتي تمخضت عن عادات وتقاليد وثقافة جديدة تميز البشناق من الصرب والكروات

www.ahlaltareekh.com

إلى النمسا أو المجر في عام ١٩٠٨م ليشكل ضربة نهائية لأحلام بعض المسلمين بعودة الحكم العثماني.

الحرب العالمية الأولى وتداعياتها

في القسم الخامس «الحرب العالمية الأولى وتشكيل الدولة اليوغسلافية» ينطلق المؤلف من حادثة اغتيال



آثار الحرب تفصح عنها بقايا المباني

ولي العهد النمساوي في سراييفو التي أثارت أعمال عنف ضد الصرب، وهي ما دفعت بالزعماء البشانقة والكروات إلى المطالبة بحماية السكان الصرب، وفي هذا الإطار يذكر بالتقدير ما قام به رئيس علماء المسلمين في البوسنة جمال الدين تشاؤشفيتش، ومع تطورات الحرب الميدانية ، التي أصبحت فيها صربيا (العدو اللدود للنمسا) في صف الحلفاء، تبنّت بلغراد رسمياً سياسة تشكيل دولة تضم سلاف الجنوب/اليوغسلاف الذين كان نحو نصفهم ضمن النمسا المجر، وهو ما تطابق مع مصلحة الحلفاء الذين أرادوا تفكيك إمبراطورية آل هابسبرغ. ومع أنه برزت في نهاية الحرب العالمية الأولى دولتان يوغسلافيتان: الأولى مقرها زغرب، وتجمع كرواتيا وسلوفينيا



المآذن ترتفع في كل مكان على الرغم من سنوات الاضطهاد الشيوعي

والبوسنة، والثانية مقرها بلغراد، وتجمع صربيا وفويفودينا والجبل الأسود، إلا أن الظروف فرضت على دولة الشمال (زغرب) أن تقبل بالانضمام إلى دولة الجنوب (بلغراد) تحت حكم آل كاراجوفيتش الصرب.

إفناء جماعي

وفي القسم السادس «مرحلة الدولة

www.ahlaltareekh.com

اليوغسلافية ١٩١٨. ١٩٤١م» يستعرض المؤلف التحديات التي واجهت البشانقة في الدولة الجديدة، فقد حملت الدولة الجديدة اسم «مملكة الصرب والكروات والسلوفين»، ومن ثم فقد قامت هذه الدولة على نفي هوية/قومية البشانقة منذ البداية حتى على تهديد وجودهم الجسدي، ووضعهم الاقتصادي والاجتماعي، وهي ما يسميها المؤلف «سياسة إفناء جماعي للبشانقة كمسلمين» (ص٤٨٩). ففي السنوات الأولى من الدولة الجديدة، وفي شرق البوسنة فقط، قتل ما يزيد على ثلاثة آلاف من البشانقة الأبرياء لكونهم مسلمين على يد عصابات صربية متطرفة (ص٤٨٩). وقد أدى هذا الوضع إلى تناقص عدد البشانقة بسبب استمرار الهجرة، وتحولهم إلى أقلية (٥٨٨١٧٣ فقط من أصل ١,٨٩٠٤٦٠ نسمة)، بينما أصبح الصرب هم الأغلبية في البوسنة (٨٢٩٣٦٠ من ١,٨٩٠٤٦٠ نسمة)، ولم يتحسن هذا الوضع إلاّ بعد أن وصلت أخبار المجازر الجماعية إلى الصحف الأوربية، وبعد أن نجح زعماء البشانقة في تشكيل حزب سياسي واحد يمثلهم في البرلمان (منظمة المسلمين اليوغسلاف)، فقد دخل زعيم هذا الحزب د.محمد سپاهو في ائتلاف مع المعارضة لتأمين نوع من الاستقرار للبشانقة، والحفاظ على هويتهم المتميزة، ولكن هذا الدور انتهى مع موته الغامض في صيف عام ١٩٣٩م، ومع التوقيع على اتفاق صربي كرواتي لتقاسم البوسنة وإعطاء الكروات فقط الحق بحكم ذاتي واسع.

وعن حصيلة تلك السنوات الصعبة التي قضاها البشانقة في الدولة اليوغسلافية الأولى يصل المؤلف إلى نتيجة غير مألوفة، ألا وهي أنه في البوسنة فقط (بالمقارنة مع بقية أوربا) كان قطاع السكان المشتغل في الزراعة والرعي يزداد بين عامي ١٩٢١ و١٩٣١م عوضاً عن أن ينخفض، إذ إنه ازداد من ٨٠,١٪ إلى ٨٤,١٪. وعلى الرغم من التقدم الملحوظ للشعوب الأخرى في المجال الثقافي والإداري فإن حضور البشانقة كان هامشياً. فحتى نهاية الدولة اليوغسلافية الأولى كان عدد البشانقة الذين أنهوا دراستهم الجامعية لا يتجاوز الـ٨٠٠، ومن بين هؤلاء كان سبعة فقط يعملون أساتذة في الجامعات و ١٥ ضابطاً في الجيش لم يتجاوز اثنان منهم رتبة عقيد، مما كان يعكس التمييز الحاصل ضد البشانقة (ص٥٢٤).

ضحايا القوى المتصارعة

وقد خصص المؤلف القسم السابع لـ «حرب

www.ahlaltareekh.com



١٩٤١-١٩٤٥» أي لانهيار يوغسلافيا الأولى/الملكية في نيسان عام ١٩٤١م ونتائج ذلك. وكما أن البشانقة لم يؤخذ برأيهم في عام ١٩١٨م حول تشكيل الدولة اليوغسلافية الأولى فقد وجدوا أنفسهم فجأة الآن (دون أن يؤخذ برأيهم أيضاً) ضمن دولة جديدة، ألا وهي «دولة كرواتيا المستقلة» التي أعلنت في ١٠ أبريل ١٩٤١م برعاية ألمانيا. وبينما تركت الدولة الأولى الخيار للبشانقة كي يعبروا عن أنفسهم كصرب أو ككروات، فإن الدولة الجديدة أعلنتهم منذ البداية «صفوة الشعب الكرواتي» وعاملتهم على أنهم «كروات مسلمون» ومارست الضغوط الشديدة على رئيس العلماء المسلمين لكي يقبل بذلك (ص٥٣٣ ـ٥٣٤). وكما في عام ١٩١٤م فقد رفع زعماء المسلمين صوتهم ضد ملاحقة الصرب و تصفيتهم في البوسنة. ومع أن عدداً محدوداً من الأئمة تعاون مع الدولة الجديدة، إلاّ أن الأغلبية رفضت أو حتى انضمت إلى المقاومة المسلحة بقيادة الحزب الشيوعي اليوغسلافي التي كانت تسعى إلى تأسيس يوغسلافيا جديدة قائمة على المساواة والتعددية (ص٥٣٦).

ولكن تلك الفترة من عام ١٩٤١ـ١٩٤٥م كانت فترة حرب أهلية بين أنصار الملكية من الصرب وأنصار الجمهورية الجديدة من مختلف الشعوب التي دارت رحاها بشكل خاص في البوسنة التي كان البشانقة من أكبر ضحاياها. فقد كان البشانقة يتعرضون لضغوط القوى الثلاث المتصارعة (قيادة كرواتيا المستقلة، وأنصار الملكية، وأنصار الجمهورية) مما جعلهم يقعون ضحية مجازر جماعية من حين إلى آخر. وبالاستناد إلى آخر المعطيات يذكر المؤلف أن عدد ضحايا البشناق من هذه المجازر الجماعية تجاوز المئة ألف أو ٨,١٪ من عددهم الإجمالي في ذلك الوقت (ص٥٣٧).

معاناة جديدة

في القسم الأخير من الكتاب «البشناق في مرحلة ١٩٤٥ـ١٩٩٠م» يستعرض المؤلف المعاناة الجديدة للبشناق في سبيل الاعتراف بهويتهم/قوميتهم. فقد انطلقت الدولة اليوغسلافية الجديدة/الجمهورية بإنجاز كبير، ألا وهو الاعتراف بالبوسنة كجمهورية فدرالية على قدم المساواة مع الجمهوريات الأخرى، ولكنها لم تعترف

www.ahlaltareekh.com

للبشناق بهويتهم/قوميتهم، ومن ثم لم تجعل البوسنة دولة قومية كما هي صربيا بالنسبة إلى الصرب، وكرواتيا بالنسبة إلى الكروات. وفي النقاش حول الدستور الفدرالي الأول قال منظّر الحزب الشيوعي اليوغسلافي ميلوفان جيلاس: إنَّ الجمعية التأسيسية لا يمكن أن تبت في أن البشناق شعب مستقل؛ لأن هذه «مسألة نظرية» (ص٥٥٥). وبما أنها مسألة نظرية بيد قادة الحزب فلم يبت فيها لأسباب سياسية حتى مطلع الستينيات، إذ أعطى الرئيس تيتو الضوء الأخضر لذلك في عام ١٩٦٣م، وهو ما انتهى إلى قيادة الحزب الشيوعي في البوسنة التي أعلنت بجلاء في شباط عام ١٩٦٨م أن «البشناق هم شعب متميز عن غيره» (ص٥٦٥)، مع إطلاق اسم المسلمين (بالميم الكبيرة) Muslimani عليهم.

ولكن هذا الاعتراف أثار انزعاج المعارضة الصربية المتطرفة التي ازدادت وضوحاً بعد إقرار دستور عام١٩٧٤م، الذي رأته تجسيداً لتهميش الصرب في يوغسلافيا التيتوية. وقد تصاعدت هذه المعارضة بعد وفاة تيتو في عام١٩٨٠م، وأصبحت تطالب علانية بإعادة تكوين يوغسلافيا، بما يحقق للصرب مصالحهم أو تشكيل «صربيا الكبرى». وقد أدت الخلافات بين قيادات الجمهوريات إلى اللجوء إلى القوة لمنع استقلال سلوفينا وكرواتيا، وصولاً إلى التدخل العسكري لمنع استقلال البوسنة في يوم (٦ نيسان ١٩٩٢) الذي اعترف فيه الاتحاد الأوربي باستقلالها. ويخلص المؤلف إلى أنه خلال الحرب عام ١٩٩٢-١٩٩٥م جرى بشكل عفوي استعادة البشناق لاسمهم التاريخي، وهو ما أقره المؤتمر البشناقي الثاني الذي انعقد في سراييفو خلال خريف عام ١٩٩٣م (ص٥٦٩).

ويلاحظ هنا أن هذا القسم (ص٥٤٧ - ٥٦٩) يبدو صغيراً بالمقارنة مع السنوات التي يغطيها (١٩٤٥-١٩٩٠م)

في مثل هذه الحالة أصبح البشانقة بين نارين: ما دفعهم إلى أن يخوضوا بدورهم في عام ١٨٣١م حرباً ضد الدولة العثمانية للمطالبة بالحكم الذاتي على نمط ما حصلت عليه صربيا آنذاك خلال عام ١٨١٥-١٨٣٠م

ومع الأحداث المهمة التي يتناولها. وربما كان يبدو للمؤلف أن أحداث هذه المرحلة أقرب إلى القارئ بتفاصيلها، ولكنها ليست كذلك للقارئ خارج البوسنة ويوغسلافيا السابقة.

في خاتمة الكتاب (ص٥٧١ - ٥٧٣) يصل المؤلف إلى أنه يمكن تلخيص تاريخ البشناق بأنه كفاح متواصل للحفاظ على وجودهم في أرضهم وسط محيط معاد لهم (ص٥٧٢). ومن المفارقات التي يشير إليها المؤلف أن الهجوم على البشناق قد زاد بعد أن تم الاعتراف بهم كشعب مستقل في يوغسلافيا التيتوية (ص٥٧٣). ومن ناحية أخرى ينتهي المؤلف إلى أن الغرب، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي، لم يكن معنياً كثيراً بالتدخل لإنقاذ شعب أوربي مسلم من الإبادة الجماعية. وهكذا فقد وجد البشناق أنفسهم ضحية بين نارين، بين كرواتيا التي أرادت أن تتخلص من هيمنة صربيا في يوغسلافيا السابقة وصربيا التي أرادت تأكيد هيمنتها على يوغسلافيا السابقة (ص٥٧٣).

وأخيراً يمكن القول مرة أخرى: إنه مع كتاب د.إماموفيتش لدينا كتاب مرجعي وغني بالتفاصيل المستقاة من مختلف المصادر التي تجعلنا نتعرف إلى البشناق كشعب، وعلى كفاحه المتواصل في سبيل الدفاع عن وجوده، وإثبات حقه في هويته المستقلة.

www.ahlaltareekh.com



محدث الشام
الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

أيمـــن بن أحمد ذو الغـــنى
الرياض ـ السعودية

إنه لحزن حقًّا، ومفجع حقًّا، فقد العلماء العاملين، والدعاة الناصحين، فإن الله جعلهم ورثة الأنبياء، ينشرون علمهم، ويبلغون رسالتهم، ويدعون إلى ما دعوا إليه من محاسن الأخلاق، ويدلون الناس على طرق الخير والرشاد، فيكونون بذلك منارات هادية، وقدوة صلاح للأمة بأقوالهم وأفعالهم.

ولقد فجعت أمتنا الإسلامية عمومًا، وأهل السنة وطلاب الحديث خصوصًا، بوفاة علم من أعلام السنة وعلماء الحديث الشريف، من العلماء الصالحين، والدعاة العاملين، والفقهاء الحاذقين، والخطباء الواعظين، والأئمة المربين، فضيلة محدث الشام العلامة المحقق الشيخ أبي محمود عبد القادر الأرناؤوط الدمشقي، رحمه الله تعالى، وبرّد مضجعه.

وقالوا: الإمامُ قضى نحبَهُ وصَيحةُ من قد نعاهُ علَتْ
فقلتُ: فما واحدٌ قد مَضى ولكنَّهُ أمَّةٌ قد خلَتْ

ولقد كان الشيخ في مسيرته العلمية والدعوية إمامًا وقدوة في الصدق والاستقامة، وعلو الهمة وحسن السيرة، والغيرة الصادقة على الإسلام والمسلمين، والتمسك بالكتاب والسنة بلا إفراط ولا تفريط، على المنهج الوسط الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين.

ولعل من بشارات الخير أن تكون وفاته عقب عبادات متتالية، فقد اعتمر الشيخ في شعبان، ثم صام رمضان، ثم أتبعه بصوم الست من شوال، وكان اليوم السادس منها هو يوم الخميس السابق ليوم وفاته، وقد أخبرني أحد المقربين

www.ahlaltareekh.com



منه أنه عندما أفطر مغرب الخميس قال لأم أولاده: «الآن عيدنا يا أم أحمد»، أو عبارة نحوها، فكانت وفاته فجر اليوم التالي، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

صورة عن قرب

قبل زهاء خمس عشرة سنة انتسبت إلى الدورة العلمية الصيفية المكثفة في المعهد الشرعي لطلاب العلوم الإسلامية (الأمينية سابقًا)، وأنا يومئذ طالب في المرحلة الثانوية، وكان اسم الشيخ مدرجًا في جدول الحصص المقررة، مدرسًا لمادتي الفقه ومصطلح الحديث، وقد سبقت شهرة الشيخ إلى أذني، قبل أن أبصره بمقلتي، فكنت أسمع من زملائي الطلاب الثناء العطر عليه، وأنه أحد كبار علماء السنة في وقتنا.

دخل علينا الشيخ بتواضع جم، وجلس على كرسي التدريس، ورحب بنا في بداية هذه الدورة الصيفية الجديدة بكلمات تفيض رقة وأنسًا، بلهجة أب غيور شديد الحرص على بنيه، كنت أصغي إلى كلماته الصادقة، وأكاد أسمع معها وجيب قلبه، وأتأمل في وجهه فأرى في قسماته

www.ahlaltareekh.com



المسجد الأموي في دمشق

رحل به أهله وهو ابن ثلاث سنين، مهاجرين إلى الشام، فرارًا بدينهم من الهجمة الشيوعية الوحشية على بلادهم، واستقر بهم المقام بدمشق، فنشأ فيها وترعرع، واكتسب لسان أهلها وعاداتهم، فلا تحسبه إلا دمشقيًا عتيقًا أصيلاً، ولم يتخل عن لسان أجداده

أمارات الصدق والتقوى مشعة بادية، زادت حمرةَ وجهه جمالاً على جمال، وكانت عيناه الزرقاوان تلتمعان ذكاء كنجمين مضيئين أو جوهرتين كريمتين نادرتين، وقد زاده الله بسطة في العلم والجسم، فكان ممتلئ الجسد، قوي البنية، كما امتلأ فقهًا وحكمة وعلمًا، ووالله لقد ملأ الشيخ نفسي هيبة وتوقيرًا وإجلالاً.

مدحتُكَ بالحقِّ الذي أنتَ أهلُهُ ومن مدَحِ الأقوامِ حقٌّ وباطلُ

www.ahlaltareekh.com

لم أنقطع عن هذه الدورات العلمية الصيفية ست سنين متتالية، وكانت دروس الشيخ فيها أحب الدروس إلي؛ لما فيها من فوائد علمية، ونصائح تربوية. قرأنا عليه فيها غير كتاب من كتب مصطلح الحديث، وبحق لقد بهرنا الشيخ بقوة حفظه وحضور ذهنه، وبخاصة حفظه متون الأحاديث، ووفيات رواة السنة. وقد حبب إلينا الشيخ في دروس الفقه العمل بالحديث الصحيح، وعدم التعصب لاجتهادات الفقهاء المخالفة للأدلة الصحيحة الصريحة، وكذلك وجه أنظارنا إلى أهمية علم المصطلح الذي يعدّ السبيل لتمييز السنة النبوية، ومعرفة صحيحها من سقيمها.

توثقت صلتي بالشيخ مع الأيام، وازددت منه قربًا، وما كنت أشعر معه إلاّ أنني مع أبي الرحيم الشفيق، وما أكثر ما كنت أرتاد مكتبته العامرة، التي فتح أبوابها لتكون مثابة لطلاب العلم، أبحث في كتبها عن بعض المسائل الشرعية، أقضي فيها ساعات، من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء، أسأله عن كل ما يعرض لي من مسائل تعتاص علي، وأنتفع بما يجيب به سائليه من ضيوف وطلاب علم ومستفتين، ومع اغترابي في السنوات الأخيرة عن بلدتي دمشق، لم أنقطع عن شيخنا المفضال، فقد كان من أول من ألقاه في زياراتي لدمشق، وكذا كنت أحرص كل الحرص على لقائه كلما زار الرياض.

حُبب إلى الشيخ نشر تراث أسلاف أمتنا من العلماء الصالحين، وتحقيقها، والعناية بها، وكان يفضل تحقيق التراث على التأليف، وكان في تحقيقه صاحب رسالة، يرى أن غاية المحقق في عمله هي إخراج نص صحيح سليم، خال من شوائب التصحيف والتحريف والسقط

أرومته واسمه

ترجع أصول الشيخ إلى يوغسلافيا من بلاد البلقان، فقد ولد في قرية فريلا vrela من إقليم كوسوفا، سنة ١٣٤٧هـ الموافق لعام ١٩٢٨م، وسماه أبوه باسم: قدري، غير أنه أطلق على نفسه في أوائل شبابه اسم: عبد القادر الأرناؤوط، وبه اشتهر بين الناس، وهو الاسم الذي يثبته على أغلفة كتبه وتحقيقاته، غير أن اسمه بقي في الأوراق الرسمية: قدري بن صوقل الأرناؤوط، أما نسبه العالي فهو: قدري بن صوقل بن عبدول بن سنان بلاكاي الأرناؤوط.

لم تطل إقامة الطفل قدري في موطنه، فقد رحل به أهله وهو ابن ثلاث سنين، (عام ١٩٣١م)، مهاجرين إلى الشام، فرارًا بدينهم من الهجمة الشيوعية الوحشية على بلادهم، واستقر بهم المقام بدمشق، فنشأ فيها وترعرع، واكتسب لسان أهلها وعاداتهم، فلا تحسبه إلا دمشقيًا عتيقًا أصيلاً، ولم يتخل عن لسان أجداده، فبقي مجيدًا للغته الأولى الألبانية قراءة وكتابة وحديثًا.

دراسته وأشياخه

انتسب المترجَم في أول دراسته الابتدائية إلى مدرسة الأدب الإسلامي، ودرس فيها سنة واحدة فقط، ثم تلقى سائر تعليمه الابتدائي بمدرسة الإسعاف الخيري، ونال منها شهادتها الابتدائية، وهي الشهادة الوحيدة من شهادات الدراسة النظامية التي حصّلها، فلم يتابع بعدها في المدارس الرسمية، بل اختلف إلى حلقات العلم في المساجد، يقرأ على بعض العلماء والمشايخ، وهو لا يزال في ريعان الفتوة وطراءة الصبا.

ومن العلماء والمشايخ الذين قرأ عليهم وتخرج بهم:

- الشيخ صبحي العطار، رحمه الله: وهو مغربي الأصل، وقد كان أستاذه في مدرسة الإسعاف الخيري، قرأ

www.ahlaltareekh.com

عليه ختمة من القرآن الكريم مع التجويد والإتقان، وأفاد منه كثيرًا في الفقه الحنفي.

- الشيخ المقرئ محمود فايز الديرعطاني، رحمه الله: وهو تلميذ شيخ قراء الشام محمد الحلواني الكبير، رحمه الله، قرأ عليه شيخنا القرآن كاملاً مع الحفظ بالمدرسة الكاملية، وكان بصدد جمع القراءات عليه، إلا أنه آثر التفرغ لعلم الحديث الشريف وحفظ السنة النبوية، وقد كان الشيخ الديرعطاني شديد الإعجاب بقراءة تلميذه، لا يفتأ يقول له: إنك تقرأ القرآن بالسليقة.

- الشيخ سليمان غاوجي الألباني، رحمه الله : قرأ عليه الشيخ في علمي النحو والصرف.

- الشيخ محمد صالح الفرفور رحمه الله، وهو مؤسس جمعية الفتح الإسلامي ومعهدها الشرعي، وقد لازمه الشيخ زهاء عشر سنوات، وتخرج به في الفقه الحنفي، والتفسير، وعلوم العربية.

- وقرأ الشيخ على غيرهم من العلماء، وحضر دروس كثير من المشايخ في مسجد بني أمية الكبير.

الشيخ عبد القادر جالساً في مكتبته بدمشق

مهنته وعمله

رغب والد الشيخ - بعد تخرج ولده في المدرسة الابتدائية - أن يكتسب مهنة تكون له سندًا وأمانًا، يستعين بها على متطلبات الحياة في قابل الأيام، ويتقي بها صروف الدهر وغِيَرَه، فأخذ بيده ومضى به إلى حي (المسكية) القريب من المسجد الأموي، يبحث له عن مهنة شريفة يتعلمها، وبينا هما يبحثان أبصر الأب شيخًا ذا لحية سوداء وعمامة بيضاء وجبَّة يعمل ساعاتيًا، فأحسن الظن به، وعرض عليه أن يعلم ولده مهنة إصلاح الساعات، ولما عرف الرجل أنهما غريبان، ممن هاجر من كوسوفا إلى الشام، استجاب لطلبهما؛ حبًا وكرامة.

ذاك الشيخ الساعاتي اسمه سعيد الأحمر التلي، وكان متخرجًا في الأزهر الشريف، وقد لمس من الشيخ عبدالقادر حبه للعلم، وتطلعه إلى تحصيله، فرأى أن يختبره ببعض العلوم، فطلب منه أن يسمعه شيئًا من القرآن، فقرأ له آيات منه مرتلة مجودة، فسر بقراءته الحسنة المتقنة، ثم اختبره في بعض أبواب النحو والصرف، فأظهر براعة ومعرفة، وكان الوقت رمضان فسأله عمن لا يجب عليه صوم رمضان، فأجابه ببيتين من النظم كان حفظهما من شيخه صبحي العطار في المدرسة، وهما:

وعَوارضُ الصومِ التي قد يُغتَفَرْ

للمرءِ فيها الفِطرُ تسعٌ تُستَطَرْ

www.ahlaltareekh.com



الشيخ محمد الصباغ في داره بالرياض وعلى يمينه الشيخ عبد الرحمن الباني وبينهما الكاتب

حَبَـلٌ وإرضـاعٌ وإكـراهٌ سَفَرْ
مَرَضٌ جهادٌ جُوعُه عطَشٌ كِبَرْ

ولم يكتف الشيخ سعيد بهذه الإجابة، بل طلب منه تفسير البيتين، ولما أجابه ابتهج وقال: يا بني أنت يجب أن تكون طالب علم، وشجعه على ذلك، ومضى به إلى جامع بني أمية، وضمَّه إلى حلقة الشيخ محمد صالح الفرفور، ثم مضى به إلى المدرسة الكاملية؛ ليقرأ على الشيخ محمود فايز الديرعطاني.

لزم الشيخ معلمه سعيد الأحمر يتعلم منه مهنته، ويقرأ عليه في الفقه واللغة، ولم ينقطع في أثناء ذلك عن حلقات العلم، يحضرها بعد صلاة الفجر، وعقب صلاتي المغرب والعشاء. ومع انصرام خمس سنوات من المواظبة افتتح شيخنا لنفسه محلاً للساعات، بعد أن مهر في إصلاحها، واكتسب صنعتها.

طلبه لعلم الحديث وتحصيله

كان المشايخ المدرسون في الجامع الأموي كثيري الاعتماد على كتاب الحافظ السيوطي «الجامع الصغير»، يروون أحاديثه، ويستشهدون بها، وقد حُبب إلى الشيخ الرجوع إلى كتاب «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» للحافظ المناوي، يراجع فيه أحكامه على الأحاديث التي أوردها السيوطي، وقد أحزن الشيخ وأمضَّه ما كان يراه من كثرة استشهاد المشايخ والخطباء بالأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة، ومن هنا تحفز لحفظ الأحاديث الصحيحة، ونشرها وإشهارها.

كان صحيح الإمام مسلم أول كتاب من كتب السنة يقرؤه، ثم قرأ بعده صحيح البخاري، والسنن الأربعة.

وقد كلف بحفظ السنة النبوية، فكان ديدنه وهِجِّيراه حفظ عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة كل يوم، يعينه على ذلك ما أكرمه الله به من همة عالية، وحافظة واعية، ومضاء عقل، ونفاذ بصيرة، وكان حصاد ذلك كله المنزلة السامية التي تبوأها بين أهل العلم عامة، وأهل الحديث خاصة، حتى غدا أمة في الحفظ والرواية غير مزاحَم، يقر له بذلك المخالف قبل الموافق، وقد زادت محفوظاته من الأحاديث على عشرة آلاف حديث.

ومما تميز به الشيخ أيضًا: حفظ أسماء رواة السنة وأنسابهم، وحفظ تواريخ وفياتهم، وكان في ذلك آية قليل النظير.

وإن تعجب فعجب ما تراه من استحضار الشيخ للأحاديث النبوية، وسرعته في استخراجها من

www.ahlaltareekh.com

مظانها، حتى لتخال السنة ماثلة بين ناظريه، وما كان ليتأتى له هذا لولا إدمانُه النظر في كتب السنة الشريفة، وكثرة مدارستها.

عمله في البحث العلمي وتحقيق التراث

وكان من لطف الله به أن سنى له العمل وسهّله له فيما يرغب فيه، ويحرص عليه، فقد ترك العمل في مهنة الساعات وانضم - سنة ١٣٧٧هـ الموافق لعام ١٩٥٧م - إلى فريق البحث العلمي وتحقيق التراث بالمكتب الإسلامي لفضيلة شيخنا المجاهد زهير الشاويش حفظ الله مهجته، إلى جانب كوكبة من أعلام السنة والحديث والعلم في هذا العصر، منهم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رحمه الله، والشيخ شعيب الأرناؤوط، حفظه الله، والشيخ المربي الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، أنسأ الله في الخير أجله، والشيخ عبد القادر الحتاوي، رحمه الله، ويظن بعض طلاب العلم أن الشيخ عبد القادر شقيق للشيخ شعيب، وليس الأمر كذلك، بل هما أخوان في الله، وزميلا دراسة، وعمل، ودعوة.

استمر الشيخ في عمله هذا زهاء عشر سنوات كانت من أخصب سني عمره، أفاد منها إفادة كبيرة في معرفة كتب تراثنا الإسلامي في شتى علومه وفنونه، وأحكم فيها صنعة التحقيق العلمي إحكامًا، واضطلع فيها بتحقيق عدد كبير من الكتب العلمية الشرعية ومراجعتها، منفردًا ومشاركًا.

فمما شارك في تحقيقه الشيخ الألباني: «مشكاة المصابيح» للتبريزي، أما الشيخ شعيب فقد شاركه في تحقيق غير قليل من الكتب، منها: «روضة الطالبين» للإمام النووي، في الفقه الشافعي، و«الكافي» للإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي، في الفقه الحنبلي، و«زاد المسير في علم التفسير» للإمام ابن الجوزي.

وقد تولى الشيخ إدارة المكتب الإسلامي مدة من الزمن، في إبان غياب الشيخ زهير عن سورية؛ لظروف قاهرة. وبقي الشيخ متعاونًا مع المكتب الإسلامي حتى وافته منيته، وكان من آخر ما عمله للمكتب: إعادة تحقيق «شرح ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل» للسفاريني.

نتاجه العلمي

حُبب إلى الشيخ نشر تراث أسلاف أمتنا من العلماء الصالحين العاملين، وتحقيقها، والعناية بها، وكان يفضل تحقيق التراث على التأليف، وكان في تحقيقه صاحب رسالة، يرى أن غاية المحقق في عمله هي إخراج نص صحيح سليم، خال من شوائب التصحيف والتحريف والسقط، وأن أولى ما على المحقق القيام به: تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب، والحكم عليها صحة وضعفًا؛ لما في ذلك من نصح لطلاب العلم، ولجمهور المسلمين؛ لئلا يغتر امرؤ بحديث تتناقله ألسنة الخطباء، ورسول الله ﷺ منه بريء.

وقد أكثر الشيخ من التحقيق، حتى أربت كتبه المحققة على خمسين كتابًا، ومن أهم الكتب التي أخرجها:

«جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير الجزري، في خمسة عشر مجلدًا، و«مختصر منهاج

أطلق على نفسه في أوائل شبابه اسم: عبد القادر الأرناؤوط، وبه اشتهر بين الناس، وهو الاسم الذي يثبته على أغلفة كتبه وتحقيقاته. غير أن اسمه بقي في الأوراق الرسمية: قدري بن صوقل الأرناؤوط. أما نسبه العالي فهو: قدري بن صوقل بن عبدول بن سنان بلاكاي الأرناؤوط

www.ahlaltareekh.com

القاصدين»، و«لمعة الاعتقاد»، و«كتاب التوابين» لابن قدامة المقدسي، و«الأذكار»، و«التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي، و«مختصر شعب الإيمان» للبيهقي، و«الحكم الجديرة بالإذاعة» لابن رجب الحنبلي، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، و«الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة»، و«يقظة أولي الاعتبار بذكر الجنة والنار» لصديق حسن خان، و«كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» للحصني، و«الفتن والملاحم»، و«شمائل الرسول» لابن كثير، و«السنن والمبتدعات» للقشيري.

وكان للشيخ عناية خاصة بكتب شيخي الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فمما أخرجه لابن تيمية: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، و«المسائل الماردينية»، و«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، و«الكلم الطيب».

ومما أخرجه لابن القيم: «زاد المعاد في هدي خير العباد» بالاشتراك مع الشيخ شعيب، و«جِلاء الأفهام»، و«الوابل الصيب»، و«الفروسية»، و«عِدَة الصابرين»، و«فتاوى رسول الله ﷺ».

أما التأليف فقد تقدم الإلماع إلى عدم اهتمام الشيخ به، فلم يؤلف سوى رسالتين صغيرتين: الأولى بعنوان: «الوجيز في منهج السلف الصالح»، وهي على وجازتها عظيمة النفع في بيان الفرق بين المقلد والمتبع والمجتهد، وبيان وجوب اتباع الكتاب والسنة بمنهج سلفنا الصالح من أهل القرون الثلاثة الأولى، التي شهد لها رسول الله ﷺ بالخيرية. والرسالة الأخرى بعنوان: «وصايا نبوية»، اشتملت على خمسة أحاديث نبوية شريفة، اختارها الشيخ وشرحها شرحًا موجزًا مفيدًا، وهي من جوامع كلمه ﷺ، يوصي فيها أمته بما فيه فلاحهم ونجاحهم في الدارين.

كان للشيخ رحلات دعوية إلى عدد من دول الخليج يلقي فيها المحاضرات، ويلتقي فيها أهل العلم والفضل، إضافة إلى رحلاته المتتابعة إلى بلده كوسوفا وما حولها، لدعوة أهالي تلك البلاد إلى الدين القويم، وتبصيرهم بالعلم النافع، مستفيدًا من تمكنه من اللغة الألبانية

عمله في التعليم والوعظ

سلخ الشيخ من عمره المبارك أكثره بين المنابر والمحابر؛ مدرسًا ومحاضرًا وخطيبًا، وكان تولى الخطابة وهو في أوائل العقد الثالث، نحو سنة ١٣٦٩هـ الموافق لعام ١٩٤٨م، في جامع الأرناؤوط بحي الديوانية، حيث استوطنت الأسر اليوغسلافية المهاجرة، وكان الشيخ الألباني - رحمه الله - ممن يشهد خطبته، ويصلي خلفه، وقد استمر في هذا الجامع خطيبًا زهاء خمس عشرة سنة، ثم انتقل إلى جامع عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكان سعى في إنشائه مع بعض أهل الخير في حي القدم جنوب دمشق، وبقي فيه عقدًا كاملاً، ثم كُلِّف بالخطابة بجامع الإصلاح بحي الدحاديل، واستمر فيه أكثر من عشر سنين، لينتقل بعده إلى حي المزة غرب دمشق خطيبًا لجامع المحمدي، الذي استقطب آلاف المصلين، جلُّهم من شباب الصحوة وطلاب العلم، وكان الشيخ يعقد بعد كل خطبة درسًا عامًا، يجيب فيه عن أسئلة المستفتين، وقد كنت ممن شرفهم الله تعالى بحضور تلك الخطب والدروس والانتفاع بها سنوات، وما زال الشيخ خطيبًا لجامع المحمدي حتى صدر القرار بعزله من الخطابة، بعد ثماني سنوات قضاها فيه، وذلك

www.ahlaltareekh.com

سنة ١٤١٥هـ، وأَدَعُ الحديث للشيخ يخبرنا بقصة منعه من الخطابة، يقول: ألقيت في رأس السنة الميلادية خطبة قوية، نصحت فيها شباب المسلمين بعدم تقليد النصارى، وترك مجاراتهم في احتفالاتهم، وقد كان بعض شباب المسلمين - ولا حول ولا قوة إلا بالله - يشاركون النصارى في عيدهم، ويشربون معهم الخمر، ويراقصون نساءهم .. فناديتهم من على المنبر: أن اتقوا الله، وذروا ما أنتم عليه من متابعة للنصارى، وأوردت في ذلك بعض الآيات فيهم، كقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾. البقرة:١٢٠. ومن هنا قيل: إن هذا الشيخ يثير النُّعَرات الطائفية، ويدعو إليها، وكان قرارُ المنع.

كان الشيخ يتقي الله في خطبه، فيولي الخطبة حقها من التحضير وحسن الإلقاء؛ أداء لأمانة المنبر التي ضيعها اليوم كثير من الخطباء، وأداء لحق المستمعين الذين قدموا إلى جامعه من كل صَوْب، وكان - رحمه الله - خطيبًا مُفوَّهًا مِصْقعًا، أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر، صادرًا في ذلك عن علم غزير، وفكر سديد، وبيان مشرق، وحمية لدين الله جياشة، وقد أحسن الله إليه بأن وهبه قدرة على التأثير عظيمة، فإذا ما انطلق في خطبته رأيت الناس قد تعلقت به أبصارهم، وكأن على رؤوسهم الطير.

وكان الغالب على خطب الشيخ أن يبدأها بسرد حديث نبوي شريف، مع ذكر الصحابي راوي الحديث، والأئمة المخرجين، ثم يترجم بإيجاز للصحابي والمخرجين، ثم يشرع في تفسير الحديث، واستنباط الفوائد والعبر منه، يدير الخطبة كلها عليه، مستشهدًا بعشرات الآيات والأحاديث الداعمة للفكرة، لا يذكر حديثًا منها إلا مخرَّجًا.

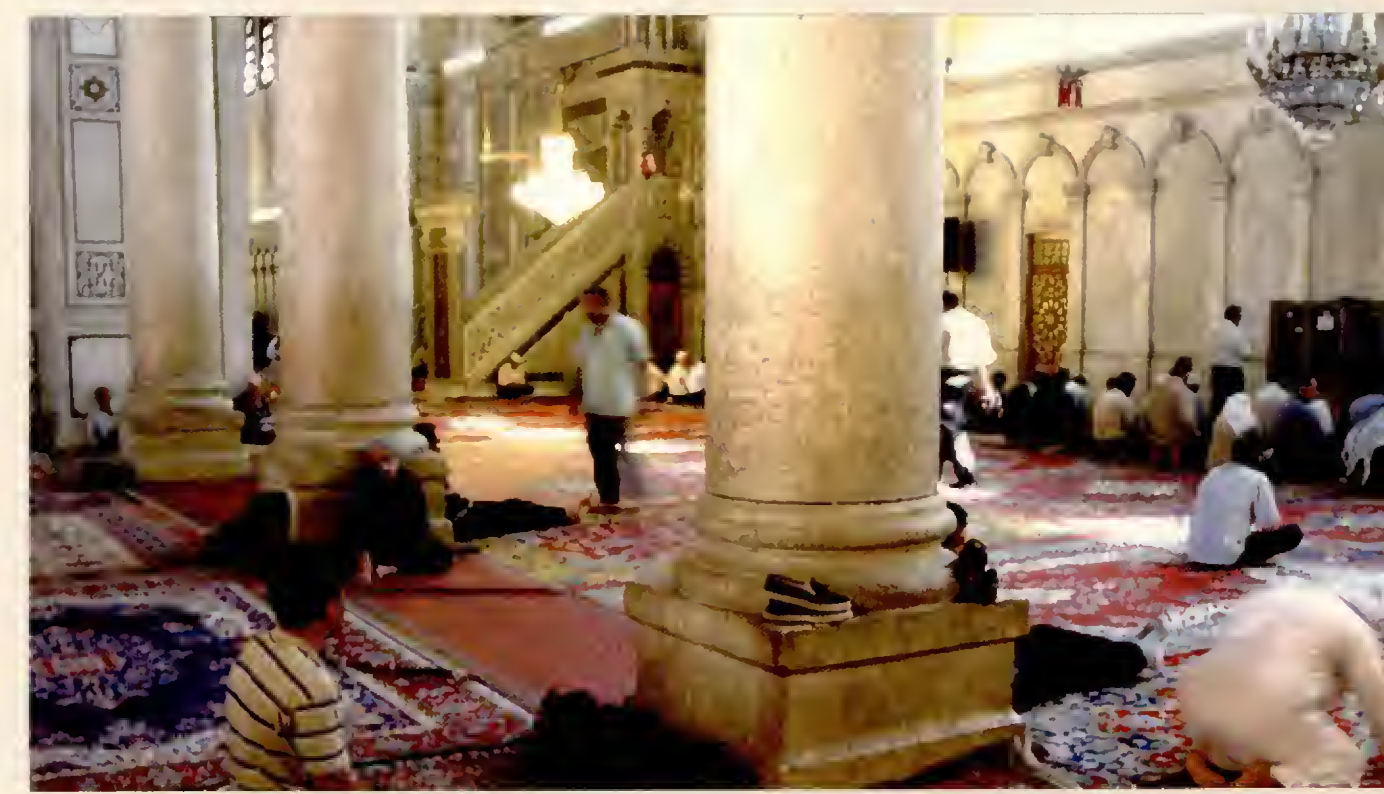
أما التعليم والتدريس فقد ولج ميدانه في وقت مبكر أيضًا، فقد كان انتُدب للتدريس في المدرسة الابتدائية التي تخرج فيها، وهي مدرسة الإسعاف الخيري، في نحو سنة ١٣٧٣هـ، يدرس فيها القرآن والتجويد وبعض العلوم الأخرى، وفيها تجدد لقاؤه بشيخه صبحي العطار، الذي فرح فرحًا عظيمًا بتلميذ الأمس الصغير، الذي غدا زميله في التدريس.

وفي سنة ١٣٨١هـ تحول الشيخ إلى المعهد العربي الإسلامي، مدرسًا للقرآن والفقه، واستمر فيه زمنًا، ثم انتقل إلى معهد الأمينية، الذي سمِّي فيما بعد: المعهد الشرعي لطلاب العلوم الإسلامية، ثم أطلق عليه اسم: معهد الشيخ بدر الدين الحسني، وبقي يعلم فيه إلى ما قبل سنتين تقريبًا، وكان الشيخ من المدرسين في دوراته الصيفية المكثفة

كان الغالب على خطب الشيخ أن يبدأها بسرد حديث نبوي شريف، مع ذكر الصحابي راوي الحديث، والأئمة المخرجين،ثم يشرع في تفسير الحديث، واستنباط الفوائد والعبر منه، يدير الخطبة كلها عليه، مستشهدًا بعشرات الآيات والأحاديث الداعمة للفكرة

مما تميز به الشيخ أيضًا: حفظ أسماء رواة السنة وأنسابهم، وحفظ تواريخ وفياتهم، وكان في ذلك آية قليل النظير، وإن تعجب فعجب ما تراه من استحضار الشيخ للأحاديث النبوية، وسرعته في استخراجها من مظانها، حتى لتخال السنة ماثلة بين ناظريه

www.ahlaltareekh.com



أحد مساجد دمشق

العظيمة النفع، وقد كنت من المنتسبين إليها، كما ذكرت في بداية المقال، وقرأنا على الشيخ فيها عددًا من الكتب، ففي الفقه الشافعي درَّسَنا كتاب الإمام الحصني «كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار»، وفي علم مصطلح الحديث قرأنا عليه كتاب الإمام النووي «إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق»، و«الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» للشيخ أحمد شاكر، و«قواعد التحديث» لجمال الدين القاسمي، و«تدريب الراوي» للسيوطي، و«شرح ثلاثيات الإمام أحمد» للسفاريني.

وكان للشيخ رحلات دعوية إلى عدد من دول الخليج يلقي فيها المحاضرات، ويلتقي فيها أهل العلم والفضل، إضافة إلى رحلاته المتتابعة إلى بلده كوسوفا وما حولها، التي انتدبه للسفر إليها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة، رحمه الله تعالى؛ لدعوة أهالي تلك البلاد إلى الدين القويم، وتبصيرهم بالعلم النافع، مستفيدًا من تمكنه من اللغة الألبانية.

فكـره ومنهـجه

لقد كان من نعم الله السابغة على الشيخ أن هيأ له في مطلع شبابه رجلاً كريم الخلال، حميد المناقب، ذا شخصية فذة في العلم والأخلاق، لا تحسبه إلا من جيل الصحابة الكرام، ممن تلمذوا لسيد الخلق ﷺ، تأخر به الزمان فعاش بيننا؛ ليكون مثالاً يقتفى، وقدوة تتبع، إنه فضيلة الشيخ المعمَّر بقية السلف الصالح العلامة المربي عبد الرحمن الباني، حفظه الله تعالى وأمتع به، وبارك في عمره، هيأه الله ليكون ناصحًا أمينًا للشاب عبد القادر

www.ahlaltareekh.com

الأرناؤوط، يأخذ بيده، ويدلّه على الجادة اللاحبة الآمنة. ولقد بهرت شخصية الباني فقيدنا، فأقبل عليه يغب من خلقه الرضي، ومن علمه النافع، وما أكثر ما سمعت - وسمع إخواني - شيخنا الأرناؤوط يثني على العلامة الباني، ويرجع إليه الفضل، بعد فضل الله سبحانه، في تعريفه بمنهج السلف الصالح، وبالفكر السلفي النقي! ولنصغ إليه ينبئنا خبره، يقول: كنت في شبابي خطيبًا مفوهًا، أعتلي المنبر وأخطب الناس بحماسة الشباب واندفاعهم، يكاد المسجد يَزَّلْزَل من قوة خطبتي، وارتفاع صوتي، وكنت أرتدي عمامة عالية كالأبراج، وجبّة سابغة أكمامها كالأخراج، فكانت نفسي تخدعني وتوسوس إلي بأن ليس على الأرض مثلي، وحيتما أفرغ أنزل من على المنبر وشعوري كمن خرج من معركة ضارية غالبًا منتصرًا، وإذا ما فرغت من الصلاة كان يقبل علي رجل مهذب وديع، يسلم علي بابتسامة عذبة آسرة، ويثني علي وعلى خطبتي، بعبارات تملأ نفسي سعادة وغبطة، ثم كان يستأذنني في إبداء بعض الملاحظات، بأسلوب في غاية الرقة، فكنت أرحب بملاحظاته، وأفتح لها قلبي قبل أذني، فيقول لي: يا بني، بارك الله فيك، وجزاك خيرًا، خطبتك رائعة ممتازة. ولكن ليتك لم تستشهد بالحديث الفلاني، فإنه موضوع، ولا ينبغي يا ولدي الاستشهاد بما لا يصح عن رسول الله ﷺ، وقد ورد عن رسولنا في معناه أحاديثُ صحيحة يحسن الاستشهاد بها، منها ... ويذكر لي بعضها، وهكذا كان بعد كل خطبة يسدي إليّ نصائح ذهبية، ينهاني فيها عن بدعة كنت بها جاهلاً، أو يلفتني إلى سنة مهجورة كنت عنها غافلاً، كل ذلك يقدمه بتواضع جم، يجبرني معه على الاستجابة، عن رضًا وسعادة، ولساني يلهج بالدعاء له، والشكر لصنيعه، ولقد كان لي في أسلوبه الحكيم أسوةً حسنة، جزاه الله عني خير الجزاء.

قلت: ولعل الشيخ الباني هو الذي دله على كتب شيخ الإسلام، رحمه الله، ورغّبه فيها، حتى استحكم حب شيخ الإسلام من قلبه، وارتضى طريقته القويمة، ومنهجه الحق، دينًا يعبد به ربه، ويزدلف به من رضوانه، وقد دفع ثمن حبه لشيخ الإسلام - ومطالعة كتبه وكتب تلميذه ابن القيم - غاليًا، فلم يكن يدري يومذاك أن النظر في كتب الشيخين جريمة لا يغفرها مشايخ عصره - الذين نشؤوا في أعطاف التصوف، ورضعوا معه العصبية والتقليد والجمود - ولا بد معها من محاكمة وعقوبة، وحقًا حوكم شيخنا لقراءته «الوابل الصيب» لابن القيم، وصدر الحكم بطرده من حلقة شيخه الفرفور! جزاء وفاقًا !! وطرد معه الشيخ شعيب إذ كان رفيقه فيها.

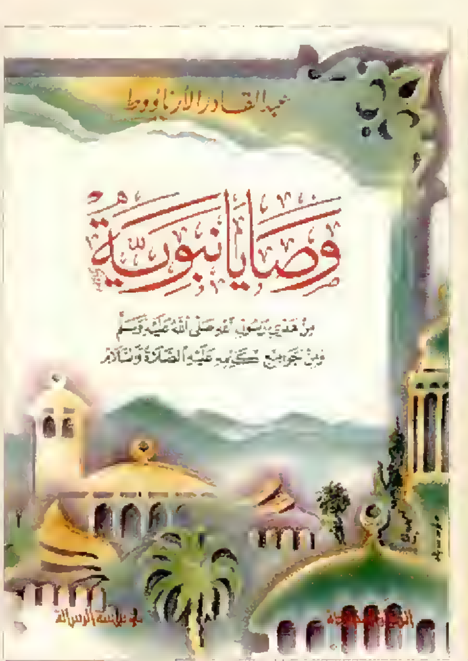
ويتلخص فكر الشيخ ومنهجه: باتباع سلف الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين، رضوان الله عليهم، واقتفاء خطاهم، والنسج على نولهم، في التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه الصحيحة، والعمل بمقتضاهما.

ومن تمام نعم الله عليه أن أوتي فطرة في طلب العلم سليمة، تدعوه إلى البحث عن الحق، والحرص على الصواب، من غير تقديس للأشخاص، أو تعصب لرأي إمام أو فقيه، أيًا كانت منزلته في العلم، أو مكانته في الفهم، رائده في ذلك قول الإمام مالك: «كلٌّ يؤخَذ من قوله ويُترَك إلا المعصوم ﷺ».

كان الشيخ - رحمه الله - عفَّ اللسان، واسع الصدر، حليمًا، لا يغتاب أحدًا، ولا يحب أن يغتاب في مجلسه أحد، وكان يُسأل عن بعض العلماء والدعاة المخالفين له في المنهج، فلا يجيب إلا بما يرضي الله، مقدمًا حسن الظن، والتماس العذر

www.ahlaltareekh.com







أغلفة بعض الكتب التي حققها وألفها الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

شمائله وسجاياه

للقول في أخلاق الشيخ ونعوته أفق رحب، وفضاء واسع، وحسبك أن تعلم أن كل من عرفه من قرب، واتصلت أسبابه بأسبابه، رآه صورة صادقة، وأنموذجًا فذًا، لما كان عليه سلف الأمة: رفعة خلق، وجمال عشرة، ولين جانب. ولا غرو، فقد عاش حياته بصحبة سيرة سيد الخلق ﷺ، وسير أصحابه شموس الهداية رضوان الله عليهم، فتخلَّق بأخلاقهم، وتحلَّى بشمائلهم، وإننا لنرجو له أن يكون يوم القيامة من أقرب الناس مجلسًا من رسول الله ﷺ؛ لتحقق أسباب ذلك فيه، فقد كان دمث الأخلاق، موطأ الأكناف، يألف الناس ويألفونه:

كان ملءَ العينِ خلقًا عاليًا ومُروءاتٍ وفضلاً ووَفا
جمعَ الأخلاقَ والعلمَ معًا فهما في بُردتَيه ائتَلَفا

وهو إلى هذا شديد في الحق، لا يماري فيه ولا يداري، بل يصدع بالنصح، غير هياب ولا متردد، وإذا ما انتهكت حرمة من حرم الله، تراه كالبركان ثائرًا فائرًا، يكاد يتميز من الحنق والغضب، يقول ما يرضي ربه، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وكان فيه شموخ وأنفة بينة، وعزة بالله ودينه عظيمة، يمقت النفاق والمنافقين، ويشنأ طرائقهم الملتوية، وتسلقهم على أكتاف الآخرين؛ لتحقيق منافعهم الخسيسة، والفوز بمآربهم الذميمة.

وكان الشيخ - رحمه الله - عفَّ اللسان، واسع الصدر، حليمًا، لا يغتاب أحدًا، ولا يحب أن يغتاب في مجلسه أحد. وكان يُسأل عن بعض العلماء والدعاة المخالفين له في المنهج، فلا يجيب إلا بما يرضي الله،

www.ahlaltareekh.com

مقدمًا حسن الظن، والتماس العذر.

ولقد حضرت في مجلسه ذات يوم شابًا من طلاب العلم ! بذل وُكْدَه في استدراج الشيخ للوقيعة بأحد العلماء، ولكن الشيخ خيب مسعاه، وأبى أن يفوه إلا بالخير، وما زال الطالب يناقش، ويجادل حتى ضاق أهل المجلس به ذرعًا، والشيخ صابر عليه، يدفع قوله بحكمة وخلق رضي.

أما كرم الشيخ وسخاء نفسه فالحديث عنهما ذو شجون، فقد كان الشيخ ذا يد حانية، رقيقًا عطوفًا، لا يرد سائلاً، ولا يقصر في عون، ما قدر على ذلك.

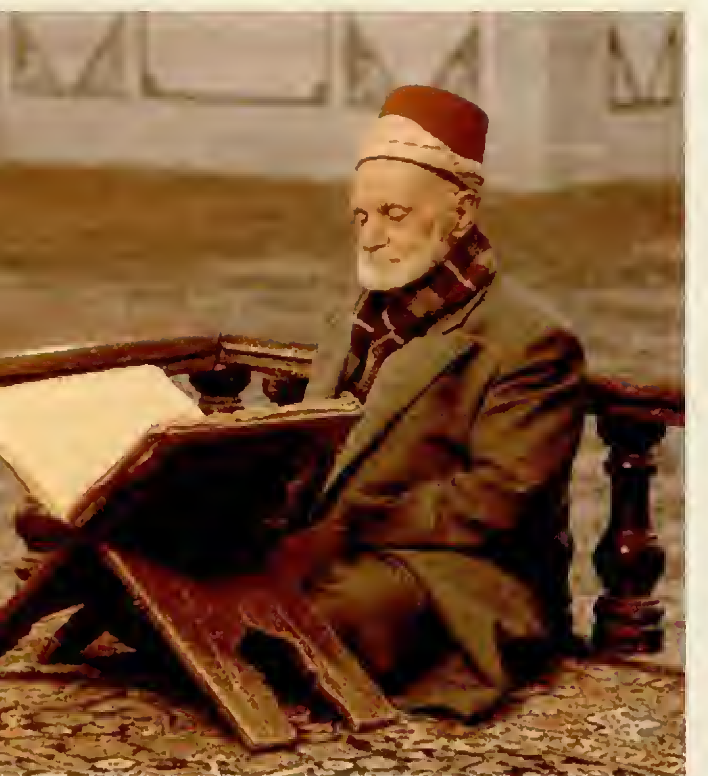
تَراهُ إذا ما جئتَهُ متَهَلِّلاً كأنَّكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائِلُه

وأذكر أنني زرته - أيام الدراسة الجامعية - مع عدد من زملائي الضريرين، فرقّ لهم جدًا، وأخذ يشجعهم على تحصيل العلم، ومواصلة الدراسة، ويعزيهم بمصابهم الذي ابتلاهم الله به، ويحثهم على الصبر على قدر الله، وروى لهم عددًا من الأحاديث الشريفة في فضيلة الصبر على فقد البصر، وما أعده الله للصابرين من أجر يوم الحساب، ولم يكتف الشيخ بهذا بل أمسك بأيديهم ودخل بهم إلى الحجرة المجاورة، ثم لم يلبثوا أن عادوا، ولما خرجنا من بيت الشيخ علمت أنه أعطى كل فرد منهم مبلغًا من المال؛ تطييبًا لخاطرهم، ومساعدة لهم.

بلغ الشيخ مرتبة من التواضع عالية - مع الحفاظ على العزة والهيبة - متأسيًا في ذلك برسول الله ﷺ، ينبسط في الحديث مع ضيوفه وزواره، يصغي إليهم - ولو كانوا من العامة - ويوليهم من اهتمامه وعنايته ما يشعر معه كل واحد منهم أنه هو رب المجلس، وكان من عادته المحببة التي يتألف بها قلوب العامة، أنه لا يدخل بيته زائر إلا وسأله عن اسمه ونسبه ومهنته، ومن أي بلد هو، مع ما في ذلك من مشقة وإرهاق لشيخ يحبو نحو الثمانين، ولكنه كان يتقرب إلى الله بإدخاله السعادة إلى قلوب زائريه.

ومن المواقف الدالة على تواضع الشيخ، وبغضه للشهرة والظهور: لما توفي العلامة الشيخ أحمد الشامي مفتي الحنابلة بدومة سنة ١٤١٤هـ، تدفقت جموع المشيعين من دمشق ودومة بالآلاف، وتجمعوا عند بيت الشيخ أحمد ينتظرون خروج الجنازة، وكنت فيمن حضر فرأيت شيخنا الأرناؤوط بين الجموع متنحيًا جانبًا وهو يذكر الله، فذهبت إليه مسلمًا، وبقيت معه نتبادل بعض الأحاديث، وكان أحد المشايخ قد تولى تنظيم الجنازة، فكان يصيح بالجموع يدعوهم إلى التزام السنة في الجنازة إنفاذًا لوصية الشيخ، ثم طلب من العلماء

أحد الشيوخ وهو يتلو القرآن



www.ahlaltareekh.com



منظر عام لمدينة دمشق

والمشايخ التقدم ليسيروا في مقدمة المشيعين، وكرر النداء مرات، والشيخ لا يبرح مكانه، فقلت له: يا شيخنا ألا تتقدم إلى الأمام؟! فأجابني: شيخي هو ينادي أهل العلم والمشايخ، وأنا طالب علم صغير! ثم قال: تعرف جامع دومة الكبير الذي سيصلَّى فيه على الشيخ؟ فقلت له: نعم، فوضع يده في يدي، وقال: هلم بنا إليه قبل أن تحول بيننا وبينه هذه الجموع، ومضينا إليه سالكين بُنيَّات الطريق، متجنبين الجموع المتدافعة.

وكان الشيخ عظيم الوفاء لأصحاب الأيادي البيض عليه، وحتى شيخُه محمد صالح الفرفور الذي طرده من حلقته لقراءته في كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم فإنه كان يذكره بالخير دائمًا، ويدعو الله له بالرحمة والمغفرة، بل كان يقول: لقد تعلمت منه مخافة الله عز وجل.

ومن الوفاء لذكرى شيخه وللمعهد الشرعي الذي أسسه، وهو معهد الفتح الإسلامي: أهدى الشيخ قبيل وفاته نصف مكتبته العامرة الغنية إلى مكتبة المعهد؛ لتكون وقفًا على طلاب العلم الشرعي، وقد ختمت الكتب كلها بالعبارة التالية: (صدقة جارية لطلاب العلم، تقديم: عبد القادر الأرناؤوط، رجاء دعوة صالحة له ولزوجته وأولاده).

وفاته وجنازته

فجر يوم الجمعة، الثالث عشر من شوال، من هذه السنة ١٤٢٥هـ ، (الرابع عشر بتاريخ المملكة؛ لاختلاف رؤية الهلال)، قضى الله تعالى قضاءه الحقَّ بوفاة الشيخ أبي محمود، وهو أوفر ما يكون نشاطًا وصحة، عن ثمان وسبعين سنة قضاها في ميادين العلم والتعليم، والنصح والتربية، فارسًا من فرسانها غير مدافَع.

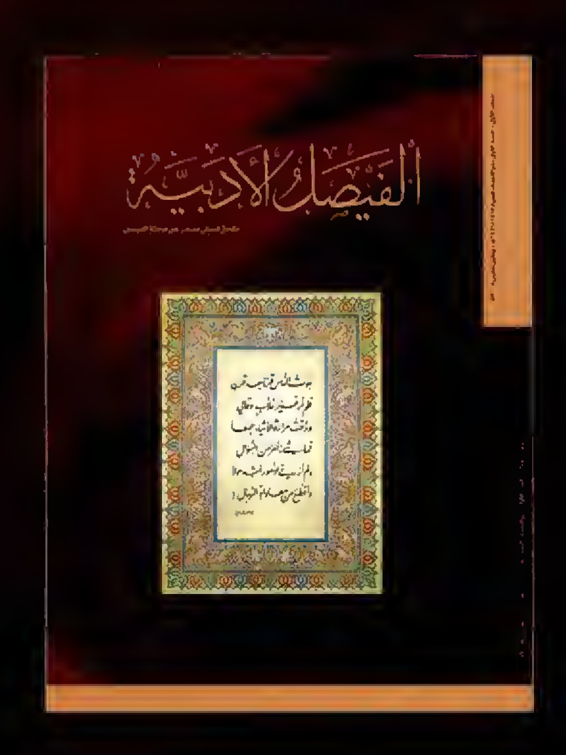
وفي مشهد مهيب خرج آلاف المشيعين من العلماء والعامة تجللهم الأحزان إلى جامع الشيخ زين العابدين التونسي بحي الميدان؛ لأداء حق الشيخ الجليل عليهم، وتقدم ولده الكبير محمود للصلاة عليه عقب صلاة الجمعة، وكان خطيب الجامع فضيلة شيخ قراء الشام محمد كريم راجح ألقى خطبة مؤثرة بكى فيها، وأبكى، مشيدًا بمناقب فقيد الأمة، ومنوِّهًا بعلمه وفقهه ونبل أخلاقه.

ثم ووري الشيخ في مثواه الأخير من دار الدنيا في مقبرة الحقلة بحي الميدان، لتطوى صفحة جديدة من صفحات العلم والدعوة والإرشاد، رحم الله الشيخ رحمة واسعة، وجعل قبره روضة من رياض الجنة، وأنزله يوم القيامة منازل الشهداء والصديقين، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: لله ما أعطى، وله ما أخذ، وكل شيء عنده بأجل، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

www.ahlaltareekh.com

صدر العدد الأول

من ...



يطلب من دار الفيصل الثقافية - ص. ب: (٣) الرياض ١١٤١١

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٠٨٥٧ - ناسوخ ٤٦٤٧٨٥١



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤٢) ذو الحجّة ١٤٢٥هـ ـ يناير/ فبراير٢٠٠٥م.

الفائز الأول. نجاة عبده ناصر السروري ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثاني: عبدالرحمن يوسف جقلان ـ حريتان ـ سورية.
الفائز الثالث: ياسر محمد محمد علي ـ بورسعيد ـ مصر.
الفائز الرابع: منصورة شريف محمد ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الخامس: فاطمة مهدي علي ـ المنامة ـ البحرين.
الفائز السادس: طارق ساطع الطباع ـ الرياض ـ السعودية.
الفائز السابع: ماجدة حسن رضوان ـ بورسعيد ـ مصر.
الفائز الثامن: عبدالفتاح عبدالجليل منصور ـ صنعاء ـ اليمن.

حلّ مسابقة العدد (٣٤٢)

١- المربي الألماني هو فريدرتش ولهلم أوغست.
٢- الملاّح هو: أحمد بن ماجد.
٣- مؤلّف ملحمة «رينالدو» هو توركواتو تاسو.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٥)
أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) المُخصَّص كتاب تراثي شهير، اذكر اسم مؤلفه؟

(٢) اذكر اسم مكتشف عنصر الهيليوم؟

(٣) من أول من تولّى الأمانة العامة للأمم المتحدة، وما جنسيته؟

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

www.ahlaltareekh.com

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

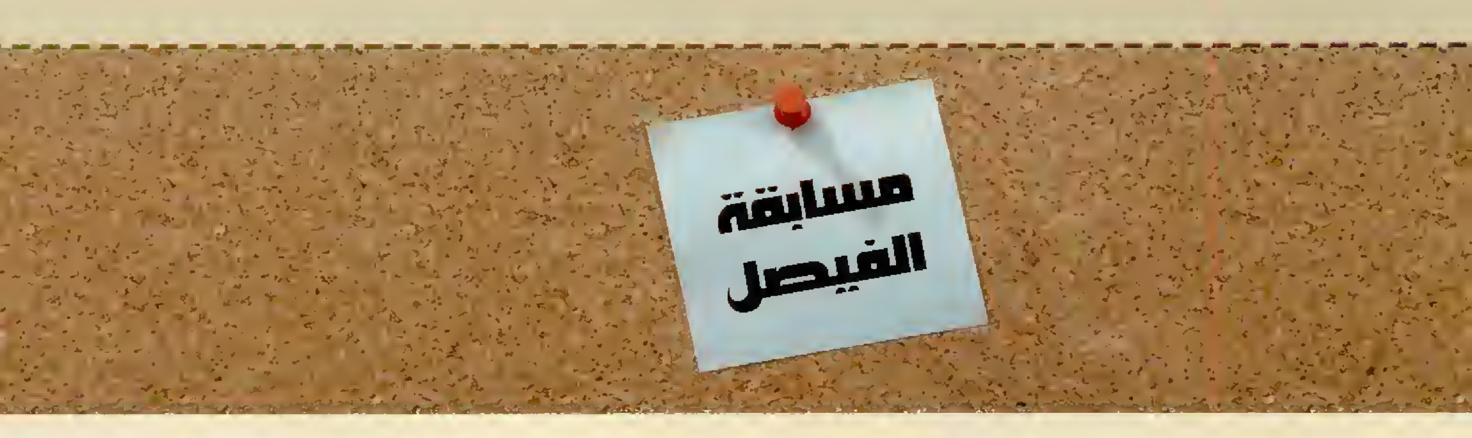
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة. ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

www.ahlaltareekh.com

الملف الثقافي



- رحيل شوقي ضيف، والشاعرة اليابانية ساداكو كوريهارا
- ديوان مجهول لفدوى طوقان، ورواية غير منشورة لألكسندر دوما
- مخطوطات الأزهر على الإنترنت
- الطيب صالح يفوز بجائزة الإبداع العربي
- جائزة تونسية للدراسات الإسلامية

●● خاتمة المطاف: أبو العلاء المعري والجديد من تراثه

www.ahlaltareekh.com



رحيل شوقي ضيف

فقدت اللغة العربية في العاشر من مارس/آذار الماضي أحد أهم شيوخها وعشاقها، الذين أفنوا حياتهم في دراستها، وسبر أغوارها، والدفاع عنها، هو الدكتور شوقي ضيف عن عمر يناهز ٩٥ عامًا على أثر إصابته بمضاعفات مرض الالتهاب الرئوي الذي عانى منه طويلاً.

ولد شوقي ضيف في قرية بجوار مدينة دمياط عام ١٩١٠م، ودخل الكتّاب في قريته، فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ سورًا من القرآن، ثم انتقلت أسرته، وهو في التاسعة من عمره، إلى مدينة دمياط، وألحقه أبوه بالكتّاب لحفظ القرآن الكريم، فحفظه في أقل من عام، ثم انتظم وهو في سن العاشرة بمعهد دمياط الديني، ونال منه الشهادة الابتدائية، وانتقل بعد ذلك إلى معهد الزقازيق الديني، وأمضى فيه سنتين، ثم التحق بدار العلوم، وأمضى فيها أيضًا سنتين حصل في نهايتهما على الشهادة الثانوية، وتحول بعدها إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة القاهرة، وعني بتعلم اللغتين: الإنجليزية والفرنسية، وتخرّج في القسم متفوقًا على زملائه، وعيّن معيدًا بالقسم.

ونال درجة الماجستير بدرجة الشرف، وكان موضوعها النقد الأدبي في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وأشرف عليها الدكتور أحمد أمين، كما أشرف أستاذه الدكتور طه حسين على رسالته لنيل درجة الدكتوراه. ونالها بدرجة الشرف أيضًا، إذ حاول فيها اكتشاف المذاهب الفنية للشعراء العرب منذ الجاهلية إلى العصر الحديث، وطبعت باسم «الفن ومذاهبه في الشعر العربي»، وما زالت هي المرجع الأساسي في هذا الموضوع حتى اليوم، وأعيدت طباعتها خمس عشرة مرة.

وأغنى شوقي ضيف المكتبة العربية بعدد كبير من المؤلفات، خاصة في مجال الدراسات العربية والإسلامية، وتاريخ الأدب العربي، تجاوزت الخمسين، من أهمها: «الفن ومذاهبه في النثر العربي»، و«الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية»، و«التطور والتجديد في الشعر الأموي»، و«دراسات في الشعر العربي المعاصر»، و«شوقي شاعر العصر الحديث»، و«ابن زيدون الشاعر الأندلسي»، و«الأدب العربي المعاصر في مصر»، و«الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي»، و«في النقد الأدبي».

كما كتب عنه عدد من المؤلفات، منها: «شوقي ضيف: رائد الدراسة الأدبية» للدكتور عبدالعزيز الدسوقي، و«شوقي ضيف: سيرة وتحية» للدكتور طه وادي، و«قراءة أولية في كتابات شوقي ضيف» للأستاذ أحمد يوسف علي، وترجمة في المجلد الأول من دائرة معارف الأدب العربي التي تصدر في لندن ونيويورك، وغيرها.

وكانت له مشاركات أدبية وعلمية داخل مصر وخارجها، كما شغل عددًا من المناصب العلمية، إذ كان عضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ورئيسًا له منذ عام ١٩٩٦م حتى وفاته، وعضو في المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، وعضوًا في المجمع العلمي المصري، وعضوًا شرف في مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو شرف في المجمع العلمي العراقي.

ونال الموسوعي الراحل عددًا كبيرًا من الميداليات والأوسمة والجوائز، منها: جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩م، وجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام ١٩٨٣م.



www.ahlaltareekh.com

صدور موسوعة أوائل الإصدارات الإعلامية

صدر حديثًا عن دار السويلم في الرياض كتاب «موسوعة أوائل الإصدارات الإعلامية والثقافية العربية» التي تتكون من أربعة أجزاء، للكاتب إبراهيم بن عبدالعزيزالسويلم، وتحتوي هذه الموسوعة على إيضاح وتحديد شامل للعدد الأول للإصدارات الإعلامية والثقافية، على اختلاف مسمياتها من صحف ومجلات ونشرات، سواء أكانت هذه الإصدارات حكومية أم فردية أم تعود إلى مؤسسات صحفية أو تجارية أو أسرية، وغير ذلك من يومية أو أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية، محتجبة عن الصدور، أو ما زالت تصدر لمناسبات مختلفة المهام والأهداف.

ولا تقدم هذه الموسوعة دراسة لما احتوته من أعداد، بل هي مجرد محاولة أولية «بيبليوجرافية» لحصر مجموعة من تلك الإصدارات الأوائل فقط قديمها وحديثها، وتوثيقها، وإيضاح معلومات عن بدء تواريخ إصدارها، وأسماء العاملين في التحرير، وجهات إصدارها، ومقتطفات مما جاء في كلمة التحرير عن دواعي الإصدار.

واقتصر الجزء الأول من الموسوعة على إصدارات المملكة العربية السعودية للفترة من بداية تاريخ إصدار أول جريدة رسمية للدولة السعودية، وهي جريدة أم القرى في يوم الجمعة بتاريخ ١٥جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ الموافق١٢ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٤م في عهد الملك الموحد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - حتى الوقت الراهن، ويضم هذا الجزء بين دفتيه توثيق «٨٥٥» عدداً من أول هذه الإصدارات.

وجاء الجزء الثاني عن «الإصدارات الخاصة بسلطنة عمان»، وثّق فيه المؤلف لنحو ستين صحيفة ومجلة ونشرة، وأورد المؤلف في خاتمة هذا الجزء قائمة ب «بعض الإصدارت المطلوب إحضارها»؛ حتى يتمكن من إكمال الجزء الثاني من هذا العمل، وتبلغ هذه الإصدارات المطلوبة نحو ٢٧ إصداراً. وجاء الإصدار في ٧٩ صفحة.

وكان الجزء الثالث من هذه الموسوعة عن «الإصدارات الخاصة بدولة قطر»، الذي لم يختلف عن سابقيه، من حيث التناول والتعريف بالإصدارات التي تمكن المؤلف من الحصول عليها، وختم كذلك بطلب عدد من الإصدارات بلغت ٤٤ إصداراً، لم يستطع الحصول عليها، ويتمنى أن يزود بها؛ حتى يتمكن من إكمال هذا العمل. وجاء الجزء في ١١٤ صفحة.

وختم المؤلف بالجزء الرابع، وكان عن «إصدارات مملكة البحرين»، وجاء في أربعة أبواب، أورد في الأول «فهارس بأسماء الإصدارات من المجلات»، وجاء في الثاني «أسماء إصدارات الجرائد والصحف»، وفي الثالث «أسماء الإصدارات من النشرات»، واقتصر الرابع على «الفهارس». وختم أيضًا بعدد من أوائل الإصدارات المطلوب إحضارها لإكمال هذا العمل، وتبلغ الإصدارات المطلوبة ٢١ إصداراً. وجاء الجزء في ١٤٤ صفحة.

كما وعد المؤلف أن تتواصل السلسلة لتشمل قريبًا إصدارات كل من: دولة الإمارات العربية، ودولة الكويت، والجمهورية اليمنية.



www.ahlaltareekh.com



الطيب صالح

الطيب صالح يفوز بجائزة الإبداع العربي

فاز الروائي السوداني الطيب صالح بجائزة «ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي العربي»، الذي نظمه مؤخرًا المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، تحت عنوان «الرواية والتاريخ»، في الفترة من ٢٦ فبراير/شباط إلى ٢ مارس/آذار الماضي. وحملت الجائزة هذا العام اسم الروائي السعودي الراحل عبدالرحمن منيف، وأعلن رئيس لجنة التحكيم إدوارد الخراط استحقاق الطيب صالح الفوز بهذه الجائزة بوصفه مبدعًا عربيًا مرموقًا، جاءت كتاباته كفتح في عالم الإبداع الروائي العربي، فضلاً عن تأثيره في ذائقة أكثر من جيل في مصر وسائر الأقطار العربية، وقد تداول هذا العام عدد من الأسماء للفوز بهذه الجائزة، وانحصرت المنافسة أخيرًا بين اسمين هما الطيب صالح، وإبراهيم الكوني. وجاء فوز الروائي السوداني بهذه الجائزة متزامنًا مع إعلان الخرطوم عاصمة للثقافة العربية هذا العام؛ مما أضفى عليها طابعًا احتفاليًا.

وكان الروائي السعودي الراحل عبدالرحمن منيف قد فاز بهذه الجائزة، في دورتها الأولى عام ١٩٩٨م، بينما فاز بها في دورتها الثانية الروائي المصري صنع الله إبراهيم الذي رفض تسلم الجائزة، وكانت ذريعته أن الجائزة تمنحها «حكومة لا تملك صدقية منحها»، أما الطيب صالح فقبل الجائزة، وعلّق على ذلك بقوله: «أما وقد جاءت الجائزة من مصر فأهلاً بها، ومن الحماقة أن يرفض إنسان مثل هذه الجائزة». وأضاف: «من دواعي سعادتي أن تمنح هذه الجائزة الكبيرة إلى كاتب سوداني يمثل بلدًا حُرم من أمور وخيرات كثيرة».

وتعد هذه الجائزة، التي تبلغ قيمتها المادية نحو ١٧ ألف دولار أمريكي، جائزة معنوية أكثر مما هي مادية، لكونها تمنح في أهم مؤتمر للرواية العربية، ينظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر.

ولد الطيب صالح عام ١٩٢٩م. وتلقى تعليمه في وادي سيدنا، وفي كلية العلوم في الخرطوم، وامتهن التدريس، ثم عمل بالقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية في لندن، وله عدد من المؤلفات منها: «عرس الزين»، و«موسم الهجرة إلى الشمال»، و«دومة ود حامد»، و«نخلة على الجدول»، وغيرها.

مخطوطات الأزهر على الإنترنت

يجري العمل حاليًا في الأزهر الشريف لعرض آلاف المخطوطات، التي يرجع تاريخها إلى مئات السنين، على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» للباحثين في مختلف أنحاء العالم في شهر مايو/أيار القادم، بعد أن ظلت هذ المخطوطات النادرة حبيسة الأدراج والمخازن طوال السنوات الماضية، وسوف تعاد هذه المخطوطات إلى أماكنها، وتحفظ بعد أن يتم نقلها إلى الشكل الإلكتروني. وتهدف هذه الخطوة إلى المحافظة على أصول هذا التراث النادر الذي يمكن أن يتأثر من كثرة الاستعمال أو السرقة.

وتضم مكتبة الأزهر الشريف نحو ٤٢ ألف مخطوطة نادرة في مختلف العلوم، كالهندسة والطب والعلوم

www.ahlaltareekh.com

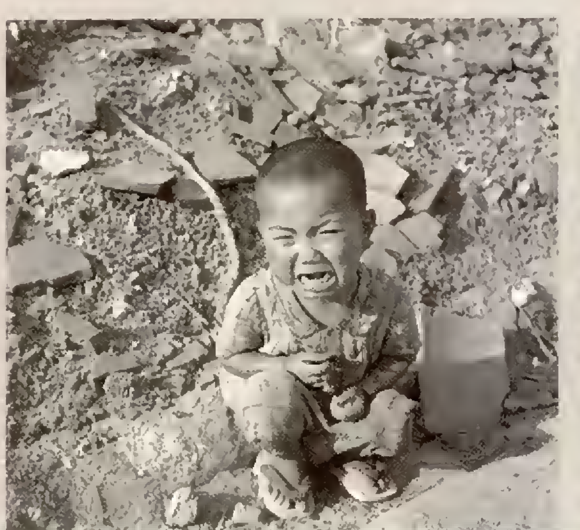
وفاة شاعرة هيروشيما

أعلنت وكالة الأنباء اليابانية «كيودو» - مؤخراً - عن نبأ وفاة الشاعرة اليابانية ساداكو كوريهارا عن عمر يناهز ٩٢ عاماً، وقد اشتهرت كوريهارا بتجسيدها مأساة إلقاء القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما عام ١٩٤٥م، حتى لقبت بـ «ضمير هيروشيما».

ولدت الشاعرة الراحلة عام ١٩١٢م، وكانت في العشرين من عمرها عندما ألقت القوات الأمريكية القنبلة على مسقط رأسها، وحولتها إلى جحيم لا يطاق، وتعد قصيدتها في وصف هذه الكارثة «سنجلب حياة جديدة»، التي تصف فيها تلاقي الموت والحياة من خلال قصة طفل يولد بعد لحظات من سقوط القنبلة على المدينة المنكوبة - من أهم قصائدها.

وقد جمعت أشعارها بين وصف الكارثة، وتمجيد الإنسانية، والأمل، كما تطرقت في كتاباتها إلى نقد السياسة اليابانية، والسياسة الأمريكية، وتناولت قضايا المرأة. ومن أشهر أعمالها «أن نقول هيروشيما»، و«البيض الأسود»





والفلك والرياضيات والتاريخ والجغرافيا والنحو، بالإضافة إلى آلاف من كتب التراث النادرة، التي لا يوجد لها مثيل إلا في الأزهر.

وقد صرّح الدكتور عبدالله الكرم - خبير البرمجيات الإماراتي، والمشرف الفني على هذا المشروع - أنه قد تم الانتهاء من معظم مراحل المشروع التي شملت تجارب التشغيل المختلفة، تمهيداً لتسليم إدارة الموقع بالكامل للأزهر الشريف.

ويجري تدريب مهندسي مكتبة الأزهر على تشغيل الموقع وإدارته بأنفسهم. وأضاف أنه ستتم ترجمة محتويات هذه الأصول، وعرضها على الموقع بعدة بلغات.

يشار إلى أن تكلفة هذا المشروع قد بلغت نحو خمسة ملايين دولار، تكفل بها ولي عهد دبي الشيخ محمد راشد آل مكتوم. وقد بدأ العمل فيه قبل أربع سنوات.

www.ahlaltareekh.com

آثار عراقية تعود

استطاعت منظمة رابطة الحفاظ على الآثار والتراث المنبثقة من الاتحاد العام لشباب العراق، وهي منظمة غير حكومية، استرجاع أكثر من ٦٠ قطعة أثرية ومخطوطة إسلامية تعود تواريخها إلى عمق الحضارة العراقية التي تمتد إلى أكثر من ثمانية آلاف عام. كذلك تمكنت المنظمة من العثور على أرشيف التلفاز الكويتي الذي نهب إبان الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠م، وكان مخبأ في أحد المخازن السرية التابعة لأجهزة النظام العراقي السابق.

وقال ساجد حطاب - رئيس الاتحاد العام لشباب العراق في مؤتمر صحافي عقده في بغداد: إن «رابطة الحفاظ على الآثار والتراث المنبثقة من الاتحاد نجحت في إعادة هذه الآثار واللقى المهمة، التي تمثل جانبًا من الحضارة البابلية والآشورية».

وأضاف حطاب: «وتم استرجاع مخطوطات إسلامية، وقطع أثرية نادرة، تضم عملات نقدية، وأباريق فخارية، وآنيات طينية، وفخاريات مزججة، وخوذًا عسكرية، وقطع أسلحة، وسيوفًا وخناجر، إضافة إلى قطع أخرى تمثل مختلف العصور التي مرّت بها حضارة العراق».

وأوضح حطاب أن الاتحاد، ومن خلال هذه الرابطة، التي تعدّ إحدى المنظمات المنضوية تحت لوائه «بادر إلى عرض هذه اللقى في تجربة تؤكد غيرة الشباب العراقي على تراثه وتاريخه»، وأكّد أن المعرض الذي أقيم في بغداد «يمثل ثمرة جهد بالتعاون مع الهيئة العراقية للآثار والتراث التابعة لوزارة الثقافة العراقية».



ديوان مجهول لفدوى طوقان

لو بيدي/لو أني أقدر أن أقلب هذا الكوكب/أن أفرغه من كل شرور الأرض/أن أقتلع جذور البغض/لو أني أقدر، لو بيدي/أن أقصي قابيل الثعلب/أقصيه إلى أبعد كوكب/أن أغسل بالماء الصافي/ إخوة يوسف/وأطهر أعماق الإخوة/من دنس الشر/لو بيدي/أن أمسح عن هذا الكوكب/بصمات الفقر/لو أني أقدر لو بيدي/أن أجتث جذور الظلم/وأجفف هذا الكوكب/من أنهار الدم/لو أني أملك لو بيدي/أن أرفع للإنسان المتعب/من درب الحيرة والأحزان/قنديل رخاء واطمئنان/أن أمنحه العيش الآمن ... /لو بيدي أن أحمي هذا الكوكب /من شر خيار صعب/لو بيدي أن أرفع عن هذا الكوكب/كابوس الحرب.

هذه المقاطع من قصيدة بعنوان «هذا الكوكب الأرضي» تتصدر ديوانًا مجهولاً للشاعرة الفلسطينية الراحلة فدوى طوقان، صدر حديثًا عن المكتب المصري للمطبوعات بالقاهرة بعنوان

www.ahlaltareekh.com

«قراءة المحذوف: قصائد لم تنشرها فدوى طوقان»، وصاحب الديوان دراسة للشاعر الفلسطيني المتوكل طه الذي حقق قصائد الديوان وأعدّها للنشر، وجاءت المقدمة، التي تجاوزت الخمسين صفحة بعنوان «فدوى طوقان بين الإشارة والعبارة»، أشار فيها طه إلى أن الشاعرة لم تمارس شيئًا غير كتابة الشعر، الذي تغذى بالفجائع والحرمان والموت والفراق والغضب المكبوت والثورة الصامتة.

وبلغ عدد القصائد في الديوان سبع عشرة قصيدة، وردت في الكتاب محققة وبصورة عنها بخط الشاعرة، والقصائد هي: «هذا الكوكب الأرضي»، و«جدلية الحب والبغض»، و«أقنوم الشر»، و«اعتذار الزمان»، و«ومضة»، و«توأم الثور»، و«حصاد»، و«دعيّ الشعر»، و«هواء»، و«دهشة وغبطة»، و«اليوم قبل الغد»، و«أين هم»، و«تحية صباحية»، و«ملء قلبي»، و«متعجرف»، و«نفضت يدي»، و«آخر الكلام».

وقد حمل الغلاف الخلفي للديوان كلمة منسوبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق موشي ديان، يشدد فيها على أن شعر طوقان يشعل الحقد ضد مواطنيه، ويقول فيها: «إن هذه الفدوى طوقان لم يعد لها عمل إلا إشعال نار الحقد ضدنا، وهي لا تكف عن التجوال في البلدان، وتنظيم القراءات الشعرية التي تدعو إلى الفوضى وتحدي النظام. إن هذا كله يجب أن يتوقف».

ولدت الشاعرة الراحلة في مدينة نابلس عام ١٩١٧م، واعتمدت على نفسها في تكوين ذاتها ثقافيًا. وعاونها شقيقها الشاعر إبراهيم طوقان في الانطلاق إلى فضاء الشعر، وحررها من ضيق حياة عادية كان يمكن أن تعيشها.

وأصدرت ثمانية دواوين شعرية، هي: «وحدي مع الأيام»، و«وجدتها»، و«أعطنا حباً»، و«أمام الباب المغلق»، و«الليل والفرسان»، و«على قمة الدنيا وحيدًا»، و«تموز والشيء الآخر»، و«اللحن الأخير»، بالإضافة إلى كتابين في السيرة الذاتية هما: «رحلة جبلية .. رحلة صعبة»، و«الرحلة الأصعب».

رواية جديدة لألكسندر دوما

أعلنت صحيفة لوفيغارو الفرنسية مؤخرًا عن ظهور رواية جديدة للكاتب الفرنسي المعروف الكسندر دوما، مؤلف رواية «الفرسان الثلاثة»، بعنوان «فارس سانت هيرمين» في المكتبة الوطنية الفرنسية.

وتمثل هذه الرواية، التي نشرت على شكل مسلسل في صحيفة لو مونيتور يونيفرسال عام ١٨٦٩م، الجزء المفقود من ثلاثية روائية لدوما تتضمن روايتي «رفاق جيهو» و«الأبيض والأزرق»، ومن المقرر أن تصدر هذه الرواية في ٩٠٠ صفحة في شهر يونيو/حزيران القادم.

وذكر كلود شوب الباحث المتخصص في دراسة أدب دوما أنه اهتدى إلى وجود هذه الرواية أول مرة حينما كان يعدّ بحثًا عام ١٩٨٨م.



www.ahlaltareekh.com



جائزة تونسية للدراسات الإسلامية

أعلنت وزارة الشؤون الدينية التونسية عن انطلاقة «جائزة رئيس الجمهورية العالمية للدراسات الإسلامية الرئيس زين العابدين بن علي»، وتبلغ قيمتها ٢٠٠٠٠ دينار تونسي، تمنح سنويًا إلى كل شخص مادي أو معنوي تميّز على الصعيد العالمي في إبراز ودعم الصورة المشرقة للدين الإسلامي في العالم، ومبادئه السمحة التي ترتكز على الاعتدال والتكافل والتآزر؛ وذلك بهدف إثراء الفكر الاجتهادي المؤمن بالحوار والتفتح، والرافض للانغلاق والتحجّر.

ومن شروط الترشيح لهذه الجائزة أن يكون البحث أصيلاً ومنشورًا، ولا تقل صفحاته عن ٢٥٠ صفحة، ومحررًا باللغة العربية، أو بإحدى اللغات العالمية في المجال المشار إليه، ولم تمض على طبعته الأولى سنتان عند تقديمه، ولا يقبل أيّ عمل يكون رسالة جامعية أو تحقيقًا لمخطوط، أو حاصلاً على

أعمال فنية مسروقة

تمكن اللصوص مؤخرًا من سرقة ثلاثة أعمال فنية للمصور النرويجي أدفار مونك من فندق في جنوب البلاد، لتزداد بذلك أعماله المسروقة، إذ تعرض هذا الرسام من قبل لسرقة عدد من لوحاته، مثل: لوحته المشهورة «الصرخة»، التي تعد من أشهر أعماله، وهي تصور شخصية فزعة تحت سماء حمراء، وقد سرقت اللوحة من متحف مونك في العاصمة النرويجية أوسلو، في وضح النهار، أمام أعين عشرات السياح، كذلك سرقت لوحة أخرى، هي لوحة «الثوب الأزرق»، التي رسمها عام ١٩١٥م، وهي بالألوان المائية، بالإضافة إلى لوحات أخرى، منها: لوحة ذاتية، ولوحة للكاتب المسرحي والروائي السويدي أوغست سترندبيرغ.

وقد استطاعت الشرطة النرويجية استعادة ثلاث لوحات من هذه اللوحات المسروقة، منها اللوحة الذاتية للفنان نفسه، والأخرى هي «الثوب الأزرق»، وقد وجدت هذه اللوحات بحوزة عصابة من الشبان معروفة بارتكاب جرائم السرقة والسطو في النرويج، وقالت الشرطة إن اعتقالات تمت بحق عدد كبير من المتهمين، منهم باكستانيون ونرويجيون.

www.ahlaltareekh.com

جائزة أخرى. ويقدم البحث في خمس عشر نسخة.

ويتم الترشيح بتقديم طلب مرفوق بسيرة ذاتية تنصّ بالخصوص على نشاطه العلمي ومنشوراته، ومدى الإضافة التي حققها في إثراء الفكر الاجتهادي، ويرسل ملفّ الترشيح بالبريد المسجّل، أو الدولي بأسم السيد وزير الشؤون الدينية، في أجل أقصاه ٣٠ جوان/يونيو عام ٢٠٠٥م، على العنوان الآتي:

وزارة الشؤون الدينية: ٧٦ مكرّر، شارع باب البنات ١٠١٩ «القصبة» تونس، أو إلى سفارات الجمهورية التونسية في الخارج، أو إلى اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بوزارة التربية والتعليموسيتم الإعلان عن الفائز بهذه الجائزة خلال شهر رمضان سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م



دراسة علمية تؤكد الفقر المعلوماتي في العالم العربي

توصلت الباحثة المصرية الدكتورة سهير عبد الباسط، المتخصصة بعلوم المكتبات والمعلومات في جامعة القاهرة، إلى أن العرب فقراء معلوماتيًا، وطالبت بضرورة إنشاء منظمة عربية لصناعة المعلومات.

وأشارت، في دراسة أعدتها، إلى ندرة المؤسسات العربية المختصة بإعداد حاسوبات تستخدم شفرة، ولغات برمجة، وإعداد حزم، وبرامج، وقواعد بيانات عربية.

وقالت الباحثة: إن إنشاء منظمة عربية لصناعة المعلومات خطوة أولى في سبيل التحول إلى مجتمعات معلوماتية، وتكون من مهامها الدعوة إلى زيادة حجم الاستثمارات بهذه الصناعة، مشيرة إلى أن هناك نقصاً بأدوات أساسية، وعوامل مؤثرة في صناعة المعلومات وتقنياتها.

وبيّنت الدراسة أن عدم توافر الأيدي العاملة الضرورية لبناء تكنولوجيا المعلومات بالوطن العربي، وهجرة الكفاءات. وعدم توافر خطط شاملة ومنظمة للتدريب بهذا المجال، هي من أسباب وجود الفجوة.

وأكدت أن الدول العربية مهيأة بالإمكانات البشرية، ومواردها المالية، وتميزها الثقافي للاضطلاع بمهمة تجاوز هذه الفجوة، على الرغم من كل المعوقات الموجودة.



www.ahlaltareekh.com



إصـــدارات





الجمل، محمد عبدالمنعم/ قصور الحمراء: ديوان العمارة والنقوش العربية- الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ٣٤٩ص.

تثير قصور الحمراء في نفس كل من يشاهدها ذكريات المجد والفخار، إذ تمثل الحمراء بروائعها عهداً من الأمجاد والبطولات، أمجاد حضارية، وبطولات عسكرية سجلها التاريخ في هذه القصور الرائعة التي أصبحت متحفاً لا نظير له للعمارة والفنون الإسلامية في الأندلس.

يتضمن هذا الكتاب ستة فصول رئيسة، وتضمنت المقدمة عرضاً عاماً لموضوع البحث، مع دراسة نقدية لأهم المصادر والمراجع، إذ تناول الباحث الطراز المعماري الأندلسي وتطوره حتى عصر بني نصر، ثم عرض لمنشآت بني نصر بقصور الحمراء، وتاريخ إنشاء كل مجموعة منها، مع ترجمة لسلاطين بني نصر، ودراسة لمنشآتهم، وعرض لشعرائهم، ورجال العلم والأدب في دولتهم.

وقدم الفصل الثاني دراسة للخصائص الفنية للنقوش الكتابية في الأندلس وتطورها حتى عصر بني نصر، مع الحديث عن أهمية الخط العربي وانتشاره في الأندلس.

كما قدم الفصل الثالث دراسة وصفية للنقوش الكتابية التي تزدان بها قاعات الحمراء وبهاؤها وأبراجها، مع توضيح للأماكن التي تتركز فيها النقوش، وتصحيح الأخطاء في القراءات، وتتبع الباحث كل ما ورد عن تلك النقوش في المصادر العربية والمغربية والأندلسية المعاصرة والمتأخرة، خاصة الأدبية والتاريخية، إضافة إلى دواوين الشعراء التي تزين قصائدهم قصور الحمراء، منها ديوان ابن الجياب، وديوان ابن الخطيب، وديوان ابن زمرك.

وأفرد الفصل الرابع لدراسة الخصائص الفنية للنقوش الكوفية التي تزين قصور الحمراء، مع بيان ملامح تطورها وأنواعها، ومعظمها بالخط الكوفي المضفر أو المترابط، وخصص الفصل الخامس لدراسة الخصائص الفنية للنقوش المسجلة بالخطوط اللونية النسخ والثلث.

كما خصص الفصل السادس لدراسة مضمون النقوش الكتابية مع دراسة لشعار بني نصر (لا غالب إلا الله)، مع دراسة لبعض الشعارات والمعاني الرمزية لحروفها، ثم تطرق الباحث إلى الألقاب الواردة في النقوش، مقارناً بينها وبين الألقاب التي سبقت عصر بني نصر، والألقاب والشارات التي انتشرت في المشرق، واختتم الفصل بدراسة وصفية للعناصر الزخرفية المرتبطة بالنقوش، وتشمل زخارف نباتية وهندسية، ارتبطت بالنقوش الكتابية، مع توضيح القيمة الفنية

www.ahlaltareekh.com

والجمالية للنقوش الكتابية التي تزين جدران الحمراء.
وخلص الباحث إلى عدد من النتائج، وزود الكتاب بمجموعة من اللوحات والصور والأشكال التوضيحية، معظمها ينشر أول مرة في هذا البحث.

المطوع، إقبال عبدالعزيز/ الفقه السياسي للمرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة النبوية ـ الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ٢٤٢ص.
يلقي هذا الكتاب الضوء على الفقه السياسي للمرأة المسلمة من خلال الكتاب والسنة، وتناولت الباحثة هذا الموضوع لبيان مكانة المرأة في الإسلام، إذ أفردت مبحثًاعن حالة المرأة قبل ظهور الإسلام، ومكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وحقوق المرأة في الإسلام.
جاء الفصل الثاني عن الفقه السياسي للمرأة المسلمة من خلال حق تولي المرأة الوظائف العامة، وحكم تولي المرأة الإمامة العظمى، وترشيح المرأة وانتخابها، وحق المرأة في تولي الإفتاء، وحق المرأة في تولي الوزارة، وحق المرأة في تولي القضاء.
وخلصت الباحثة إلى عدد من النتائج أهمها:
ـ أن الإسلام أعطى المرأة المكانة والسيادة التي افتقدتها في الشرائع السابقة، فكرمها بنتًا، وزوجة، وأمًا، وأوصى بحسن عشرتها إلى أن توارى في التراب.
ـ وللمرأة حقوق وواجبات، مقارنة بأخيها الرجل، ومساواة به، اللهم إلا ما اقتضت طبيعتها وفطرتها الأنثوية، وهذا تشريف لها لا عيب فيها ولا نقص.
ـ اتفق جمهور أهل العلم على عدم جواز تولية المرأة الإمامة العظمى، بخلاف إمامتها في الصلاة، فأجاز بعضهم إمامتها لمثيلاتها من النساء.
ـ المرأة لا تتولى القضاء، ولا تصلح أن تكون قاضية لما في ذلك من مخالفة لما اقتضته الفطرة الإلهية لها، فالمرأة بطبيعتها عاطفية، طيبة، لا تستطيع أن تكون قاضية في مسائل لا يسعفها تكوينها في الوقوف عليها.
ـ افتاء السيدة عائشة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ للصحابة هو أكبر دليل على جواز أن تصبح المرأة مفتية.
ـ ترشيح المرأة وانتخابها أجازه بعض الفقهاء، إلا أن المؤلفة وضعت ضوابط شرعية أهمها: التزام اللباس الشرعي، وعدم الخلوة بينها وبين الرجل، وألا تسافر إلا مع ذي محرم، وألا يشغلها عملها عن وظيفتها الأساسية، وهي تربية الأولاد، والنظر في شؤون الزوج والمنزل، وأن تلتزم الأخلاق الإسلامية، وحسن التحاور والمحادثة.



www.ahlaltareekh.com



استيتة، سمير شريف/ اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج- إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ٧٣٩ص.

يمثل هذا الكتاب مدخلاً إلى العلوم اللسانية، التي تطورت ودخلت في كثير من جوانب الحياة العلمية والثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والتعليمية، فنشأت فروع جديدة من اللسانيات: لدراسة العلاقة بين اللغات الإنسانية وجوانب الحياة، فكان علم اللغة الاجتماعي والنفسي، وعلم اللغة الأنثروبولوجي، واللسانيات الحاسوبية، وانقسم الفرع من هذه العلوم إلى مجموعة أخرى، مثل: علم الأصوات الذي انقسم إلى مجموعة كبيرة، منها: علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات السمعي، والفيزيائي، والتشريحي، والعلاجي، والمقارن، والتقابلي، والعصبي.

يتضمن الكتاب ثلاثة أبواب رئيسة، خصص الأول للسانيات النظرية؛ إذ تناول الباحث الأصوات اللغوية، كما درس فيه وظيفة الأصوات، وتناول الصرف الوظيفي، ودرس النحو في الأنظار اللسانية الغربية المعاصرة، وخصص فصلاً للنحو التكاملي، كما أفرد فصلاً لدراسة الدلالة اللغوية.

وجاء الباب الثاني عن اللسانيات التطبيقية، وتناول فيه الباحث المعجمية الوظيفية، ولسانيات المصطلح، ودرس الترجمة ومعالم نظرية الترجمة، كما تناول مشكلات تعلم اللغة الأولى، ومشكلات تعلم اللغة الثانية، ودرس اللسانيات القانونية ووقف عند اللسانيات الحاسوبية.

وخصص الباب الثالث لدراسة البيئة اللسانية، من خلال دراسته البيئة التاريخية المقارنة، واللسانيات الجغرافية، واللسانيات التواصلية.



بيلي، لويس/ رحلة من الكويت إلى الرياض (عام ١٨٦٥م- ١٢٨١هـ)، تحقيق: أحمد أيبش - دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٩٠ص.

كانت رحلة الكولونيل لويس بيلي من الكويت إلى الرياض في ذروة قوة الدولة السعودية الثانية، قبيل وفاة الإمام فيصل - رحمه الله - بأشهر قليلة.

وتتميز هذه الرحلة بأهمية خاصة، ليس لمجرد كونها رحلة شاقة، بل بسبب الخلفية السياسية التي تنطوي عليها، وقد أشار بيلي إلى الهدف من رحلته التي كانت «غايتها إبعاد مشاعر العداء عن مخيلة الأمير فيصل، هذه المشاعر التي انطبعت في مخيلة سموه؛ من جراء أعمالنا لتحريم تجارة الرقيق على الشاطئ الشرقي لإفريقية ومهاجمتنا السواحل».

وكانت مهمة بيلي لها صلة بالتنافس بين فرنسا والهند البريطانية؛ للسيطرة على

www.ahlaltareekh.com

أواسط الجزيرة العربية، كما كان يهدف إلى جمع معلومات جغرافية عن الجزيرة العربية، ولها قيمة تاريخية خصوصًا اللقاء النادر، الذي تم بين بيلي والإمام فيصل، الذي أبدى فيه احترامه تجاه الإمام فيصل، وهو شاهد غريب، المفترض أنه يؤدي وجهة نظر دولة معادية، فلم يمنعه هذا من الإشادة بمزايا فيصل وحزمه وذكائه، ومقدراته السياسية. إذ يقول عنه: «رأيت الإمام فيصل جالسًا في صدر المجلس على سجادة صغيرة بديعة، متكئًا إلى وسادة سميكة، وكان أصغر أبنائه (عبدالرحمن) يجلس بالقرب منه، عندما تقدمت إليه نهض، وصافحني، وربت كامل كتفي بتؤدة، كان محياه أخّاذًا تام التقاطيع، وينم على الهدوء ورباطة الجأش والصرامة والحلم والوقار. كان يبدو فوق السبعين من عمره، ويرتدي ثيابًا فخمة تنم على ذوق رفيع، ويعتمر ما فوق الكوفية العربية بعمامة مكورة من قماش الكشمير الأخضر، صوته رخيم، وكلماته رزينة ومتزنة، إنه بالإجمال رجل وقور ودمث، لكنك تلمح في قسماته طيف شدّة، وبأس بالغين عندما يلزم الأمر».

يذكر أن الكتاب قد ترجمه في الرياض الباحثان عبدالرحمن عبدالله الشيخ، وعويضة بن متيريك الجهني.

موساروف، شاه رستم / الأدب الأوزبكي الإسلامي- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٤٣٦ص. (آداب الشعوب الإسلامية؛ ٧).



تفتقد المكتبة العربية مؤلفات تتناول الأدب في منطقة وسط آسيا، ويمكن أن يسد هذا البحث عن الأدب الإسلامي الأوزبكي بعض هذا الفراغ، إذ يقدم دراسة عميقة للأدب الأوزبكي بمراحله المختلفة. كما يقدم نماذج مشرقة من الأدب الأوزبكي نثرًا وشعرًا، كما يقدم مجموعة من أبرز الأدباء والشعراء، ويعرض نماذج من نتاجهم، وكذلك محاولة لإبراز خصائص هذا الأدب، وبيان أثر العقيدة فيه، وكذلك إظهار مساهمات الأدباء الأوزبك في المحافظة على الدين ونشره بين الناس.

وحسب المؤلف فإن تاريخ الأدب الأوزبكي هو جزء من أدب الأمة الإسلامية الواحدة، التي لا تعرف حدودًا بين أقطارها، وهو يبين حقبة من الزمن، بما فيها الأدب الأوزبكي الذي علا بفضل تمسكه بالإسلام. وللحقيقة، فإن الأدب الأوزبكي كله أدب إسلامي، ولكن بسبب الاحتلال السوفييتي لبلاد وسط آسيا، وفرض الأيديولوجية الشيوعية على شعوب المنطقة، حدث أن كانت هناك محاولات من بعض الدارسين والناشرين لإخفاء الأدب الإسلامي؛ إما خوفًا وإما مجاراة للفكر الجديد، وقد ظهرت الحقيقة بعد أن استقلت الجمهوريات المسلمة عن الاتحاد السوفييتي.

www.ahlaltareekh.com



بروكمان، جون/ السنوات الخمسون القادمة: حال العلم خلال النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، تعريب: مروان أبو جيب ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٤٤٦ص.

يضم هذا الكتاب خمسة وعشرين مقالاً لمجموعة لامعة من أشهر العلماء في العالم، وتدور جميعها حول التقدم الذي تم إنجازه في العلوم والتكنولوجيا، وينقسم إلى قسمين: الأول هو استشراف «نظري» للمستقبل، يحتوي على موضوعات عن التقدم في علم الكون، واستخدام الرياضيات في أنظمة افتراضية لعدم الواقعية، واتجاهات جديدة في نظرية التعقيد.

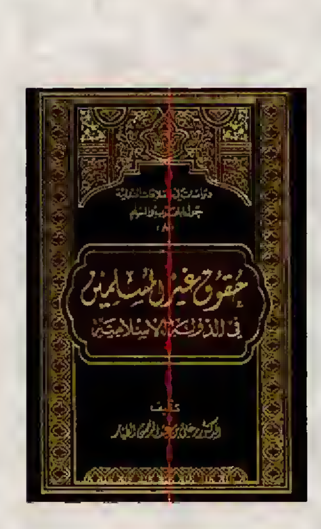
أما القسم الثاني فهو استشراف «عملي» للمستقبل تندرج تحته موضوعات مثل تسلسل الحمض الريبي النووي الناقص الأوكسجين «ال دي إن إيه D N A» ومدى التعليم الذي يوفّره لنا، واستكشاف المريخ، والبحث عن الحياة غير الأرضية، وسيطرتنا على المادة، والتفاعل الحميم بيننا وبين آلاتنا، وعلى الأخص حواسيبنا، وملامح الفضاء البعيد، وعلم الأعصاب، وطريقة تربية أولادنا، وتأملات في استمرارية رفاهيتنا الجسدية والعقلية.

ومن ضمن المقالات مقال لبول ديفيس ـ العالم الفيزيائي النظري ـ الذي يجول في احتمال أن نتوصل بحلول عام ٢٠٥٠ إلى تحقيق وجود على كوكب المشترى.

والعالم النفسي ميهالي كسيكرز ينتميهالي يبحث في تشعبات حاصل الذكاء العالي الذي يشكل من الناحية الوراثية مواليد سعداء.

الطبيبة النفسية نانسي إيتكوف تقدم شرحًا للبحث الذي يجري حاليًا على إيجاد مجوهرات تتحسس العواطف، ويمكنها أن تقيس طبائعنا، وتنبهنا إلى الوقت الذي يجب أن نبتلع فيه قرصًا مهدئًا.

ريتشارد دوكينز العالم في ارتقاء الأحياء، يغوص في احتمال أن نحصل في القريب العاجل على طبعة لمجموعة المورثات، تنبئنا بنهايتنا الطبيعية لقاء تكلفة مادية للصورة الشعاعية. (هل نريد أن نقرأها، وهل يحق لشركات التأمين أو الحكومات أن تطلع عليها؟).



الطيار، علي بن عبدالرحمن/ حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ٢١٧ص.

ترد هذه الدراسة المقارنة في العلاقات الدولية على من اتهم الإسلام بأنه دين جمود، وتخلف وتعصب، وأنه دين يصادر الحريات، ويهضم الحقوق، وفيها أيضًا تبيان لحقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، وبيان وضع الإنسان الأجنبي غير المسلم في بلاد الإسلام، وكيف أن الإسلام أعطاه حقوقًا، ومنحه الحرية في نفسه وماله وولده، واعتقاده، وقام بحمايته، ودافع عنه، وحفظ أمنه.

www.ahlaltareekh.com

تتضمن الدراسة خمسة فصول رئيسة، جاء الأول عن تقسيم العالم إلى ديار أو دول في الشريعة والقانون، وتناول الفصل الثاني مفهوم عقد الذمة ومشروعيته، مع بيان لتطبيقاته، وتطرق الفصل الثالث إلى جنسية الذميين، وأفرد الفصل الرابع لمفهوم الأمان ومشروعيته، وتطبيقاته، وبيّن الفصل الخامس حقوق غير المسلمين، وواقعهم الحالي في البلاد الإسلامية، وخلص الباحث إلى بعض النتائج التي منها:

- إن دار الإسلام هي البلاد التي تخضع لسلطان المسلمين، وتظهر فيها أحكام الإسلام.

- عقد الذمة عقد مؤبد، مشروع مع غير المسلمين، يتولى زمام العقد عن الجانب الإسلامي إمام المسلمين أو نائبه.

- يجوز لإمام المسلمين أن يضع رقابة على تأمين الأفراد عند اقتضاء المصلحة.

- إن غير المسلمين في دولة الإسلام يتمتعون بالحقوق العامة مثل: حقهم في حماية أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، والحقوق الخاصة مثل: حقهم في ممارسة عباداتهم، وحرية اعتقادهم دون إكراه، وحقهم في الزواج، وممارسة أعمالهم الخاصة في حدود الأحكام الشرعية.

- إن المحافظة على غير المسلمين ورعايتهم ليست في داخل الدولة الإسلامية نفسها فحسب، وإنما تمتدان إلى حمايتهم من أي أعتداء خارجي قد يتعرضون له. . لا يجوز التعرض لرعايا العدو المستأمنين في بلاد الإسلام، إذا نشبت الحرب مع قومهم، إلا إذ ظهرت خيانة منهم، ففي هذه الحالة ينبغي إبعادهم وإيصالهم إلى مأمنهم دون قتلهم، أو التعرض لهم بسوء.



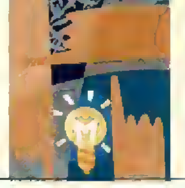
السعود، راتب/ الإنسان والبيئة: دراسة في التربية البيئية ـ عمان: دار الحامد، ٢٠٠٤م، ٢٦٣ص.

لعل أهم ما يميز هذا الكتاب التثقيفي أنه لا يخاطب قطاعًا معينًا من الناس، ولا يستهدف فئة عمرية محددة، وإنما يستهدف قطاعات المجتمع كافة.

جاء الكتاب في أبواب ثلاثة رئيسة: أوضح الأول مفهوم البيئة ومعناها والقوانين التي تحكمها، وفصّل الباب الثاني المشكلات البيئية الرئيسة الثلاث: الانفجار السكاني، والتلوث بأشكاله الرئيسة الست: «تلوث الهواء، وتلوث الماء، وتلوث التربة، وتلوث الغذاء، والتلوث الكهرومغناطيسي، والتلوث السمعي»، واستنزاف موارد البيئة، وأوضح الباب الثالث وسائل حماية البيئة، من خلال دور العلم والقانون، والتربية في مواجهة مشكلات البيئة، ودور كل من: الأسرة، ورياض الأطفال، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، ووسائل الإعلام، والمنظمات غير الحكومية في حماية البيئة.

يشار إلى أن هذا الكتاب نال جائزة منظمة العواصم والمدن الإسلامية في مجال التأليف والتحقيق والترجمة - البيئة لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

www.ahlaltareekh.com





مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٣١، ع١١٦، ذو القعدة ١٤٢٦هـ ـ يناير ٢٠٠٥م).

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وتعنى بنشر البحوث العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج، والجزيرة العربية. احتوى هذا العدد على مجموعة من البحوث والدراسات، بدأها ضيف الله بن عبدالله النفيعي ببحث عن معوقات الإبداع الإداري في الأجهزة الحكومية في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

وتناول كل من: فهد خلف اللميع، وبدر حمد العازمي، وفهد أحمد الفيلكاوي آراء معلمات المرحلة الابتدائية نحو السلم التعليمي الجديد في ظل تأنيث المرحلة الابتدائية بدولة الكويت في ضوء متغير (المنطقة التعليمية ـ المواد الدراسية ـ الخبرة التدريسية)، وقدّم عبدالعزيز بن علي الغريب دراسة تحليلية عن التدابير المجتمعية لمواجهة بعض المشكلات الاجتماعية في المجتمع السعودي.

واستعرض علي أسعد وطفة، وسعد رغيان الشريع مؤشرات التفكير التواكلي لدى عينة من الشباب في المجتمع الكويتي، وكتب عبدالرحمن بن عبدالله الواصل عن تجييل ظهور المدن في منطقة حائل «رؤية في التنمية الريفية». وقدمت نهلة داود الحمود دراسة عن قياس فاعلية خدمات المعلومات في كلية التربية الأساسية في الكويت من منظور أعضاء هيئة التدريس.

وفي باب عروض الكتب ومراجعتها، جاء كتاب «محددات فرص التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية» من تأليف الدكتور محمد عبدالرحمن العسومي، وعرض ومراجعة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، وكتاب «التحديات التي تواجه المصارف الإسلامية في دولة قطر»، تأليف: تركي راجي الحمود، وعرض: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، واحتوى العدد على ببيلوجرافيا عربية من إعداد: سهيلة فهد المالك الصباح. كما احتوى على بحث باللغة الإنجليزية بعنوان «القدرة الاستيعابية للاقتصاد الكويتي: تحليل الحجم والمحددات» لمحمد علي رمضان.

العنوان:

ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية ـ الرمز البريدي: ٧٢٤٥١ ـ الكويت.

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥

ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

www.ahlaltareekh.com



آفاق الثقافة والتراث (س١٢، ع٤٨، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية ثقافية تراثية تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

زخر هذا العدد بمجموعة من المقالات المتنوعة، بدأها مدير التحرير بافتتاحية عن رؤية لإعادة التدوين للسيرة النبوية.

ومن ضمن المقالات مقال بعنوان «سورة الواقعة: ضوء على القراءات القرآنية والتوجيهات النحوية» للدكتور عامر عبدان علي، وكتب الدكتور موسى لحرش عن الاتجاهات الفكرية الأساسية المفسرة لظاهرة الحضارة، وتطرق الدكتور سلام عبدالكريم سميسم إلى كسر الاحتكار مهمة الدول في الأمن الغذائي، وقدّم الدكتور محمد خير شيخ موسى نظرات في الطبعة الجديدة لكتاب الأغاني، وتناول الدكتور رواء زكي يونس الطويل الثنائية اللغوية العربية الفرنسية في مواجهة عصر المعلوماتية. وكتب الدكتور محمد سالم سعد الله الشيخ علي عن مركزية النقد والتعدد الأيديولوجي ونقد التفكيك.

وتضمن العدد مقالاً علميًا عن تطور علم الطيور في الحضارة الإسلامية للدكتور محمد حسن الحمود، كما تضمن العدد تحقيقًا لمخطوطة «إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه» لعبد القادر أحمد عبدالقادر.

العنوان:

دبي - ص.ب: ٥٥١٥٦

هاتف: ٢٦٢٤٩٩٩

ناسوخ: ٢٦٩٦٩٥٥



الدرعية (س٧، ع٧، ٨، رمضان - ذو الحجة ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤ - يناير ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية محكمة تعنى بتاريخ المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية وتراث العرب.

حفل هذا العدد بمجموعة من المقالات التاريخية، بدأها أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري رئيس التحرير بمقال عن الملك عبدالعزيز وخصائص الدولة، والقائد، والدين، والرقعة. والأمة، وكتبت الدكتورة مي بنت عبدالعزيز العيسى عن الوصايا والأوقاف في أشيقر قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وناقش الدكتور محمد بن إبراهيم أبا الخيل حقيقة الخلاف بين أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وعائشة والزبير وطلحة عام الجمل، وتناول الدكتور أحمد بن عبدالله الباتلي الأحاديث والآثار الواردة في القيافة جمعًا، وتخريجًا، ودراسة، وبيّن الدكتور أحمد بن يوسف الدريويش أهمية مخطوط «تحرير

www.ahlaltareekh.com

الدلائل على مقدار ما يجوز بين الإمام والمؤتم من الارتفاع والانخفاض والبعد والحائل» تأليف: القاضي محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ).
وتطرق الدكتور صالح بن عون الغامدي إلى قبائل ألمع وموقفها من تحركات قوات محمد علي باشا (١٢١٥. ١٢٤١هـ)، وأوضح الدكتور مفرح بن سليمان القوسي مدخلاً لدراسة النظم الإسلامية، وراجع الدكتور أبو بكر أحمد باقادر كتبًا عن الحرب والمجتمع العثمانيين، وقدّم الدكتور ناصر بن عبدالله الهذلول عرضًا لكتاب «تاريخ الدولة العثمانية: من النشوء إلى الانحدار» تأليف خليل إينا لجيك، ترجمة: محمد الأرناؤوط، وصادر عن دار المدار الإسلامي في بيروت.

العنوان:
المملكة العربية السعودية
ص.ب: ١٥١٨٥٨ ـ الرياض: ١١٧٧٥
هاتف: ٤٢٦٤٦٩٢
ناسوخ: ٤٢٦٤٦٩٢
بريد إلكتروني: info@ addiriyah.org

المنار الجديد (س٨، ذو الحجة ١٤٢٥هـ / يناير ٢٠٠٥م)
مقالات وأبحاث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران.



تنوعت محتويات هذا العدد من المجلة، وبدأت بافتتاحية لجمال سلطان رئيس التحرير بعنوان «وطن واحد .. وشعب واحد .. ودولة واحدة»، وفي مجال الدراسات كتب الدكتور محمد عمارة عن أكاذيب التنصير في مصر الإسلامية. وتطرق الدكتور علي محمد الحسين الصوا إلى التجربة الأردنية في المقاطعة، وناقش الدكتور محمد شوقي الفنجري علاقة الإسلام بمشكلة الفقر.
وتضمن العدد مقالاً بقلم سعد عبدالمجيد بعنوان: «تركيا وجنة الاتحاد الأوربي ـ جدل طويل لا ينتهي»، وكتب كمال السعيد حبيب عن المجتمع الأهلي ومناهضة التطبيع، وناقش الدكتور أحمد محمد الدغشي سيكولوجية التحزب في العمل الإسلامي، وتناول الدكتور طارق عبدالحليم فكر سيد قطب، وراجع محمد أبو الوفا كتاب «حرب صليبية بكل المقاييس» للدكتورة زينب عبد العزيز. وكتب خالد مأمون آل محسوبي رأيًا آخر في قضية حقوق الملكية الفكرية، وجاء ملف العدد عن التعصب والتمييز ضد المسلمين في الاتحاد الأوربي، أعده خالد حسان، وفي المجال الثقافي كتب الأستاذ عصام العطار مقالاً في وداع محمد حميد الله، وختم العدد بتعريف عن الإصدارات الحديثة، أعدّه

www.ahlaltareekh.com

كل من: محمد أبو الوفا والدكتور محمد فتح الله.

العنوان: ص.ب: ٢٨ ـ الرمز البريدي: ١١٨١١ ـ القاهرة

هاتف: ٤٨٥٢٨٢١

ناسوخ: ٦٨٤٤١٨١

بريد إلكتروني: gsultan60@hotmail. com

مجلة الأمن والقانون (س١٣، ع١، يناير ٢٠٠٥م)

مجلة دورية محكمة تصدرها أكاديمية شرطة دبي.

حفل هذا العدد بدراسات اقتصادية وقانونية، وأمنية، وشرعية، بدأ بدراسة اقتصادية للعميد الدكتور محمد أحمد بن فهد عن الكوننة (٢) السوق العالمية «العولمة» محاولة للبحث في الهوية في عالم حافل بالمتغيرات.

ومن الدراسات القانونية، دراسة للدكتور محمد إبراهيم محمود الشافعي عن الاتفاقات التجارية الإقليمية وتأثيرها في النظام التجاري العالمي، وتناول العقيد ركن الدكتور علي عواد القضاء الجنائي الدولي، وقانون النزاعات المسلحة، وتطرق الدكتور علي محمد جعفر إلى محكمة الجزاء الدولية في مواجهة القضايا الصعبة.

وكتب الرائد الدكتور خالد خلفان المنصوري تعليقًا على نص المادة الأولى من قانون العقوبات رقم ٣ لسنة ١٩٨٧م لدولة الإمارات، ووضح الدكتور عبدالوهاب عمر البطراوي أساس المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي الخاص، وبيّن الدكتور محمد إبراهيم بنداري الخطأ في المسؤولية المدنية عن عدم المحافظة على السر الطبي.

وتضمن العدد دراسة في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد الزميلي عن المختارات الإصلاحية لمعالجة الطلاق في مشروع قانون الأحوال الشخصية الإماراتي، كما تضمن دراسة أمنية مقارنة بين طلبة أكاديمية شرطة دبي والجامعة الأمريكية نحو الرضا عن التخصص العلمي ونظرتهم إلى المستقبل المهني، أعدّها الدكتور محمد رمضان محمد، وختم العدد ببحث من بحوث الخريجين للرائد الدكتور غيث غانم السويدي عن دور النيابة العامة في الدعوى الجنائية في مرحلة التحقيق الابتدائي في دولة الإ مارات العربية المتحدة (دراسة مقارنة مع النظامين الفرنسي والمصري).



العنوان: الإمارات ـ أكاديمية شرطة دبي

ص ب ١٢٠٨٥

هاتف: ٣٤٨٢٢٥٥

ناسوخ: ٣٤٨١١٤٤

www.ahlaltareekh.com





أبو الـعــلاء المعــري والجديد من تراثه

محـمـد عبد المنعم خـفـاجـي

القاهرة - مصر

أبو العـلاء (٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ/٩٧٢م - ١٠٥٧م) شيخ معـرة النعمان، وأشهر شعراء العربية وشاعر الحكمة والفكر المتوهج: لا ينتهي حديثه، ولا الحديث عنه على مرور الأيام والأجيال.

بالأمس فتن به وبعبقريته المبدع كامل كيلاني. وطه حسين. وبنت الشاطئ عائشة عبدالرحمن: ومن بعدهم اليوم فتن به العلامة الناقد الدكتور السعيد السيد عبادة افتتانًا جاوز المدى.

فرسالته للدكتوراه التي نالها بجدارة عام ١٩٧٣م، كانت عن أبي العلاء الناقد الأدبي، ومعها تحقيق لكتاب أبي العلاء «الإغريض».

واليوم يفاجئنا العلامة الكبير د. السعيد عبادة بكتاب جديد من تراث أبي العلاء، وهو «ضوء سقط الزند» الذي كان في عداد المفقود من التراث العلائي الثمين.

إن أبا العلاء لم تنقص الأيام شيئًا من وهجه الشعري. ولا من منزلته في الفكر العربي. ولا من كيانه الاجتماعي، وشخصيته المجددة الحرة.

وضع علاّمتنا الكبير في أيدينا اليوم كتابيه القيّمين «سقط الزند» و«ضوء السقط»(١) لأبي العلاء، تحقيق وتقديم د. السعيد السيد عبادة اللذين نشرهما معهد المخطوطات العربية بالقاهرة في نحو قريب من ألف صفحة، إصدار عام ٢٠٠٣م.

«وضوء السقط» تفسير لما غمض من شعر أبي العلاء في ديوانه «سِقْط الزند»، وشرح للغريب منه، ألفه المعري إجابة لطلب تلميذه أبي عبدالله الأصفهاني - المتوفى سنة ٤٩٦هـ، يقول أبو العلاء في مقدمة كتابه «ضوء سقط الزند»: «سألني الأصفهاني أن أشرح له ما استعجم عليه من الكتاب المعروف بسقط الزند، فأجبته إلى ما سأل ...» ومن الغريب أن يكون «سقط الزند» أول إبداع المعري الشعري في الشطر الأول من عمره، وأن يكون صدوره نحو سنة ٤٠٣هـ، بينما كان «ضوء السقط» هو آخر التراث العلائي الذي أملاه المعري على تلميذه الأصفهاني سنة ٤٤٧هـ قبل وفاة الشاعر العظيم بسنتين على ما حققه علامتنا الجليل الدكتور السعيد عبادة.

وكان «الضوء» في عداد المفقود من تراث شيخ المعرة، معرة النعمان، إلى أن دلَّ المحقق عبدالعزيز الميمني على نسخة الضوء في المكتبة الأهلية بباريس. وزاد في التعريف بـ «الضوء» المستشرق الألماني بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» الذي ظهرت ترجمته العربية بعد ذلك، ثم ذكر مع نسخة باريس من الضوء ثلاث نسخ أخرى هي: نسخ لندن، والقاهرة، وإستانبول(٢).

يقول المحقق الدكتور السعيد عبادة: «إني أقدم الكتاب - «ضوء سقط الزند» - لأول مرة معتمدًا على ما صح من نسخه التي ذكرها بروكلمان»، وعلى ما ورد من نصوصه عند شراح «سقط الزند»، ولا سيما التبريزي (٤٢١ - ٥٠٢هـ) الذي كان أكثر نقلاً عنه، والذي يذكره في شرحه، ويقول في مقدمته: «أوردت ما ذكر شيخنا أبو العلاء من «ضوء السقط» في مواضعه» (٣).

وكتاب «ضوء السقط» الذي ينشر أول مرة، من أجلّ مؤلفات المعري قدرًا، ومن أعظمها أثرًا، كما يقول محققنا العلامة السعيد عبادة، ويوضح ذلك فيقول: «الضوء» شرح

www.ahlaltareekh.com

أبي العلاء نفسه لشعره، في «السقط»، على الرغم من كثرة شراحه من العلماء والنقاد، من مثل: التبريزي، والقزويني، والجويني، والخوارزمي، والبطليوسي، وغيرهم، وهو صورة لوجه المعري الأدبي والنقدي بنقده لشعره، وهو مصدر بمقدمة لا نظير لها في مقدمات أبي العلاء، لما تضمنته من حديث عن نفسه وعن موقف الناس منه.

ولم يشرح أبو العلاء في «ضوئه» من «السقط» إلا المشكل أو ما سئل عنه، ولم يشرح اللغة فحسب، بل شرح اللغة والمعنى، وبين جوانب الصحة في كثير من الأبيات التي عرضها عليه.

وهو في شرحه للسقط لم يكتف ببيان المعنى المراد، بل بيّنَ جوانب أخرى كثيرة كالاشتقاق والتصريف والاستعمال العام، وسر التعبير باللفظ، وما يحتمله من الصيغ، وما يحتمله من المعاني، وسبب التسمية به إن كان اسمًا.

وفي شرحه المعنى لم يكتف ببيانه مرة واحدة، بل كثيرًا ما عاد إلى بيانه بعبارة أخرى؛ زيادة في الإيضاح، وكثيرًا ما دل على احتمالاته، إن كانت، وعلى صلته بما قبله وما بعده.

وهو في الضوء كذلك قد اهتم بمسائل النحو والعروض والبلاغة، ولم يغفل الأعلام، بل عرف بأكثرها، وساق المهم من أخبارها.

وقد اعتمد المحقق مخطوطة باريس [٤] أصلاً للضوء، وأضاف إليها الكثير مما وجده في المخطوطات الأخرى، وعند شرّاح السقط، وشرح التبريزي للسقط فيه من الضوء الكثير.

ويرجح المحقق أن مخطوطة باريس ترجع إلى آخر القرن السادس أو أول القرن السابع الهجريين.

ونسخة مكتبة ليدن (برقم ٦٩٣)، وهي تشتمل على «سقط الزند» كله، وعلى شرح التبريزي لقصائد المعري «الدرعيات» التي ضمنها ديوانه «سقط الزند»، وهي لم تخلص للضوء، وإنما اشتملت على أكثره.

ونسخة القاهرة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٨ أدب، فيها أجزاء من السقط وأجزاء من الضوء، وهي مقدمته للضوء.

وعمل المحقق في «الضوء» كبير، وفضلاً عن التوثيق الدقيق للسقط وللضوء برواية الأصفهاني، نجد بجانب ذلك تخريجًا للشواهد، وجمعًا بين السقط وضوئه، إذ لم يكن من المستطاع نشر الضوء بعيدًا عن أصله (السقط)، ولذلك جمع المحقق بينهما - السقط والضوء - في مجموعة واحدة في آخرها عدة فهارس منظمة.

وقد كان نشر السقط في هذه المجموعة الضخمة عملاً علميًا جليلاً مزودًا بالفهارس العلمية الثمينة، والسقط هو ديوان أبي العلاء الأول، ويمثل شاعرية أبي العلاء في طورها الأول قبل اعتزاله وزهده، وقبل أن يكتب ديوانه الثاني «لزوم ما لا يلزم».

إن ظهور كتاب «ضوء السقط» أول مرة على يدي العلامة المحقق السعيد عبادة عمل كبير، وكشف خطير، وإيضاح واسع لشخصية أبي العلاء الأدبية والنقدية، وزيادة في التعريف بالتراث العلائي الخالد، الذي يمثل شخصية أبي العلاء الأدبية تمثيلاً كبيرًا.

ولا نجد ما نقوله في ختام هذه الكلمة للعلامة السعيد عبادة، إلاّ أن نعرب له عن كل التقدير والدعاء له بالتوفيق.

المراجع والهوامش

١. السقط: أول ما يخرج من النار من الزند، فهو أول شعره وما سمح به خاطره، شبهه بذلك، وما أملاه في شرحه سماه «ضوء السقط».
٢. تاريخ الأدب العربي، ٥/ ٤٠، ط دار المعارف بمصر.
٣. شرح السقط، ١/ ٤.
٤. المكتبة الأهلية في باريس، تحت رقم ٣١١.

www.ahlaltareekh.com